

# الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

## مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الأندلسي والحضارة المتوسّطيّة

الوصيّة في الأدب الأندلسي

وصيّة لسان الدّين بن الخطيب لأولاده

- دراسة حضارية فنيّة -

إشرافه الأستاذ الدكتور:

كروم بومدين

إعداد الطالبة:

بغدادى بشرى

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. شايف عكاشة
مشرفاً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. كروم بومدين
عضواً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عباس محمد
عضواً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. زمري محمد
عضواً	جامعة تلمسان	أستاذة محاضرة (أ)	د. ابن هاشم خنّاتة

السنة الجامعية: 1431-1432هـ / 2010-2011م

# إهداء

أهدي هذا البحث إلى:

أمي الغالية ..

وأبي العزيز...

بغداد

# كلمة شكر

## و عرفان

كما لا يفوتني من خلال  
هذه الكلمة أن أتقدم  
بشكري إلى كل من  
ساعدني في إنجاز هذا  
العمل، دون أن أنسى  
الأساتذة الذين  
سيقومونه، والذي  
ستكون ملاحظاتهم

لي عظيم الشرف أن  
أتوجه بهذه الكلمة  
المتواضعة التي  
أضمنتها عاطر ثنائي  
وفائق تقديري  
واحترامي، وجزيل  
شكري إلى من أحاطني  
بمناقبه وادعائه، ومطافه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ

## مقدمة

بسم الله الذي تتمّ بنعمته الصالحات، والحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيّدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، وبعد:

فالأندلس تمثل بتاريخها الحافل وتراثها الزاخر قصّة حضارة عظيمة، ومجد خالد، وماض تليد، وذلك لما قدّمته للبشرية من خدمات جليلة وعطاءات جمّة نتيجة ذلك النتاج الفكري والثقافي الذي خلّفه الأندلسيون، فكان الأدب إحدى الصور التي تجلّى فيها هذا العطاء، وكانت الوصيّة أحد فنونه التي خاض فيها الأندلسيون حكّاما، أو خلفاء، أو وزراء، أو أدباء، أو فقهاء...، والتي ضمّنها مختلف أفكارهم وقيمهم وخبراتهم التي استقوها من ظروف حياتهم الخاصة والعامة، لتتواصل عبرها الأجيال من السلف إلى الخلف.

ويعتبر ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب من أبرز الشخصيات التي جاد قلمها بكثير من الوصايا جودة وكما، كانت ثمرة جهوده الفكرية وسعة آفاقه العلمية، وإلمامه الواسع بكثير من المعارف وامتلاكه المهارات السياسية والأدبية، وتنوّع تجاربه التي عاشها، فأراد نقلها إلى أهله وغيرهم.

ومن هنا جاءت الرغبة في الوقوف على آثار إبداع الأندلسيين في هذا الفن، وبخاصة لسان الدين بن الخطيب، فوسّمت هذه الدراسة بعنوان: "الوصية في الأدب الأندلسي وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده -دراسة حضارية فنية-"، وهذا لشغفي بمطالعة النصوص التي تتوفّر على النصيحة والموعظة، وكذلك لقلّة عناية الباحثين بهذا الفن الأدبي، وبخاصة في الأندلس، كون العديد منهم لم يخصّوه كغرض أدبيّ مستقلّ بذاته، عدا ما ورد في طيّات بعض الكتب

## مقدمة

والدراسات؛ كتلك التي حملت على عاتقها البحث حول فنون النثر الأدبي الأندلسي وخصائصه الفنيّة ومنها: "النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس مضامينه وأشكاله" لعلّي بن محمّد، و"النثر الفنّي عند لسان الدّين بن الخطيب" لعبد الحليم الهروط، و"فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدّين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية" لمحمّد مسعود جبران، والتي أفادتني في إنجاز هذه المذكّرة.

فكانت الغاية من هذه الدراسة البحث عن أهم الأغراض التي طرقها هذا الفن في بلاد الأندلس ومحاولة استجلاء أهم الخصائص الفنية والأسلوبية واللّغوية التي تتميز بها الوصيّة كغرض أدبيّ مستقلّ بذاته، وكذلك قيمتها الحضارية. وهكذا اقتضت الدّراسة الاستفادة من بعض المناهج النقدية كالوصفي والتحليلي لاستقراء وسبر أغوار مضامين الوصايا، والنفسي والاجتماعي للكشف عن أهمّ المؤثرات النفسية والظّروف الاجتماعية التي رافقت الموصي خلال تحبيره لمختلف وصاياها.

وقد قسّمت هذا العمل إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة:

تناولت في المدخل مفهوم الوصيّة لغة، ثمّ ماهية الوصيّة الفقهيّة والأدبية لتوضيح الفرق بينهما، أتبعته بلمحة تاريخية عن تطوّر الوصيّة في الأدب العربي القديم لتبيان تواصل هذا الفن الأدبي بين الشرق والأندلس.

مقدمة

ثم تطرقت في الفصل الأول إلى أهم الأغراض التي طرقتها الوصية في الأدب الأندلسي، مع استحضار بعض النماذج منها على سبيل المثال.

أمّا الفصل الثاني فقد خصّصته لمعالجة الموضوعات التي ضمّنها ابن الخطيب وصاياه، والتي يبدو أنه استمدّها من تجاربه السياسية والصوفية، ومختلف الظروف التي ألمّت به.

وأما الفصل الثالث فقد حاولت فيه الوقوف على مضمون وصية لسان الدّين بن الخطيب لأولاده من حيث المعنى والمبنى، مع محاولة إبراز القيمة الفنيّة والحضارية لهذه الوصية.

ثمّ أنهيت البحث بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج المتوصّل إليها. وفي الأخير، أسأل الله التوفيق والسّداد، عليه توكلت وإليه أنبت، وهو نعم المولى والنصير.

بغدادى بشرى

تلمسان يوم: الأربعاء 02 جمادى الأول 1432 هـ 06 أبريل

2011





مفهوم

الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب

العربي

(من العصر الجاهلي إلى العباسي)

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

تزخر كتب التراث في الآداب العربية والأجنبية بكثير من الوصايا، باعتبار أدب الوصية فناً قديماً اقتضت الضرورة وجوده لحاجة الناس إليه تواصلًا وانتفاعاً، فما هي الوصية؟

## 1- مفهوم الوصية:

### أ- لغة:

الوصية من وصّى، وهي من وصى: كوعى: خَسَّ بَعْدَ رِفْعَةٍ وَأَتْرَنَ بَعْدَ خَفَّةٍ، واتصل وَوَصَلَ الْأَرْضَ وَوَصَّيًّا وَوُصِيًّا وَوَصَاءً وَوَصَاءَةً: اتَّصَلَ نَبَاتُهَا.

والاسم: الوَصَاةُ والوَصَايَةُ والوَصِيَّةُ: وهو الموصى به أيضاً: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ<sup>(1)</sup>﴾؛ أي: يفرض عليكم، قوله تعالى: ﴿اتَّوَصَّوْا بِهِ<sup>(2)</sup>﴾؛ أي: أَوْصَى أَوْلَهُمْ آخِرَهُمْ.

والوَصَاةُ والوَصِيَّةُ: جريدة النَّخْلِ يحزم بها، وَوَصَى وَوَصِيٌّ وَيُوصِي: طائر<sup>(3)</sup>.

وقد ورد في لسان العرب: أَنَّ وَصِيَّ: أَوْصَى الرَّجُلَ وَوَصَّاهُ؛ عَهْدَ إِلَيْهِ<sup>(4)</sup>.

(1) - سورة النساء، الآية: 11.

(2) - سورة الذَّارِيَاتِ، الآية: 53.

(3) - القاموس المحيط: مجد الدين يعقوب محمد الفيروزبادي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1417هـ - 1997م، مادة (و ص ي).

(4) - لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت - لبنان، ط3، 1414هـ / 1994م مادة (وصي).

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾<sup>(1)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ

يَبْنَئِي ءَادَمَ﴾<sup>(2)</sup>.

والوصية ما أوصيت به، وسميت وصية لارتباطها بأمر الميت. والوصيُّ: الذي يُوصى والذي يُوصى له، وهو من الأضداد، والأنثى: وصيٌّ، وجمعها جميعاً أوصياء، ومن العرب ما لا يثنى الوصي ولا يجمعه جميعاً<sup>(3)</sup>.

### ب- الوصية الفقهية:

اختلف تحديد مفهوم الوصية عند الفقهاء؛ فهي "تمليك بعد الموت"<sup>(4)</sup> أو "عهد خاص مضاف إلى ما بعد الموت"<sup>(5)</sup>، وإن تغيرت صياغة المفهوم فهي تشمل معنى الإيلاء، ولكنها تأخذ أشكالاً متعددة: "قد تكون تمليك عين أو منفعة، وقد تكون جعل ولاية أو سلطة أو وكالة، وقد تكون إبراء لدين، أو

(1) - سورة الذاريات، الآية: 53.

(2) - سورة ياسين، الآية: 60.

(3) - لسان العرب: ابن منظور، مادة: وصي.

(4) - حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار فقه أبي حنيفة، ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د. ط)، 1421هـ - 2001م، 8: 177.

(5) - نيل الأوطار: شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد المختار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت. 1255هـ)، دار الحديث، القاهرة - مصر، (د. ط)، 1297هـ، 5: 33.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

إسقاطا لحقّ، وقد تكون عهدا وإذنا واستدعاء لتجهيزه وصلاته ورد أماناته وغير ذلك مما يجوز في الوصية العهدية<sup>(1)</sup>.

وقد اقترن هذا التملك أو العهد بالموت فهي "الأمر بالتصرف بعد الموت"<sup>(2)</sup>، ويكون هذا التصرف في المال بعد وفاة الموصي؛ أي المال الموروث أو التركة.

وبما أن الإنسان فطر على حب المال والشهوات والتملك، فالإسلام شرع الوصية من أجل تحقيق الخير والمصالح المختلفة التي تشمل الفرد والمجتمع وذلك بمساعدة المحتاجين، وتعاون الأفراد وتضامنهم في استخدام مال الموصي في ضروب الحياة المختلفة.

والدليل على مشروعية الوصية ما ورد في الكتاب والسنة والإجماع، فمن آيات كتاب الله العزيز التي تبين وجوب الوصية قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(3)</sup>، وقوله أيضا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ إِخْرَانٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي

(1) - الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي: محمد كمال الدين إمام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (د.ط)، 1418هـ - 1998م: 30.

(2) - كشاف القناع: عن متن الإقناع، منصور يونس البهوني (ت. 1051هـ)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض - السعودية، (د.ط)، (د.ت)، 4: 330.

(3) - سورة البقرة، الآية: 180.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

الْأَرْضِ<sup>(1)</sup>، وأما في السنة فقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما حق امرئ مسلم أن يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"<sup>(2)</sup>.

حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا زكرياء بن عدي، حدثنا مروان عن هشام بن هشام، عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: "مرضت فعادني النبي ﷺ، فقلت يا رسول الله ادع الله على أن لا يرديني على عفتي، قال: "لعل الله يرفعك ويرفع بك ناسا"، فقلت: أريد أن أوصي، وإنما لي ابنة: قلت أوصي بالنصف؟ قال: "النصف كثير" قلت: فالثلث؟، قال: "الثلث والثلث كثير أو كبير"، قال: فأوصى الناس بالثلث، فجاز ذلك لهم"<sup>(3)</sup>.

وبما أن الكتاب والسنة قد أوجبا الوصية، فإن الصحابة والتابعين كانوا منساقين إلى تنفيذها، طائعين مستخدمين ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد روي عن تاريخ الصحابة نماذج من وصاياهم، فقد أوصى أنس ابن مالك، وأوصى عبد الله بن مسعود، وأوصى أبو الدرداء وغيرهم كثيرون<sup>(4)</sup>، ومنه فقد أجمع على مشروعية الوصية.

(1) - سورة المائدة، الآية: 109.

(2) - صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي رحمه الله تعالى، ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضيعه وشرح ألفاظه وحمله وخرج أحاديثه في صحيح مسلم، ووضع فهرسه: مصطفى ديب البغا، دار الهدى: عين مليلة- الجزائر، (د.ط)، 1992م، 3: 1007، كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث.

(3) - المصدر نفسه، 3: 1005، كتاب الوصايا، باب وصية الرجل مكتوبة عنده.

(4) - ينظر؛ الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي: محمد كمال الدين إمام: 37.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

### ج- الوصية الأدبية:

هي ما يقدمه إنسان لإنسان من نصائح ومواعظ ضمن مجموعة من الأوامر والنواهي، وقد تأتي على شكل شعر أو نثر<sup>(1)</sup>، وهي أيضا: "نوع من الأدب، غايته التوجيه والإرشاد، والحث على اكتساب المحامد، أو التبصير بحسن السياسة، أو الدعوة إلى مكارم الأخلاق"<sup>(2)</sup>، ولهذا أطلق عليه بعض الدارسين والنقاد مصطلح "الأدب التهذيبي"<sup>(3)</sup>.

والوصايا الأدبية هي جسر يربط بين السلف والخلف، وذلك لما يمد الأول الثاني من خبرة وتجربة في الحياة وطريقة الإقبال عليها، وهذا نتيجة لما واجه الموصي في حياته من اليسر والعسر، حيث تكون "خلاصة موجزة عن حياة المرء في شؤونه وشجونه، وآخر ما يقدمه إلى أبنائه وذويه في حياته أو بنهايتها بعد أن اختبر الحياة بكل ما فيها من حلو ومر"<sup>(4)</sup>.

والتواصل بين الموصي والموصى إليه لن يكون إلا عن طريق النصح والإرشاد والوعظ، وذلك بالدعوة إلى الاستفادة من التجارب السابقة والاقتداء

---

(1) - ينظر: وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، رونك توفيق علي النورسي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 2007م: 12.

(2) - أساليب النثر الفني: لطيف محمد العكام، مطبعة الآداب، النجف، (د.ط) 1974م: 105، باب الوصايا.

(3) - الأدب في التراث الصوفي: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة غريب، مصر، (د.ط)، (د.ت): 73.

(4) - أدب العرب في عصر الجاهلية: حسن الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط3، 1417هـ-1997م: 271.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

بالأحسن، والتحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة لتفادي الوقوع في الأخطاء والزلل، فهي بذلك تساعد الفرد في التغلب على الصعاب، وترشده نحو الأفضل في الحياة.

وهكذا فالوصية تسهم في بناء مجتمع راق، لأن صلاح المجتمع من صلاح الفرد، وفساد المجتمع من فساد الفرد، فهي تعد "لونا من ألوان النقد الاجتماعي التي يسعى من خلالها الموصي إلى إبعاد المجتمع عن حياة الرذيلة إلى حياة الفضيلة، وإعطاء صورة للنموذج الإنساني لما تحمله من قيم ومبادئ أخلاقية سامية ودلالات نفسية وفكرية"<sup>(1)</sup>.

وتتميز الوصايا الأدبية بصدق العاطفة وقوتها وذلك من خلال ما يريده الموصي للموصى إليه من خير وبجث عن الأفضل، كما تتميز بأسلوب فني خاص؛ فهي "التي تكون قد نبعت من الموصي من خلال تجاربه النظرية والعلمية بأسلوب فني متميز يميزه عن غيره من الوصايا العادية"<sup>(2)</sup>.

**الفرق بين الخطبة والوصية:** تشترك الوصية مع الخطبة في " توجيه المتلقي إلى الطريق الصحيح وردعه عن الضلال والفساد، إلا أنهما تختلفان من حيث المتلقي؛ فالخطبة تكون على ملاء من الناس حتى تعم الفائدة، على حين نجد الوصية غالبا ما توجه إلى إنسان معين ولا حاجة لوجود جمهور بجانب الموصي

---

(1) - وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية: رونك توفيق علي النورسي: 15.  
(2) - النثر الفني في العصر الجاهلي: هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1993م: 107.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

إليه، في الوقت ذاته لا يمنع من وجود بعض الناس إذا دعت الضرورة، وربما تكون هذه الوصية لشخص آخر في زمن آخر إذا توافقت المناسبة<sup>(1)</sup>.

كما أن أغراض الخطبة تتمثل في إصلاح ذات البين، والتحريض على القتال، والمفاخرة بالأنساب وغير ذلك، أما الوصية فغرضها النصح والإرشاد بالشعر أو النثر أو بهما معا، إضافة إلى أنها تتميز بأسلوب فني خاص.

## 2- تطور الوصايا من العصر الجاهلي إلى العباسي:

تاريخ الوصية قديم جدا، وهذا لما حفلت به الرسائل السماوية من وصايا، إضافة إلى أن الإنسان منذ وجوده كان بحاجة إلى نصح وتوجيه حتى يتجنب ارتكاب الأخطاء، ومن ذلك الوصايا التي رويت عن آدم لابنه منذ حضرته الوفاة<sup>(2)</sup>، ووصية نوح عليه السلام لابنه<sup>(3)</sup>.

ويمتد تواصل الوصية وتطورها عبر العصور الأدبية، فقد زخر الأدب الجاهلي بوصايا عديدة عكست وجود الإنسان العربي في الجاهلية في سلمه

---

(1) -النثر الفني في العصر الجاهلي، هاشم صالح مناع: 107-108.

(2) - المعمرون والوصايا: أبو عامر سهل بن محمد السجستاني (ت.135هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (د.ط)، (د.ت): 1.

(3) - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والاختبار: محي الدين بن عربي، دار صادر بيروت- لبنان، مجلد 2، (د.ط)، (د.ت): 417.



المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

وحر به فبينت علاقته بمجتمعه<sup>(1)</sup>، من حيث إخلاصه له، وكان ذلك بالدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والحفاظ على طبائع العرب وشيمهم، ونشر الموعظة لأخذ العبر عن طريق نقل تجارب الحياة باستعمال الحكم والأقوال الماثورة. وكانت هذه الوصايا موجهة من الآباء إلى الأبناء، وأخرى موجهة من سيد القوم إلى عشيرته، وغيرها من أم إلى ابنتها... فمنها ما أتت في قالب شعري، وأخرى في قالب نثري.

ومن الوصايا الشعرية: وصية عبد قيس بن خفاف البرجمي لابنه جبيلة<sup>(2)</sup>، وكذلك وصية الأعشى لابنه وهو يفتخر بقومه<sup>(3)</sup>.

ومن أحسن الوصايا الشعرية في العصر الجاهلي وصية عمرو بن الأهثم<sup>(\*)</sup>، حيث يقول:

لقد أوصيت ربي بن عمرو إذا حزبت عشيرتك الأمور  
بأن لا تُفسدن ما قد سعينا وحفظ السورة العليا كبير

(1) - ينظر: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص: حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط2، 1443هـ-2003: 08.

(2) - المفضليات: المفضل محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي الكوفي (ت. 168هـ)، تحقيق: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط1، 1998م: 214.

(3) - الديوان: ميمون بن قيس بن جندل بن ثعلبة الوائلي الأعشى (ت. 7هـ)، شرح يوسف شكري بركات، دار الجليل، بيروت- لبنان: 169.

(\*) - كانت هذه الوصية من أروع الوصايا في العصر الجاهلي والتي سمعها الرسول ﷺ فقال: "إن من الشعر لحكما وإن من البيان لسحرا"، وقد ورد في الأدب المفرد: البخاري، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الحديث، القاهرة مصر، (د.ط)، (د.ت)، ورد برقم 872، برواية البخاري.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

وإن المجد أوله وعُور  
وإنك لن تنال المجد حتى  
بنفسك أو بمالك في أمورٍ  
وجاري لا تُهيننه وضيئي  
يؤوب إليك أشعث جرفته  
أصبه بالكرامة واحتفظه  
وإن من الصديق عليك ضِعنا  
بأدواء الرجال إذا التقينا  
فإن رفَعوا الأَعنة فارعنها  
وإن جهدوا عليك فلا تهبهم  
فإن قصدوا لمر الحق فاقصد  
ومصدر غيِّه كرم وخير  
تجود بما يضمن به الضمير  
يَهَاب رُكوبها الورع الدثور  
إذا أمسى وراء البيت كور  
عَوَانٌ لَا يُنْهِنُهَا الفُتور  
عَلَيْكَ فَإِنْ مَنْطِقَهُ يَسِيرُ  
بَدَا لِي؛ إِنَّنِي رَجُلٌ بَصِيرُ  
وَمَا تُخْفِي مِنَ الحَسَكِ الصُّدور  
إِلَى العُلَيَّا، وَأَنْتِ بِهَا جَدِيرُ  
وَجَاهِدُهُمْ إِذَا حَمَى القَتِيرُ  
وَإِنْ جَارُوا فَجُرْ حَتَّى يَصِيرُوا<sup>(1)</sup>

هذه الوصية بينت أهم مقومات الشخصية العربية من المنظور الجاهلي: طلب المجد، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، وصيانة الكرامة والحفاظ عليها، والتحلي بالشجاعة...

ومن الوصايا الثرية؛ وصية أكثم بن صيفي<sup>(2)</sup> لقومه وهي مرتبطة بالحرب، ووصية أمامة بنت الحارث<sup>(3)</sup> وهي من أم لابنتها المقبلة على الزواج،

(1) - المفضليات، المفضل الضبي: 231-232.

(2) - جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة: أحمد صفوت زكي، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1985م، 1: 135.

(3) - المصدر نفسه، 1: 145.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

ووصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه لما حضرته الوفاة ألا يجعلوا الصغار أسيادا في القوم، وأن يحفظوا المال، ويزهوا النفس عن الوقوع في الشهوات؛ إذ يقول: "يا بني احفظوا عني، فلا أحد أنصح لكم مني، إذا متّ فسودّوا كباركم ولا تُسودّوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة النفس، فإنها شر كسب المرء"<sup>(1)</sup>.

وقد تميز أسلوب الوصايا في هذا العصر بالجمل القصار، والعبارات السهلة، واستخدام المحسنات البديعية، كما تميزت بكثرة استعمال الأمثال والحكم<sup>(2)</sup>.

وبعدما عرفت شبه الجزيرة العربية الإسلام تغيرت حياة المجتمع الجاهلي، وباعتبار الأدب أحد مظاهر الحياة الجاهلية فقد تأثر نتيجة للمبادئ والقيم التي أرساها هذا الدين<sup>(3)</sup>؛ والتي كان أساسها إخلاص العباداة لله تعالى، وتزكية النفس وتهذيب السلوك، كما عرف هذا الأدب ألفاظا ومعاني جديدة قد تضمنها القرآن الكريم والحديث الشريف.

---

(1) - البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت.255هـ)، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، مجلد 1، ط3، 1424هـ - 2003م، 2: 51.

(2) - ينظر؛ دراسات في العصر الجاهلي وصدر الإسلام: زكريا عبد الرحمن صيام، ديوان المطبوعات الجامية، الجزائر، (د.ط)، 1984: 210-213.

(3) - ينظر؛ مواكب الأدب عبر العصور: عمر الدقاق، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق - سوريا، ط1، 1988م: 45.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

والوصية الأدبية هي الأخرى تأثرت بهذه المؤثرات مما أدى إلى تنوعها، فقد وردت بعض الوصايا في القرآن الكريم من بينها قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾<sup>(1)</sup>، وقوله عز وجل أيضا: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(2)</sup>.

ولقد ترك الرسول ﷺ وصايا عديدة، مستقلة أو متضمنة إلا أنها كانت منارا يضيء طريق المسلم لن يضل بعده، ومنها ما يسهل عليه ليسعد في الدنيا والآخرة، وهذا بفضل ما اشتملت عليه من مواعظ ونصائح ومعان مستمدة من القرآن الكريم، فكانت دعوة إلى طاعة الله وتقواه، وإعلاء كلمة الحق، وحسن المعاملة والتواضع... ومن وصايا عليه الصلاة والسلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: "يا أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا، واعمل بفرائض الله تكن عابدا، وارض بقسم الله تكن زاهدا"<sup>(3)</sup>.

(1) - سورة مريم، الآيات: 30-31-32.

(2) - سورة الشورى، الآية: 13.

(3) - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والاختبار، ابن عربي، المجلد: 2: 148.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

كما اشتملت خطبة حجة الوداع<sup>(1)</sup>، على مجموعة من الوصايا كانت دستوراً للمسلمين بعد وفاة المصطفى ﷺ، واتسمت هذه الوصايا بأسلوب خاص تميز به الرسول ﷺ؛ فكان هذا الأسلوب "بيانا نبويا، من خصائصه: الجودة والإبداع، وعمق المعاني ودقة الوصف والتركيب، وإحسان موسيقى الكلام وتجنب التكليف"<sup>(2)</sup>.

ونتيجة لملازمة الصحابة والخلفاء الراشدين للرسول ﷺ والافتداء به، واحتذاء منهجه والانتهاج من غزير آثاره، انعكس تأثيره في وصاياهم التي حافظت على تعاليم الدين وقيمه العالية من الامتثال لأوامر الله تعالى، والدعوة إلى الجهاد وإعلاء كلمة الحق...

ومن وصاياهم التي وجهوها إلى قادة الجيوش وهي كثيرة منها: وصية الخليفة أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد حين أرسله إلى أبنئ<sup>(\*)</sup>، فقال: "يا أيها الناس، قفوا أوصكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا،

(1) - تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224، 310هـ—)، راجعه وقدم فهارسه: نواف الجراح، دار صادر بيروت لبنان، مجلد: 2، ط2، 1426هـ— 2005م: 490.

(2) - الأدب الإسلامي قضاياها المفاهيمية والنقدية: عباس محجوب، حدار للكتاب العالمي، عمان—الأردن، (د.ط)، 2006م: 17.

(\*) - أبنئ: بالضم ثم السكون، وفتح النون والقصر بوزن حُبلى؛ موضع بالشَّام من جهة البلقاء: معجم البلدان: الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 1: 79.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبجوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم، وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا اندفعوا باسم الله أفناكم الله بالطعن والطاعون"<sup>(1)</sup>.

وقد كشفت هذه الوصية عن رحمة الإسلام وشفقته على الشيخ الضعيف والمرأة والطفل، حتى على الحيوان والشجر، كما أبانت عن مدنيته وروحه السمحة وتركه لحرية المعتقد والدين، وتميزت هذه الوصايا بالإيجاز وهو ما عرف -بلاغيا- "بمواءمة الكلام لمقتضيات الأحوال أو اتساق المقال مع المقام"<sup>(2)</sup>، كما كانت هناك وصية أخرى من أبي بكر لخالد بن الوليد حين وجهه لقتل أهل الردة<sup>(3)</sup>، ووصية يزيد بن سفيان حين وجهه لفتح الشام<sup>(4)</sup>، كما كانت هناك وصايا أخرى كتبها الخلفاء لبعضهم كوصية أبي بكر الصديق

---

(1) - تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: الطبري، مجلد 2: 518.

(2) - النشر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي دراسة تحليلية: مي يوسف خليل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ت): 8.

(3) - العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 1: 118.

(4) - المصدر نفسه، 1: 118.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

إلى عمر بن الخطاب<sup>(1)</sup> رضي الله عنهما، وأخرى كتبها الخلفاء لأبنائهم كوصية علي رضي الله عنه لابنه الحسن يجعله قيما على صدقته بعد وفاته<sup>(2)</sup>.

أما العصر الأموي فقد حافظت الوصية فيه على ما كانت عليه في عصر الخلفاء الراشدين، من حيث مضمونها، إلا أنها عرفت وصايا أخرى، وهذا لما كانت مجالس المؤدبين والرواة والشعراء والنقاد حافلة به من مظاهر النشاط الأدبي<sup>(3)</sup>.

ومن ذلك الوصايا التي كانت موجهة من الخلفاء إلى مؤدبي أولادهم؛ ومنها: وصية عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده، نصها: "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، علمهم كتاب الله، ولا تكرهم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وجنبهم محادثة

(1) - المصدر نفسه ، 3: 108.

(2) - نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، جمع الشريف الرضا محمد بن أبي أحمد الحسين وعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بن أبي الحديد رحمهم الله جميعا، دار الكتب العربية، مصر- القاهرة، مجلد: 3، (د.ط)، (د.ت): 435.

(3) - ينظر؛ الحياة الأدبية عصر بني أمية: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط2، 1980: 229.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

النساء وتهددهم بي وأدهم دوني، وكن لهم الطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ولا تتكل على عذري فإني قد اتكلت على كفايتك، وزد في تأديهم أزدك في بري إن شاء الله"<sup>(1)</sup>.

ومن الوصايا في هذا العصر؛ وصية عبد الملك بن مروان لأمير سيره إلى أرض الروم<sup>(2)</sup>، ووصية معاوية لابنه زيد<sup>(3)</sup>، وقد اتسمت هي الأخرى بقوة البلاغة والبيان، والاقْتباس من أساليب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مع دقة التصوير واستعمال الألفاظ القوية الموحية.

وقد واصلت الوصية حضورها وتطورها في العصر العباسي ملتزمة في أغلبها نهج الوصية السابقة نهجا ومضمونا، إلا أننا نلاحظ ظهور وصايا أخرى جديدة عكست حالة التطور الحضاري والترف اللذين كانت تعيشهما الدولة العباسية، منها الوصايا الإخوانية كرسالة "الصداقة والصديق" التي ألفها أبو حيان التوحيدي التي تحتوي على مجموعة من الرسائل الإخوانية<sup>(4)</sup>، ووصايا الوزراء وقد ضمّ كتاب "أدب الوزير" للمارودي عددا منها<sup>(5)</sup>.

---

(1) - البيان والتبيين: الجاحظ، مجلد: 1، 1: 47.

(2) - العقد الفريد: ابن عبد ربه، 1: 120.

(3) - جمهرة خطب العرب: أحمد صفوت زكي، 2: 187.

(4) - ينظر؛ وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية: رونك علي توفيق النورسي: 76.

(5) - ينظر؛ المرجع نفسه: 41.



المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

كما عرفت الوصايا الفنية ازدهارا واسعا، حيث تنوعت أشكالها وتعددت مجالاتها التي كانت من بينها وصية بشر بن معتمر، التي تضمنت بعض المبادئ النقدية التي يجب على الشاعر أو الكاتب أن يلتزم بها، ومن بعض ما ورد فيها: "خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ قلبك وإجابتها إياك، فإن قليلا من تلك الساعة أكرم جوهرها، وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، واسلم من فاحش الخطأ، واجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاوله والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة"<sup>(1)</sup>، وكذلك وصايا البخلاء كوصية عبد الرحمن لابنه<sup>(2)</sup> لذيوع ظاهرة التفكك في هذا العصر. وتعد الوصايا الأدبية في العصر العباسي غنية بلاغيا وذلك لغلبة الصنعة، وهذا لما زخرت به من ألوان البديع، إضافة إلى الاقتباس من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وتضمين الشعر والأمثال والحكم<sup>(3)</sup>.

وهكذا، لقد عرفت الوصية في الأدب العربي تطورا وتنوعا، وذلك بالنظر إلى العصر الذي عاش فيه الموصي، وطبيعة ثقافته وتكوينه. ففي ظل هذا القول يمكن تقسيم هذه الوصايا إلى:

---

(1) - البيان والتبيين، الجاحظ: المجلد 2، 4: 45.

(2) - البخلاء: الجاحظ، قدم له وشرحه: عباس عبد الستير، منشورات ومكتبة دار الهلال، بيروت - لبنان، ط3، 1989: 143-144.

(3) - ينظر؛ وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية: رونك علي توفيق النورسي: 221-222.

المدخل: مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي (من العصر الجاهلي إلى العباسي)

- وصايا عفوية فطرية؛ هي وصايا بسيطة يذهب فيها منشئ الوصية إلى سرد وصاياه انطلاقاً من التجربة العادية التي عاشها خلال سنين حياته الطويلة ارتجالاً وسليقة، وذلك بما جادت عليه به فطرته السليمة<sup>(1)</sup>، لا يلجأ إلى التحليل والتعليل، ومن الأمثلة على ذلك وصايا الأدب الجاهلي.

- وصايا معرفية تراكمية؛ هي وصايا زاخرة يكون صاحبها ذا تجربة واسعة وخبرة عميقة، اكتسبها عن طريق المران والمراس في جوانب الحياة المختلفة، وإطلاعه الواسع على مختلف العلوم والمعارف والفنون، كما تكون مبنية على العمق والتحليل والإقناع المنطقي الغني بالأدلة والشواهد المستنبطة من القرآن الكريم والحديث الشريف، بالإضافة إلى النظرة التأملية الفلسفية في بسط الأفكار<sup>(2)</sup>.

ويعتبر العصر العباسي من أبرز العصور التي شاعت فيه هذه النوعية من الوصايا، وذلك لما عرفه هذا العهد من التفتح الحضاري على الثقافات الأخرى، واحتكاك الأدب العربي بالآداب الأجنبية عن طريق الترجمة. فإذا كانت هذه حال الوصية في الأدب العربي من الجاهلية إلى العصر العباسي، فما هي حالها في الأندلس؟

---

(1) - ينظر؛ فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 2004، 2: 68.

(2) - ينظر؛ فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية: محمد مسعود جبران، 2: 69.



أغراض

الوصية في الأدب الأندلسي

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

اتصلت الوصية منذ القديم بحياة الناس، وذلك لحاجة الإنسان إليها عبر العصور لتنظيم شؤون حياته كلها، وضبط أموره حتى يستقيم سلوكه في المجتمع، ويحيا مطمئنا.

والوصية في الأندلس جاءت لتواكب ظروف حياة الفرد الأندلسي منذ وجوده بإسبانيا المسلمة في سلمه وحره.

فكان الدين الإسلامي في طليعة الأمور التي أولاها الأندلسيون اهتماما كبيرا، ذلك أنه ومنذ أن أشرقت شمس على شبه الجزيرة العربية ظل منارة هادية يهدي للتي هي أحسن، ومنهاجا يقتدي به أينما حل الفاتحون وارتحلوا.

وهكذا فقد اتخذ الأندلسيون -من هذا المنطلق- الإسلام في وصاياهم غاية ومنهجا في إرساء هذا الدين الجديد وبعث مقوماته وتثبيت دعائمه، وغرسها في نفوس الأفراد الذين كانوا يعيشون في بيئة تموج بديانات أصحاب التثليث ومعتقدات أخرى.

وقد كانت هذه الوصايا دعوة للتحدي والتصدي في مواجهة كل ما عرفه الأندلسيون من صعاب ومحن، وظروف أحاطت بالدولة الأندلسية داخليا وخارجيا، كالتكيف مع تعاقب فترات الحكم المتتالية التي مرت على الأندلس من مرحلة الفتح إلى سقوط غرناطة آخر معاقل الإسلام بها، إضافة إلى ما ميز هذه المراحل من نشوب بعض الفتن والقلقل التي كانت من أسباب تساقط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى من جهة وتزايد أطماع الطامعين في استردادها من جهة أخرى، ولهذا اتخذ الكتاب والأدباء من الوصية وسيلة للحث على الجهاد وإعلاء كلمة الله والصمود في وجه أعداء الله والدين.

## الفصل الأول:

### أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

كما أن انتشار ظاهرة الزهد والتصوف في المجتمع الأندلسي، جعلت من الوصية سلاحاً فعالاً في ردع الفساد وإصلاح البلاد والعباد، وصيانة المجتمع من تضييع دينه وأخلاقه، وهذا نتيجة لما عرفه الأندلسيون من بعض مظاهر الانحلال الخلقي في ظل حياة الترف والبدخ التي كانوا يعيشونها.

والوصية في الأندلس كانت امتداداً لشقيقتها في المشرق نظراً لتأثير الأدب العربي الأندلسي بنظيره المشرقي، وقد انعكس ازدهار الحضارة في الأندلس إيجابياً على تغيير معالم الوصية وتطوير آفاقها، وهذا بعدما اكتسب الأندلسيون أنوار المعارف المختلفة بانفتاحهم على الثقافات الأخرى، واهتمامهم بشتى العلوم خاصة العقلية منها، وإطلاقهم حرية الفكر والبحث، مع ميولهم إلى الإبداع والتجديد، فهكذا انتقلوا بالوصية من طور العفوية والبساطة والمحاكاة إلى طور جديد خلّدوا من خلاله وصايا زاخرة ومعرفية أودعوا فيها جل معارفهم وثقافتهم وملاحظاتهم المختلفة في الحياة، ومعظم خيراتهم وتجاربهم فيها، ساعدهم في ذلك نزعتهم الفلسفية العميقة، وحسن تفكيرهم وتدبيرهم، ونفاد بصائرهم، وتوقعهم الصائب لأحوال المستقبل.

وهكذا، فقد تباينت أغراض الوصية في الأدب الأندلسي تبعاً لمجموعة من الظروف والأحوال التي أحاطت بحياة الأندلسيين، فكان منها الوصايا السياسية والحربية، والتربوية، والاجتماعية.

## 1- الوصايا السياسية والحربية:

إن نماء الدول وازدهارها مرتبط ارتباطاً وثيقاً باستقرارها السياسي وأمنها الداخلي والخارجي، وهذا يتوقف على القدرة العالية في رسم الخطط

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

الناجعة وإيجاد الوسائل الفعالة التي تضمن التعايش السياسي السليم بين جميع أفراد الأمة الواحدة من أعلى قمة في هرم السلطة إلى أسفلها، وذلك بخلق قوانين ونظم تساعد في تنظيم العلاقات وتحديد الحقوق والواجبات، لأن تحقيق التآلف والتوافق بين الرعية والمسؤولين مطلب أساس.

وضمنا للعيش الكريم في أرض أندلس حباها الله بنعمة الإسلام في عز وأمن، وصيانة لحقوق الرعية، وجد الأندلسيون في الوصية خير وسيلة لإرساء الأسس الصحيحة والقواعد المتينة التي تقوم عليها الدولة الإسلامية وذلك بيث العدل وإقرار مبدأ الشورى، ونبذ الاستبداد والتسلط...

وقد اقتضت الضرورة هنا توجيه وصايا من الحكام إلى أولياء عهدهم، وأخرى موجهة إلى الولاة والقضاة والرعية، وأخرى إلى قادة الجيوش... ووصايا أخرى.

أما الوصايا التي وجهها الحكام فكان منها التي صدرت عنهم مباشرة، وأما الأخرى فقد تكفل بتحريرها كتاب أندلسيون على لسان خلفائهم وأمرائهم أو بأمر منهم، حيث تفننوا في تجويد الكتابة وصناعتها، ولهذا فقد تبوؤوا مكانة عظيمة ومترلة رفيعة لدى الحكام والأمراء حتى أضحووا من أعوان السلطان وأعمدة الدولة، وهذا لاطلاعهم الواسع بشؤون السياسة وأخبارها وخبائرها.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

## أ- وصايا الاستخلاف:

هي من الفنون النثرية التقليدية، وهي نوع من العهود تتضمن آراء وحكما ونصائح يقدمها الحكام والملوك في أيامهم الأخيرة من الحكم لأبنائهم وأولياء عهدهم الذين سيخلفونهم في مناصبهم<sup>(1)</sup>.

ويمكن ههنا، وقبل الخوض في الحديث عن هذه الوصايا، إدراج وصية عبد الرحمن الداخل لابنه عبد الملك المعروف بالبلنسي التي تضمنت الحديث عن اختيار من هو أجدر بإدارة شؤون المسلمين من بعده، الذي يوفر لهم الأمن والاستقرار وهم لا يزالون في بداية وجودهم هناك، ذلك أنه من الأسس المهمة التي تقوم عليها الدول في بنائها هو قيادة حكيمة ورشيدة ذات كفاءة عالية تقود الأمة نحو المجد والرقى بكل أمانة وصدق، وقد ارتأى عبد الرحمن الداخل توفر بعض الشروط في من سيأتي بعده كالثبات على الدين والعفاف والتقوى وحب الناس...

وكان قد عقد الخلافة لابنيه هشام وسليمان؛ إذ كانا غائبين، أحدهما بطليطلة والآخر بماردة، ولما حضرت أبوهما الوفاة، كلف ابنه عبد الملك البلنسي مهمة تسليم الخلافة لإحد أخويه عن طريق هذه الوصية: "من سبق إليك من أخويك، فابراً إليه بالخاتم والأمر، فإن سبق إليك هشام فله فضل دينه وعفافه

---

(1) - ينظر؛ النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس: مضامينه وأشكاله، علي بن محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1990، 1: 179.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

واجتماع الكلمة عليه، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الناس له"<sup>(1)</sup>، فاستحقها هشام باستباقه إلى قصر الخلافة قبل أخيه.

ولقد كان الهدف من إنشاء وصايا الاستخلاف هو وضع المناهج السليمة التي يهتدي إليها ولاة العهد، وإيجاد قوانين ملزمة يعملون بمقتضاها في إدارة شؤون دولهم وممالكهم، وذلك بالعمل بالنصائح والوصايا التي تصدر عن الأمراء والحكماء الذين يعتمدون إلى نقل تجربتهم السياسية وخبرتهم الطويلة في ممارسة السياسة وشؤونها، وذلك من أجل خدمة الإسلام وحماية المسلمين في بلاد الأندلس، وكذلك تجنب المستخلفين الوقوع في الأخطاء والزلل كونهم معرّضين لذلك ولثقل تلك المسؤولية أمام الله والرعية، رغم ذلك التفويض الإلهي الذي يتمتع به الخليفة في الحكم أي أن الله خلقه واختاره ليكون ملكا بتوفيق منه، كما يقول أحد الخلفاء العباسيين: "أيها الناس إنما أنا سلطان في أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده"<sup>(2)</sup>.

وكانت هذه الوصايا عبارة عن دساتير للحكم، تبينت قيمتها في محاولة بناء دولة إسلامية أندلسية على منهج إسلامي صحيح ذات معالم سياسية

---

(1) - أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، أو تاريخ إسبانيا الإسلامية: ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب السلماني، تحقيق وتعليق: إلفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت- لبنان، ط2، آذار 1956: 11.

(2) - البداية والنهاية في التاريخ: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت.744هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1963م، 10: 122.



الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

واضحة لأن "السياسة والدين متلازمان في الإسلام"<sup>(1)</sup> وذلك بتقوى الله وتطبيق أحكام الشريعة وفروضها المختلفة، وإقامة الحدود، وبسط العدل وإحقاق الحق وذلك من أجل حماية المستضعفين ومساعدة المحتاجين وإنصاف المظلومين وعقاب الظالمين وإصلاح المفسدين أو ردعهم، وهذا مما ورد في وصية هشام ابن عبد الرحمن الداخل لابنه وولي عهده الحكم قبيل وفاته، فيقول: "يا بني يجب أن لا تنسى أن الملك لله يعطيه من يشاء ويأخذه ممن يشاء. وقد منحنا الله السلطة ووضع في أيدينا صولجان الملك برحمته الواسعة، فعلينا أن نقدم له الحمد والشكر على نعمائه، وأن ننفذ إرادته بالمعاملة الطيبة لكل الناس، خاصة أولئك الذين يلجؤون إلينا طالبين حمايتنا. كن عادلا سويا مع الفقراء والأغنياء، ولا تترك للظلم سبيلا إلى دولتك فالظلم طريق الضياع، وكن في ذات الوقت رحيفا عطوفا على من يعتمد عليك فكلهم خلق الله. أنزل العقاب بالوزراء والحكام ممن يميلون مع الهوى، ولا يعدلون في شعبك، وكن معهم حازما قويا"<sup>(2)</sup>.

ويظهر أن الحكم بن هشام قد رسم طريقا صحيحة لولي عهده عبد الرحمن لكي يسلكها، وذلك بوضع السبل السليمة التي يجب اتباعها في تولية أمور المسلمين بعد أبيه وتعامله مع الناس لكي لا تنفلت منه أمور القيادة وتعم الفوضى، وذلك لخبرة الحكم السياسية وطول بعه فيها وكفاءته وحكمته، فقد دله على ضرورة الاهتمام بالرعية والأهل والعشيرة والإحسان إليهم، واستمالة

(1) - أدب السياسة في العصر الأموي: أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر بالفحالة، ط1، (د.ت): 10.

(2) - الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا (64-897هـ، 683-1492م) دراسة

نصوص: محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط1، 1400هـ - 1980م: 135.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

قلوب المعارضين، كما يدعوهُ إلى تحكيم العقل في اختيار الولاية ممن هم جديرون باعتلاء هذا المنصب، فيقول: "واعلم أن أولى الأمر بك، وأوجبها عليك، حفظ أهلك ثم عشيرتك، ثم الذين يلوئهم من مواليك وشيعتك، فهم أنصارك وأهل دعوتك ومشاركوك في حلوك ومرك، فيهم أنزل ثقتك، وإياهم واس من نعمتك، وعصابتهم استشعر دون المتوثبين إلى مراتبهم من عوام رعيتك، الذين لا يزالون ناقمين على الملوك أفعالهم، مستثقلين لأعبائهم، فاحسم عليهم ببسط العدل لكافتهم، واعتيام أولى الفضل والسداد لأحكامهم وعمالاتهم، دون أن ترفع عنهم ثقل الهيبة وإصر الرهبة"<sup>(1)</sup>.

ولا يقل المنصور عن الحكم شأنًا وذكاءً ودهاءً وفطنةً سياسية، فهو الآخر لما اشتد به المرض أعطى لابنه عبد الملك بن المظفر توجيهات قيمة لكي يستدل بها بعد وفاة والده، ومن بين الأمور التي أولاهها عناية كبيرة في وصيته: المال، باعتباره دعامة أساسية في قيام الدول، لأن الاستقرار السياسي للدولة وأمنها الداخلي مقرون بوجود المال وحسن تصريفه واستخدامه بطريقة معتدلة، فيقول: "والمال المخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكتك وعدة لحاجة تترل بك، فأقمه مقام الجارح من جوارحك التي لا تبدلها عند الشدة، تخاف منها على سائر جسدك، وأخوك عبد الرحمن قد صيرت له في حياتي ما رجوت أني قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثي، وأخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجد العدو مساعًا بينكما في خلاف وصيتي فيسرع ذلك في نقض أمري، ويجلب الفاقة

---

(1) - المقتبس: ابن حيان القرطبي، حققه وقدم له وعلق عليه، محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (د.ط)، 2001، 2: 229.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي  
إلى دولتي. وقد كفيتك الحيرة فيه، فاكفني الحيف منك عليه، وكذلك سائر  
أهلك فيما صنعت فيهم بحسب ما قررت به خلاصي من مال الله الذي  
بيدك"<sup>(1)</sup>.

### ب- الوصايا المهنية:

إن إدارة شؤون الدول والممالك وتصريف شؤونها وتسيير دواليب  
الحكم فيها مسؤولية ثقيلة، والاهتمام بقضايا الرعية شأن عظيم، فلهذا انقسمت  
المهام بين الحاكم وأعوانه لمساعدته من وزراء وعمال... ووجد الولاة ليكونوا  
خير واسطة بين الرعية الحاكم، وكان القضاة موجودين لتنفيذ الحدود والبحث  
في القضايا والأحكام.

وهنا كانت الوصايا حلقة وصل بين الحاكم ومختلف أعوانه وولاته  
وقضاته لضمان التكافل الجيد بالرعية، وذلك باستناده إلى آليات وضوابط  
تضمن له السير على الطريق الصحيح والمنهج السليم في إصداره مختلف الأحكام  
والأوامر والقرارات.

وكانت غاية هذه الوصايا خدمة الدولة والمجتمع وصيانة حقوق الرعية  
وبسط العدل ونشر الأمن وتثبيته، وذلك بالدعوة إلى الالتزام بأحكام الشريعة  
الإسلامية والتقيد بأوامر الدين ونواهيه عملاً بما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم  
وسيراً على هدي السيرة النبوية الشريفة.

وإقراراً للعدل بين الرعية، وتحديدًا لاختصاص السلطة القضائية وتبيان  
العلاقة بينها وبين سائر السلطات<sup>(1)</sup> أصدر علي بن يوسف مجموعة من الوصايا

---

(1) - أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام: لسان الدين بن الخطيب: 82.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

أتت في شكل رسالة تكفل بتحبيرها أبو عبد الله بن أبي الخصال إلى القاضي أبي محمد عبد الله أحمد بن عمر بن القيسي المالقي أو الوحيدي والتي تضمنت كذلك ضرورة تطبيق الأحكام وتنفيذها بالرجوع إلى الكتاب والسنة، إضافة إلى الحديث عن اختصاصات القضاة وواجباتهم وأعمالهم... ومما جرى الحديث عنه في هذه الوصية دور القاضي في الاهتمام بأمور الرعية واختياره الولاية والعمال، فيقول: "...فاستكشف -وفقك الله- الأحوال وتصورها، واستعلم مع الرعية شأن الرعية وخبرها، فكل ما رفعت إليك من أحوالها، وتظلمت فيه من عمالها، أجرته مع الحق كيف جرى، وعممت بالنظر ولم تخص قضية دون أخرى، فكل بك معصوب وأنت عنهم محاسب وبه مطلوب، ومدار هذا الأمر اختيار الحكام الذين استنبتهم في أقطارك القاسية ونصبتهم في الجهات النائية، فشرطهم الثقة والديانة، والصون والأمانة، فإنهم إذا كانوا بهذه الصفة جرت أمورهم على سبيلها القاصد، وسيرها الراشد، وأمنت في جهات الرعية والأحكام، وأمنا بك فيها من اللبس والمداخلة مع الأيام"<sup>(2)</sup>.

وقد وجه علي بن يوسف وصية أخرى على شكل رسالة من إنشاء أبي القاسم بن الجند إلى أحد عماله، بعدما كان معتادا على إرسال هذه الوصايا إلى عماله وولياته، وضع له فيها خطة يلتزم بها في معالجة شؤون الرعية وإصلاح أمورها والرفق في معاملتها؛ إذ يقول: "وأنت -أعزك الله- ممن يستغني بإشارة

---

(1) - ينظر؛ وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: محمد علي مكّي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، ط1، 1424هـ - 2004م: 35.

(2) - المرجع نفسه: 64-65.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

التذكرة ويكتفي بلمحة التبصرة، بما تأوي إليه من السياسة والتجربة، فاتخذ الحق إمامك، وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك، وارفع لدعوة المظلوم حجابك، ولا تسد في وجه المضطهد المهضوم بابك، ووطئ للرعية -حاطها الله- أكنافك، وابذل لها إنصافك، واستعمل عليها من يرفق بها، ويعدل فيها، واطرح كل من يحيف عليها ويؤذيها"<sup>(1)</sup>.

### ج- وصايا موجهة إلى الرعية:

تمثل الرعية دعامة أساسية في استمرار الدول والممالك واستقرارها والحفاظة على مصالحها، لهذا وجب رعايتها وصيانتها وضمنان حقوقها وكفالتها، فقد كتب الأديب السياسي المحنك أبو عبد الله محمد بن أبي حاتم العمالي المالقي من سجنه قصيدة إلى السلطان<sup>(2)</sup> ضمنها وصايا سياسية حثه فيها على ضرورة الاهتمام بأمور الرعية، وتدبير شؤونهم والنظر في أحوالهم وحفظ حقوقهم، ومما تطرق إليه دعوة السلطان إلى ضرورة رعاية رعيته في وقت الضيق والشدة، وإرجاعها إلى الطريق المستقيم، وتكليفها بالمسؤوليات والواجبات حسب طاقات وقدرات كل واحد منها، فيقول:

---

(1) - وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: محمد علي مكي: 74-75.

(2) - ينظر؛ مقامة حضرة الارتياح، ط. تونس: 21. عن: شعر السجن في الأندلس موضوعاته وظواهره الفنية: إعداد الطالب: مصطفى الغديري، إشراف الأستاذ: عبد السلام الهراس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس - المغرب، 1408 - 1409هـ / 1987 - 1988م: 302.

## الفصل الأول:

أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

وَارْعَ الرِّعِيَةَ فِي ضَيْقٍ وَفِي سَعَةٍ وَرُدَّهُمْ لِطَرِيقِ الرُّشْدِ إِنْ تَاهُوا  
وَلَا تُحْمَلْهُمْ إِصْرًا وَلَا رَهَقًا فَإِنَّهُمْ فِي اضْطِرَابِ الْحَالِ أَشْبَاهُ<sup>(1)</sup>

كما يذكر المالقي السلطان بأن يكون باراً ومحسناً ورحيماً مع رعيته،  
فيوصيه خاصة بمد يد العون إلى المساكين وتفقد حال اليتامى والأرامل، فيقول:

وَأَذْكَرُ يَتِيمًا وَمَسْكِينًا وَأَرْمَلَةً فَمَنْ تَذَكَّرْتَهُ فَالضَّرُّ يَنْسَاهُ  
وَأَمْدُدْ يَدَ الْبَرِّ وَالرَّحْمَةَ لِذِي كِبَرٍ دَنْتَ خُطَاهُ لِدَهْرٍ قَدْ تَخَطَّاهُ<sup>(2)</sup>

وهكذا، فتحقيق التفاهم بين الحاكم والرعية منوط بالاهتمام بشؤونها  
وبمراعاة نشر العدل والإحسان في أوساطها، وضرورة تحقيق العيش الكريم لها،  
مع وجوب توعيتها بمعرفتها لحقوقها وواجباتها، وذلك بترغيبها حيناً وترهيبها  
حيناً آخر، ومعاقبها عند مخالفتها للضوابط والقوانين الملزومة بها حتى يستتب  
الأمن ويتم القضاء على الفتن والفوضى، فكانت الوصية من الوسائل المعتمدة في  
تحقيق ذلك.

وقد كتب أبو بكر بن القصيرة مجموعة من الرسائل تضمنت وصايا من  
السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلسيين يدعوهم فيها إلى  
الطاعة والانقياد والامتثال للأوامر، وذلك إثر الاضطرابات التي عرفها الحكم  
المرابطي في السنوات الأولى من حكمه<sup>(3)</sup>، فمما دعاهم إليه التآزر والاتحاد

(1) - القصيدة موجودة في مقامة حضرة الارتياح: 20-24. عن: شعر السجن في الأندلس موضوعاته  
وظواهره الفنية: مصطفى الغديري: 301.

(2) - المصدر نفسه: 20-24. عن المرجع نفسه: 302.

(3) - ينظر؛ وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، محمد علي مكي: 38.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

والتعاون، والابتعاد عن الأحقاد... فيقول: "ومما نوصيكم به ونحثكم عليه -وهو- ولا توفيق إلا بالله -مجمع صلاح دينكم وديناكم، وداعية انتظام أموركم في أسلاك مناكم-... الائتلاف على الرضا والكون في ذات الحق إخوان وداد، لا ينطوي بعضكم لبعض على حزازات ولا حرارات أحقاد"<sup>(1)</sup>.

ومما أوصاهم به، فيما يخص وجوب الطاعة لولاة السلطان والانقياد لأوامرهم، وذلك لدورهم وقيمتهم الجليلة في خدمة الرعية قوله: "فاسمعوا منه في ذات الله، ولا تخالفوه فيما يراه في مصالحنا ومصالحكم ولا تعصوه، وما دعاكم إليه فابتدروه، وما حد لكم اجتنابه فاجتنبوه وإياكم وما يسخطه من التشغيب عليه فيما ينتجه"<sup>(2)</sup>.

كما يدعوهم إلى احترام الولاة وتقديرهم والابتعاد عن التدخل في شؤون إدارتهم للحكم، وهذا بعدما وجه إليهم إنذارا شديدا يتوعد فيه بمعاقبة من يخرجون عن طاعة الولاة ويعمدون إلى إقامة الفتن، فيقول: "... ويتأذى إليكم من قبل واليكم وخليفتنا فيكم أبي فلان أبقاه الله، وأعزه بتقواه وهو النائب عنا في تدبيركم وإقامة أموركم وسياسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحد معه في ذلك يد، ولا مصدر ولا مورد، ولا مقام ولا مقعد، قد فوضنا إليه في ذلك كله، وأفرضناه النظر في دقه وجله، وكثره وقله، وحكمناه في جميعكم: يثيب من استحق الثواب، ويعاقب من استحق العقاب، ويهين من أساء أشد

(1) - وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: محمد علي مكي: 66 - 67.

(2) - المرجع نفسه: 67 - 68.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

الهوان، ويمتسك منكم بمن أراد، ويسرح من رأى تسريحه، ويعد من كان سبيله الإبعاد"<sup>(1)</sup>.

وقد أنشأ أبو عبد الله بن عياش وصية على شكل رسالة إلى أهل إشبيلية على لسان الخليفة المستنصر بعد تعيين خلف جديد للوالي المتوفى السيد أبي إسحاق ابن الخليفة يوسف وهو أبو إسحاق المنصور يدعوهم فيها إلى استقباله بحفاوة، كما يذكرهم بضرورة التعاون والتشاور فيما بينهم، والقيام بأعمال البر...، فيقول: "وقد عين لكم من تعرفون إيالته الحميدة وطريقته المرضية السديدة، الشيخ الأجل الأعز الأثني الأثير الأفضل أبا إسحاق بن سيدنا الإمام المنصور أمير المؤمنين ابن سيدنا الإمام أمير المؤمنين جعل الله مقدمه عليكم سعيدا، وعرفكم به نموا على ما عهدتم من الخير ومريدا، فارتقبوا قدومه عليكم فلن يكون بحول الله بعيدا، وفي أثناء هذا -وصل الله كرامتكم- فلتحسن آثاركم، ولتطب في المسامع أخباركم، ولتساو في العافية ليلكم ونهاركم، ولتمشوا الأمور خير تمشية، ولتوفوا أعمال البر أفضل توفية، ولتأتمروا بينكم بمعروف، ولا يستطل قوي على ضعيف، ولا شريف على مشروف، والله يوزعكم شكر نعماه، ويعينكم على عز من رحماه بمنه لا ربّ سواه"<sup>(2)</sup>، وكان الهدف من إشعار الرعية بقدم هذا الوالي هو ضبط كيفية التعامل معه لتجنب الفوضى والانقلاب عليه.

(1) - وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: محمد علي مكي: 68.

(2) - رسائل موحدة مجموعة جديدة: تحقيق ودراسة: أحمد عزوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب، ط1، 1416هـ - 1995م، 1: 346.



## د- الوصايا الحربية والعسكرية:

عرفت الأندلس ظروفًا سياسية وعسكرية رافقتها منذ وجودها حتى سقوط آخر مدينة فيها، لذا كانت الغاية من هذه الوصايا الإحاطة بهذه الظروف والتعايش معها؛ كمحاولة القضاء على الفتن والصراعات الدينية، وبعضها الآخر كان دعوة واستصراخًا للجهاد ضد النصارى، وذلك بتوحيد الأمة واستنهاض الهمة، ورض الصف وتوحيد الكلمة من أجل التغلب على أعداء الله وإلحاق الهزيمة بهم، وصيانة الإسلام والمسلمين وحماية مقدساتهم بكل عزم وثبات وصبر.

وقد كان من بين الصراعات التي عرفت الأندلس ذلك الصراع المذهبي بين الشيعة الفاطميين والسنة الأمويين<sup>(\*)</sup>، وتبعًا لهذه الظروف أرسل الحكم المستنصر بالله الوزير محمد بن قاسم بن طلسم إلى المغرب الأقصى بجيش لمحاربة خطر حسن بن قنون الحسين، ومما أوصاه به التحلي بتقوى الله، وبذل كل الجهد والاجتهاد في القضاء على هذا المذهب الشيعي حتى يبتعد عنه أنصاره وأتباعه، وكذلك بأن يدعو الوزير الحسن بن قنون إلى اتباع جادة الطريق، وذلك بالالتزام بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، واقتفاء منهج الخلفاء الراشدين، فيقول: "بتقوى الله ربه، وإيقاظ رأيه وعزمه، استعمال جهده وجدته في مغاورة الفاسق وإخماد ناره، وأمره أن متى أظهره الله تعالى على طائفة من أنصاره أو

(\*)- وقد نشأ هذا الصراع بعد تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب التي ظهرت سنة 305هـ بعد قضائها على الدويلات في النصف الثاني من القرن 2هـ، وقد عمل أهلها على نشر المذهب الشيعي في أوساط الأندلسيين، ولما ازداد خطرهم وحدثهم استوجبت الضرورة القضاء عليهم: محاضرات الدروس النظرية: خالد بلعربي: مقياس التفاعل الحضاري بين دول المغرب والأندلس، جامعة تلمسان، 2007م.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

المقترنين به أو غلب على أهل أرض ممن في طاعته، أن يأخذ بالعفو ويؤثر الصفح، ويقبل واضح العذر ويحسن التجاوز مدكراً حمد الله تعالى وشكره... وأمره بإقامة كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ في أرض يغلب عليها بمشيئة الله تعالى، ويظفر بأهلها ويمحو منها آثار الشيعة المارقة، ويعلي سنة الأئمة الراشدين، حتى ينالهم من بركة ذلك وحلاوته وفضله و منته ما نال الجماعة من رعية أمير المؤمنين بحول الله وقوته"<sup>(1)</sup>.

وقد بعث الحكم المستنصر بالله كذلك، رسالة إلى قائد جيشه عبد الرحمن بن يوسف يوصيه فيها باستشعار الحزم والحذر، وينبهه على ضرورة الحيطة والتحفظ، فيقول: "إن أفضل ما احتمل عليه وعمل به استشعار الحزم وادّراع التحفظ، واستنصاح الاتهام، وإذكاء العيون وبث الجواسيس، ومن حملة الأخبار، حتى لا يخفى لحسن -أهلكه الله- حركة، ولا يتوارى له مذهب"<sup>(2)</sup>. وهذا الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور يوصي بنيه وأهل دولته في العدو بالدفاع عن الأندلس وأهلها، فيقول: "ولو مد الله لنا في الحياة لم نتوان في جهاد كفارها"<sup>(3)</sup>.

وقد نظم أبو بكر الصيرفي شاعر لمتونة والأندلس أبياتا قدمها ليوسف ابن علي بن تاشفين، تضمنت توجيهات تخص قضايا الحرب وشؤونها تعد دستوراً حربياً وخطة يلتزم بها أي قائد جيش في حرب أو معركة، ومما ورد فيها

(1) - الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا، محمد ماهر حمادة: 186-187.

(2) - المرجع نفسه: 185-186.

(3) - وصايا وتوقعات أندلسية: من خلال مخطوط رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير لأبي القاسم محمد بن أبي العلاء بن سماك العاملي، تقديم نجاة المريني، كلية الآداب، الرباط- المغرب: 7.

الحث على ضرورة الإعداد للحرب بالعدة والعدد، والتحلي بالشجاعة والاستبسال في وجه العدو، فيقول:

أهديك من أدب السياسة ما به  
لأنني أدري بها لكنّها  
والبس من الحلق المضاعفة التي  
والهندواني الرقيق فإنه  
واركب من الخيل السوابق عُدّة  
خندق عليك إذا ضربت محلّة  
والواد لا تعبّه وأنزل عنده  
واجعل مناجزة الجيوش عشيةً  
وإذا تضايقت الجيوش بمعركٍ  
واصدمه أوّل وهلة لا تكترت  
واجعل من الطلّاع أهل شهامةٍ  
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفًا

كانت ملوك الفرس قبلك تُولعُ  
ذكرى تحض المؤمنين وتنفّع  
وصى بها صنع الصنائع تُبّع  
أمضى على حدّ الدلاص وأقطع  
حصنًا حصينا ليس فيه مدفع  
صيانة تتبع ظافرا أو تُتبع  
بين العدو وبين جيشك يقطع  
ووراءك الصدق الذي هو أمنع  
ضنك فاطراف الرماح تُوسّع  
شيئا فإظهار النكول يُضعضع  
للصدق فيهم شيمة لا تُخدع  
لا رأي للكذاب فيما يصنع<sup>(1)</sup>

ولعل الدعوة إلى الالتزام بهذه القواعد الصحيحة في الحرب ناتج عن

ضرورة الإصرار على تحقيق النصر، والصمود في وجه العدو، والباعث في ذلك

(1) - مقدمة ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، تحقيق: محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، ط1، 1426هـ -

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي  
الروح الإسلامية القوية التي كان يتمتع بها الأندلسيون من أجل حماية وطنهم  
ورعتهم.

## 2- الوصايا التربوية:

تحظى التربية باهتمام كبير من قبل الدّول، فهي تعتبر حجر الزاوية في بنائها، وقيام المجتمعات من الناحية الثقافية، وتطوّر الأمم ورفقيها حضاريا، من حيث إنّها توجّه سلوك الإنسان وتسهم في تكوين شخصيته تكوينا متكاملًا، فهي ترشده إلى الصّلاح، وتنظم علاقاته المختلفة التي تربطه مع خالقه وأهله وخلائقه وباقي أفراد المجتمع ليحسن التعامل معهم<sup>(1)</sup>.

وهكذا ركزت الوصية الأندلسية على هذا الجانب المهم في الحياة فعملت على تقويم الأخلاق وتهذيب السلوك، من خلال غرس مجموعة من القيم النبيلة، وبث الفضائل المثلى والشيم الرفيعة في المجتمع ونبذ الرذيلة ومحاربة المفسد والمنكرات مستندة في ذلك على ما حملته رسالة الإسلام ومصادر تشريعها، ذلك أن العقيدة الإسلامية ارتكزت في دعوتها كثيرا على تقويم سلوك الإنسان وتنسكه بالأخلاق الرفيعة، عكس المعتقدات الأخرى التي تساير شهوات الإنسان وغرائزه المختلفة.

---

(1) - أصول التربية الإسلامية: سميرة باجاير، <http://alemam.alsajad.com>.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

ولقد اقترنت الوصية بالتربية ذلك باعتبار أن أدب الوصايا باب من أبوابه، وفن من ضرورياته، لهذا عاجلت موضوع التربية من جوانبها الدينية منها، والخلقية والتعليمية:

### أ- من الناحية الدينية:

كانت التربية في الإسلام من الأدوات المثلى التي استخدمها الرسول ﷺ في نشر هذا الدين في الحياة في جميع ميادينها، وتلقين تعاليمه وترسيخ جل مبادئه وقواعده الأساسية، باعتبار أن الرسول ﷺ كان أول من أرسل إلى البشرية جمعاء ليعلّمها الكتاب والحكمة من أجل تطهير النفوس وتزكيتها<sup>(1)</sup>؛ إذ يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(2)</sup>.

وقد وجد الأندلسيون في التربية الدينية طريقة منهجية في تنشئة الفرد الأندلسي تنشئة دينية قويمه، وإعداد شخصيته إعداداً روحياً وفق المنهج الإسلامي الصحيح، وذلك من أجل تحقيق تواصل حقيقي بينه وبين خالقه حتى يخلص العبادة له ويقر بوحدانيته.

ولهذا فقد حفلت مصادر الأدب الأندلسي بعدد من الوصايا وكذلك القصائد والمقطوعات الشعرية التي عنيت بالوعظ الديني والإرشاد الروحي، الذي أراد من خلالها الكتاب والأدباء والوعاظ والفقهاء والشعراء تمتين العلاقة

(1) - التربية في عصر ما قبل الإسلام وبعده: عباس محبوب، مكتبة الدكتور خليل الحذري [uqu.edu.sa](http://uqu.edu.sa).

(2) - سورة الجمعة، الآية: 2.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

بين العبد وربّه من جهة، كما حاولوا رصد الداء الناتج عن تصدع وانشقاق الوحدة الأندلسية، وتشخيص الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ضياع الكيان الأندلسي، وذلك من أجل البحث عن الدواء والذي لعله كان في التقرب من الله وطاعته وعمل الصالحات.

وهكذا فقد، حثت هذه الوصايا على تقوى الله والالتزام بالقيام بالواجبات الدينية والزهد في الدنيا، والتحلي بقوة الإيمان، وذلك بالتوكل على الله، والاستعانة به والصبر على مصائب الدهر...

**تقوى الله والتمسك بدينه:** أوصى الأندلسيون بضرورة تقوى الله والتقرب إليه والتمسك بدين الله واتباع الطريق القويم، ومما أتى من الوصايا في هذا الصدد: قول أبي عبد الله الراعي شمس الدين بن إسماعيل الأندلسي الغرناطي الذي يدعو إلى تقوى الله، والافتداء بمنهج الخلفاء الراشدين، فيقول:

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا شِئْتَ وَاتَّبِعْ      أُمَّةَ دِينِ الْحَقِّ تُهْدَى وَتَسْعَدُ  
فَمَا لِكُفْرِهِمْ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ      وَنِعْمَانُهُمْ كُلٌّ إِلَى الْخَيْرِ يُرْشِدُ  
فَتَابِعْ لِمَنْ أَحْبَبْتَ مِنْهُمْ وَلَا تَمَلْ      لِذِي الْجَهْلِ وَالتَّعَصُّبِ إِنْ شِئْتَ تُحْمَدُ  
فَكُلُّ سَوَاءٍ فِي وَجْهَةِ الْاِقْتِدَا      مُتَابِعُهُمْ جَنَاتٍ عَدْنٍ يُخَلَّدُ  
وَحِبُّهُمْ دِينٌ يَزِينُ وَبُغْضُهُمْ      خُرُوجٌ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْحَقُّ يُعِيدُ<sup>(1)</sup>

(1) - نفع الطيب: من غصن الأندلس الرطيب: أحمد محمد المقرئ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، (د-ط)، 1408هـ - 1988م، 2: 695.

وهذا الحافظ أبو عامر بن عبد البر يوصي ابنه، ومما وصاه به تقوى الله،

فيقول:

وسَارِعْ بتقوى الله سرًّا وجهرةً      فلا ذمَّةٌ أقوى هُدَيْتَ من التَّقْوَى<sup>(1)</sup>

كما أوصى أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالقي ابنه، فقال:

إِذَا عَقَلْتَ فَقُلْ قَدْ      رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا

وَدِينَ الْإِسْلَامِ دِينًا      وَبِالنَّبِيِّ الْمُبَّيَّنِ

مُحَمَّدٌ، قُلْ: رَسُولًا      وَقُلْ نَبِيًّا مُحِبًّا

ثُمَّ اسْتَقِمْ وَاتَّبِعْهُ      تَزِدْ مِنْ اللَّهِ قُرْبًا<sup>(2)</sup>

ومن الوصايا التي وردت في المنامات، ما ذكره الغرناطي في جنة الرضا

أنه رأى الشيخ أبا إسحاق الشاطبي في المنام، وسأله أن يوصيه، فأوصاه بتقوى

الله وخشيته: " لقد رأيت في عالم النوم الشيخ أبا إسحاق الشاطبي رحمه الله ولم

أدرکه بسني لكي علمت في النوم أنه هو، وأخبرته في ذلك وهو رجل أميل

اللون للصفرة، خفيف العارضين، عليه جبة مختصرة، وقبلها ومثلها عري حولي

اللون كأنه ملفّ بلدي الصنع صبغ تلك الصبغة فكنت أسأله أن يوصيني فقال

(1) - نفح الطيب: المقرئ، 4: 29.

(2) - في الأدب الأندلسي: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1، 2000م: 109.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

لي: (اتق الله واخشه) فأخبرت بصفته وملبسه وما صدر لي منه من الوصاة الشيخ الأستاذ أبا عبد الله المجاري - حفظه الله - (\*)(1).

وبعث الخليفة المستنصر بعد هزيمة العقاب، رسالة إلى مسلمي العدوتين يحثهم فيها على التمسك بالدين الأغر الذي هو طريق الخير والسلامة والنجاة، كما يوصيهم بدعوة الناس إلى ضرورة القيام بصالح الأعمال، فيقول: "...وإلى هذا - وصل الله توفيقكم - فقد علمتم أن الدين هو المساس الوثيق، والبناء العتيق، والفسطاط المضروب، والعلم المنصوب، والتَّجْر الذي لا يبور، والطريق الذي لا يجور؛ ومن تحصن به فقد تحصن بالمعقل الأحصن الأرقى، فإذا وقفتم على كتابنا هذا، فجددوا للناس به الذكرى، وعرفوهم أن الدنيا مطية إلى الدار الآخرة، وحُضْوْهم على العمل الصالح، والتَّجْر الرابع، عسى أن يجعلهم الله

---

(\* - يذكر الغرناطي: "والأستاذ عبد الله المجاري - حفظه الله - لكونه ممن لقيه (الشَّاطِي) وأحبرني بأته صفته، وأنَّ اللباس لباسه، وعجب من ذلك لكونه قصده فيما أعلمني به إلى داره أيام حياته طالبا منه الوصاة فقال له: (لقد وصَّك الله تعالى قبلي) ثم تلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ سورة النساء، الآية: 131، ورجح لي بذلك أنَّ الرُّؤْيَا صحيحة، والله وليَّ العفو والمغفرة". عن: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى: أبو يحيى بن عاصم الغرناطي (ت. 857هـ)، تحقيق: صالح جرار، دار البشير، عمان - الأردن، (د.ط)، 1410هـ/1989م، 1: 142.

(1) - المصدر نفسه، 1: 141 - 142.



الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

تعالى في الدارين من الذين لهم البشرى...<sup>(1)</sup>، ولعل الخليفة المستنصر قد وجد تراخي الأندلسيين عن دينهم من الأسباب المباشرة التي أدت إلى هزيمتهم في هذه المعركة.

**الالتزام بالواجبات الدينية:** إن الحرص على القيام بالواجبات الدينية من أهم الأمور التي ينبغي على الفرد أن يقوم بها، وأول هذه الالتزامات الدينية أداء الصلاة في أوقاتها عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾<sup>(2)</sup>.

وقد حرص الأندلسيون على الحث على إقامة الصلاة في وقتها، فالشاعر عبد الكريم القيسي يدعو إلى ذلك، كما يدعو إلى تأديتها بكل إيمان وخشوع، فيقول:

وَأَفِقْ وَقُمْ لَصَلَاتِهِ فِي وَقْتِهَا      إِنَّ الصَّلَاةَ وَسِيلَةٌ هِيَ مَا هِيَ  
وَتَوَابُهَا لِمُقِيمِهَا فِي وَقْتِهَا      لَا مُنْقَصٌ أَبَدًا وَلَا مُتَّاهٍ  
وَأَدِمْ حُضُورَ الْقَلْبِ عِنْدَ أَدَائِهَا      وَاخْشَعْ خُشُوعَ الْقَلْبِ الْقَانِتِ الْأَوَّاهِ  
وَاحْذَرْ إِذَا أَدَيْتَهَا بِجَمَاعَةٍ      مَنْ أَنْ تُرَائِي بِالْأَدَا وَتُبَاهِي<sup>(3)</sup>

(1) - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين: ابن عذارى المراكشي، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيب، عبد القادر رزمارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1406هـ - 1985م: 348.

(2) - سورة النساء، الآية: 103.

(3) - الديوان: عبد الكريم القيسي، تحقيق: جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، (د.ط)، 1988: 287.

كما يوصون بتأديتها في المساجد، هذا ما ورد في وصية ابن الجيان المرسي على لسان ابن هود إلى أخيه، فيقول: "وخذوا بِعِمَارَةِ مَسَاجِدِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ بِيُوتِ الْأَتْقِيَاءِ، وَمَحَلِّ مَنَاجَاةِ ذِي الْعِظْمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾" (1) (2).

وهذا الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية يدعو إلى صوم شهر رمضان وجعله شهر اجتهاد وطاعة لا شهر فكاهاة وهو، فيقول:

لا تجعلنَ رمضانَ شهرَ فكاهاةٍ      تُلهيكَ فيه من القبيحِ فُنُونُهُ  
واعلمَ بأنك لن تنالَ قبُولَهُ      حتى تكونَ تصوُمُهُ وتَصُونُهُ (3)

أما أبو الوليد الباجي فيركز في وصيته التي كتبها لولديه على الالتزام بالواجبات الدينية وبخاصة الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام، فيقول: "وإقام الصلاة فإنها عمود الدين، وعماد الشريعة، وأكد فروض الملة في مراعاة طهارتها، ومراقبة أوقاتها، وإتمام قراءتها، وإكمال ركوعها وسجودها،... ثم أداء زكاة المال، لا تؤخر عن وقتها، ولا يخل بكثيرها، ولا يغفل عن سيرها،... ثم صيام رمضان فإنه عبادة السر وطاعة الرب... ثم الحج إلى بيت الله من استطاع إليه سبيلا فهو فرض واجب..." (4).

(1) - سورة التوبة، الآية: 18.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 413.

(3) - المصدر نفسه، 2: 525.

(4) - مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد: مقدمة لوصية أبي الوليد الباجي لولديه، جودة عبد الرحمان هلال، مدريد، إسبانيا، العدد 3، المجلد 1، 1374هـ-1985م: 33.

الزهد في الدنيا: تحدث الموصون كثيرا في وصاياهم عن ضرورة الزهد

في الدنيا والابتعاد عن زخرفها ومفاتها الخادعة، ومما ورد من الوصايا في هذا

الباب: دعوة أبي الأصبع عبد العزيز بن علي المعروف بابن الطحال الإشبيلي،

إلى ترك الدنيا لعشاقها وأصحابها لأنها مدعاة لهلاك المرء، فيقول:

دَعِ الدُّنْيَا لِعَاشِقِهَا	سَيَصْبِحُ مِنْ رَشَائِقِهَا
وَعَادِ النَّفْسَ مُصْطَبِرًا	وَنَكِّبْ عَنِ خَلَائِقِهَا
هَلَاكُ المرءِ أَنْ يُضْحِيَ	مُجِدًّا فِي عَلَائِقِهَا
وَذُو التَّقْوَى يُدَلِّلُهَا	فَيَسْلَمُ مِنْ بَوَائِقِهَا <sup>(1)</sup>

وأوصى ابن عبد البر باجتنب الدنيا، فقال:

تَحَافَ عَنِ الدُّنْيَا وَهَوْنٌ لِقَدْرِهَا      وَوَفَّ سَبِيلَ الدُّنْيَا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى<sup>(2)</sup>

ويذكر أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي أن

سلوك طريق الزهد هو أفضل الطرق إلى الخير والنجاح في الدنيا، وذلك

بالاستعانة بالله والثقة به، فيقول:

طَرِيقُ الزُّهْدِ أَفْضَلُ مَا طَرِيقُ	وَتَقْوَى اللَّهِ تَالِيَةُ الْحُقُوقِ
فَتَقُ بِاللَّهِ يَكْفِيكَ، وَاسْتَعْنَهُ	يُعْنِكَ، وَدَعُ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ <sup>(3)</sup>

(1) - نفع الطيب: المقرئ، 2: 634.

(2) - المصدر نفسه، 4: 28.

(3) - المصدر نفسه، 2: 115.

## الفصل الأول:

أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

وكذلك يحذر الفقيه الواعظ العالم موسى بن بهيج المغربي الأندلسي من

التقصير في الواجبات الدينية وطاعة الله، والاشتغال بأمور الدنيا الفانية، فيقول:

إِنَّمَا دُنْيَاكَ سَاعَةٌ      فَاجْعَلِ السَّاعَةَ طَاعَةً  
وَاحْذَرِ التَّقْصِيرَ فِيهَا      وَاجْتَهِدْ، مَا قَدَرُ سَاعَةٍ<sup>(1)</sup>

والحديث عن الزهد في الدنيا هو حديث عن القناعة والرضا، وهو ما

عبر عنه السميصر في أيامه الأخيرة قائلاً:

دَعَّ عَنْكَ مَالاً وَجَاهًا      لَا عَاشِ إِلَّا الْكَفَافُ  
قُوتٌ حَالَالٌ وَأَمْنٌ      مِنْ الرَّدَى وَعَفَافُ  
وَكُلُّ مَا هُوَ فَضْلٌ      فَإِنَّهُ إِسْرَافٌ<sup>(2)</sup>

التذكير باليوم الآخر: إن طاعة الله والالتزام بواجباته الدينية والزهد في

الدنيا هي تعبير للطريق إلى الجنة، مبتغى كل عامل ومطمح كل مؤمن؛ ولكي

يواظب الإنسان على أعماله الصالحة ويجتهد أكثر في إخلاص العبادة لا بد له

من بعض المحفزات على ذلك؛ كالتذكير بالموت ويوم الحساب والعقاب، ومن

بين الوصايا التي صدرت في هذا الصدد: وصية لعبد الملك بن إدريس الجزيري؛

ومما تضمّنته تذكير أبنائه بالموت واليوم الآخر للعمل لأجله، فيقول:

ولكلّ حيٍّ مدّةٌ فإذا انقضتْ      بدؤوا يومِ حمّامِهِ لَمْ يُنْظَرِ

(1) - نفع الطيب: المقري، 2: 221.

(2) - الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4،

## الفصل الأول:

أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

فاعمَلْ لَدَاكَ الْيَوْمَ إِنَّكَ مَيِّتٌ      قَبْلَ الْمُضِيِّ إِلَى الْمُمِيتِ الْمُنْشَرِ  
مَا دُمْتَ فِي مَهَلٍ وَأَعْمَالِ التُّقَى      لَكَ بِالْحَيَاةِ مَبَاحَةٌ لَمْ تُحْجَرِ  
وَارْغَبْ عَنِ الدُّنْيَا فَإِنَّ وِرَاءَهَا      يَوْمًا ثَقِيلًا ذَا غِفَارٍ مُصْغَرِ<sup>(1)</sup>

ويذكر القاضي الأستاذ أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي نزيل إفريقيا

بيوم الحساب والعقاب، كما يحذر من بغتة الموت، فيقول:

هُوَ الْمَوْتُ فَاحْذَرُ أَنْ يَجِيئَكَ بَغْتَةً      وَأَنْتَ عَلَى سُوءٍ مِنَ الْفِعْلِ عَاكِفٌ  
وَإِيَّاكَ أَنْ تَمْضِيَ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً      وَلَا لَحْظَةً إِلَّا وَقَلْبُكَ وَاجِفٌ  
فَبَادِرْ لِأَعْمَالِ تَسْرِكَ أَنْ تَرَى      إِذَا طُوِيَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ  
وَلَا تَيَأْسَنْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّهُ      لَرُبُّ الْعِبَادِ بِالْعِبَادِ لَطَائِفُ<sup>(2)</sup>

كما يدعو ابن عبد ربه إلى المبادرة إلى التوبة قبل أن يفاجأ العبد بالموت،

فيقول:

بَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ الْخُلُصَاءِ مُجْتَهِدًا      وَالْمَوْتُ وَيَحَكَ لَمْ يَمْدُدْ إِلَيْكَ يَدًا  
وَارْقُبْ مِنَ اللَّهِ وَعَدَا لَيْسَ يَخْلُفُهُ      لِابِدِّ اللَّهِ مِنْ إِنْجَازِ مَا وَعَدَا<sup>(3)</sup>

(1) - قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والسنة (ت.364هـ)، تحقيق: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1994: 62.

(2) - نفع الطيب: المقرئ، 4: 322.

(3) - الديوان: ابن عبد ربه، تحقيق: محمد رضوان الداية، مسؤولة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1399هـ/1979م: 50.

**الصبر:** وهو مفتاح الفرج؛ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>؛ لهذا دعت الوصايا الأندلسية إلى التحلي بالصبر وقت الشدائد

والحن، ومنها قول ابن الجيش:

قالوا تصبر عن الدنيا الدنية أو كُنْ عَبْدَهَا وَاصْطَبِرْ لِلذُّلِّ وَاِحْتَمِلْ

لا بدَّ من أحد الصَّابِرِينَ، قُلْتُ: نعم الصَّبْرُ عَنْهَا بِعَوْنِ اللَّهِ أَوْفَقُ لِي<sup>(2)</sup>

ويقول أيضا:

اطلبْ لنفسك فوزها واصبرْ لها نظرَ الشفيقِ وخفْ عليها واتق

منْ ليسَ يرحمُ نفسه ويصُدُّها عمَّا سيهلكها فليسَ بمُشفقٍ<sup>(3)</sup>

**طاعة الوالدين:** قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا ۗ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا

كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(4)</sup>.

إنَّ طاعة الوالدين والبرَّ بهما واجب، حث الدين عليه، وهاهو أبو مروان

عبد الملك بن إدريس الجزيري يحث أبناءه على ذلك، فيقول:

ثمَّ اقضِ حقَّ الوالدينِ وقمَّ بما فرض الكتابُ عليك منه وابدِر

(1) - سورة البقرة، الآية: 153.

(2) - نفع الطيب: المقري، 3: 227.

(3) - المصدر نفسه، 3: 227.

(4) - سورة الإسراء، الآيتان: 23 - 24.

## الفصل الأول:

أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

وَأَمْنَحُهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاشْكُرْ  
تَمَهَّدْ لِنَفْسِكَ لَوْ فَعَلْتَ وَتَذَخَّرْ<sup>(1)</sup>

أَوْسِعْهُمَا بَرًّا وَلَا تَنْهَرُهُمَا  
وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ رَحْمَةً لِكِلَيْهِمَا

### ب- من الناحية الخلقية:

لقد نبه الموصون على ضرورة الاتصاف بالخلق الحسن والأخذ بالمثل العليا والشيم الرفيعة، التي دعا الدين إلى التحلي بها باعتبارها جوهر الدين وركيزة أساس فيه، يقول الرسول ﷺ: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"<sup>(2)</sup>، فهي تعمل على تهذيب الطباع، وتسهم في بناء مجتمع راق متوازن يتماشى مع متطلبات الحضارة في حدود تعاليم الإسلام وأسسها المتينة، ومما خلفه الأندلسيون من وصايا في هذا المجال: وصية للشيخ أبي عثمان سعد بن ليون التجيبي يحث فيها على الأخذ بفضائل الأخلاق، فيقول:

قَاتِلْ عَدُوَّكَ بِالْفَضَائِلِ إِنَّهَا  
أَعْدَى عَلَيْهِ مِنَ السُّهُامِ النَّفْدِ  
كَسْبُ الْفَضَائِلِ عُدَّةٌ تُعْلِيكَ فِي  
رُتَبٍ بِهَا سُبُلُ السَّعَادَةِ تَحْتَذِي  
فَاخْرِصْ عَلَى نَيْلِ الْفَضَائِلِ جَاهِدًا  
إِنَّ الْفَضِيلَةَ صَعْبَةٌ فِي الْمَأْخِذِ<sup>(3)</sup>

ويقول أيضا:

(1) - قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: 58.

(2) - رواه البخاري في الأدب المفرد، وكذلك في سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، جمع وتجرید أبو عبيدة شهور بن حسن آل سعان، مكتبة المعاجم للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، (د.ط)، (د.ت): 28.

(3) - نفع الطيب: المقرئ، 5: 585.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

لا تَطْلُبُ الْمَرْءَ بِمَا اعْتَدَتْ مِنْ      أَخْلَاقِهِ وَ الْمَرْءَ فِي وَهْنِ  
تَنْتَقِلُ الْأَخْلَاقُ لَا شَكَّ مَع      تَنْقُلُ الْحَالَاتِ وَالسِّنِ<sup>(1)</sup>

كما يذكر بأهمية الأخلاق الحسنة وأثرها على حياة الفرد، فيقول:

مَنْ حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ عَاشَ فِي      نُعْمَى وَفِي عِزٍّ هَنِيٍّ وَوُدٍّ  
وَمَنْ تَسَوُّوا لِلخَلْقِ أَخْلَاقَهُ      يَعِشُ حَقِيرًا فِي هُمُومٍ وَكَدٍّ<sup>(2)</sup>

ومن جملة هذه الصفات الحسنة: فعل الخيرات وهي ما يدعو ابن ليون

التجيبى إليها قائلا:

افعل الخير ما استطعت تَنَلْ مَا      تَبْتَغِيهِ مِنَ الشَّاءِ الْجَمِيلِ  
فَاعِلُ الْخَيْرِ آمِنٌ لَيْسَ يَخْشَى      صَرَفَ الدَّهْرِ وَلَا حُلُولَ جَلِيلِ<sup>(3)</sup>

كما تَضَمَّنَتْ وصية عبد الحق بن سبعين لتلامذته وأتباعه الحديث عن التحلي بمكارم الأخلاق؛ بالابتعاد عن الشهوات وفعل الخيرات...، ومنها قوله: "وجاهدوا النفس في اجتناب الشهوات، وكونوا أوّابين توابين، واستعينوا على الخيرات بمكارم الأخلاق، واعملوا على نيل الدرجات السنية، ولا تغفلوا عن الأعمال السنية، وحصلوا مخصص الأعمال الإلهية ومهملها، وذوقوا مفصل الذات الروحانية ومحملها، ولازموا المودة في الله بينكم..."<sup>(4)</sup>.

(1) - نفح الطيب: المقري ، 5: 568.

(2) - المصدر نفسه ، 5: 556.

(3) - المصدر نفسه، 5: 593.

(4) - الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط2، 1393هـ- 1973م، 4: 36-37.



ويدعو ابن ليون التجيبي إلى اجتناب الحسد، فيقول:

دَعِ الْحَسُودَ تُعَاتِبُهُ لَظَى حَسَدِهِ      حَتَّى تَرَاهُ لَقِيَ يَمُوتُ مِنْ كَمَدِهِ  
مَا لِلْحَسُودِ سِوَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَأَنْ      يَبْقَى إِلَى كَرْبِهِ فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ<sup>(1)</sup>

وكذلك يدعو إلى الإحسان إلى الجار، فيقول:

لِلجَارِ حَقٌّ فَاعْتَمِدْ بِرَّهُ      وَاحْمِلْ أَذَاهُ مُغْضِبًا سَاتِرًا  
فَاللَّهُ قَدْ وَصَّى بِهِ فَاعْتَفِرْ      زَلَلَهُ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَا<sup>(2)</sup>

ويذكر عبد المالك بن إدريس الجزيري بضرورة صدق الحديث ، وحفظ

الوعود والأيمان، فيقول:

وَاصْدُقْ حَدِيثَكَ كُلَّ مَنْ حَدَّثَهُ      وَاصْدَعْ بِحَقِّ فِي قَضَائِكَ تُشْكِرْ  
وَاحْفَلْ بِوَعْدِكَ وَارْعَ كُلَّ أَمَانَةٍ      وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ خُطَّةَ الْوَافِي السَّرِيِّ<sup>(3)</sup>

### ج- من الناحية التعليمية:

اهتمت الوصايا الأندلسية كثيرا بالحض على طلب العلم وتلقينه، وغرس

حبه في النفوس، وهذا بعدما نوه الموصون بقيمة العلم ودوره في بناء الفرد

وتنمية ملكاته حسب استعداداته الفطرية والذهنية، مبينين أولوية العلوم

وأحقيتها بطلبها، مذكرين بالنافع والضار منها، وهذا ما سينعكس إيجابا في

النهوض بالمجتمع نحو المجد والرقي، ومما ورد من وصاياهم في هذا الشأن: دعوة

(1) - نفع الطيب:المقري، 5: 561.

(2) -المصدر نفسه، 5: 548.

(3) - قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: 60.

## الفصل الأول:

أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

محمد بن عبد الرحيم المازني القيسي الغرناطي إلى الالتزام بالجدية في تحصيله مع ضرورة حفظه وفهمه للعمل به، فيقول:

العِلْمُ فِي الْقَلْبِ لَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْكُتُبِ      فَلَا تُكُنْ مُغْرَمًا بِاللَّهُوِ وَاللَّعِبِ  
فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به      فالعلم لا يجتنى إلا مع التعب<sup>(1)</sup>

وهذا أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري الأندلسي يحث ولده على

طلبه، مشيدا بأهميته، فيقول:

أبا بكر دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا      إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَلْتَا  
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا      مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا  
وَيَجْلُو بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا      وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقُ إِذَا ضَلَلْتَا  
وَتَحْمَلُ مِنْهُ فِي نَادِكَ تَاجًا      وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا عَرَيْتَا  
يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا      وَيَقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا  
هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَنْبُو      تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ أَرَدْتَا  
وَكَنْزًا لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصَا      خَفِيفُ الْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا  
يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ      وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفَّا شَدَدْتَا  
فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حُلْوَاهُ طَعْمًا      لَأَثَرْتَ التَّعْلَمَ وَاجْتَهَدْتَا<sup>(2)</sup>

(1) - نفع الطيب: المقرئ، 2: 236.

(2) - ديوان أبي إسحاق الألبيري: إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الألبيري، تحقيق: رضوان محمد الداية، دار قتيبة، دمشق - سوريا، ط2، 1401هـ/1981م: 26.

ويوصي أبو طالب عبد الجبار في أرجوزته باتخاذ العلم لذاته لا للتباهي

به، ووجوب استثماره في التفكير والاستدلال والاستنباط، فيقول:

أوصيك يا مَنْ يطلبُ العُلُومَا	أَنْ تَعْرِفَ المَوْهُومَ وَالْمَعْلُومَا
وَلَا تَقْلُ بِالْمَيْلِ لِلتَّقْلِيدِ	فَذَاكَ رَأْيُ الكَوْدَنِ البَلِيدِ
وَاتَّخِذْ العِلْمَ لِنَفْسِ العِلْمِ	لَا لِلْمُبَاهَاةِ وَلَا لِلخَصْمِ
وَالعِلْمُ، إِنْ أَرَدْتَ حَدَّ مَطْلَبِهِ	مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ
وَالعِلْمُ عِلْمَانِ أَيَا مَنْ يَبْحَثُ	عِلْمٌ قَدِيمٌ ثُمَّ عِلْمٌ مُخَدَّثُ
إِنَّ القَدِيمَ عِلْمُ رَبِّ العَرْشِ	بَارِي البَرِيَّةِ الشَّدِيدِ البَطْشِ
وَمُخَدَّثٌ فَذَاكَ عِلْمُ الخَلْقِ	مِنْ نَاطِقٍ وَغَيْرِ مَا ذِي نُطْقِ
وَكُلُّ عِلْمٍ مُخَدَّثٌ عِلْمَانِ	عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِلَا بُرْهَانِ
كَالعِلْمِ أَنْ اثْنَيْنِ ضِعْفٌ وَاحِدِ	وَأَنْ لَيْسَ قَائِمٌ كَقَاعِدِ
وَبَعْدَهُ فَعِلْمُ الاستِدْلَالِ	وَالْمَنْطِقِ البَاحِثِ عَنَ أَحْوَالِ
مَا فِيهِ مَا يَنْظُرُ مَنْ يُفَكِّرُ	يُدْرِكُ هَذَا كُلُّ مَنْ يَعْتَبِرُ
وَصَانِعُ العَالِمِ فَرْدٌ صَمْدُ	وَالصُّنْعُ لَمْ يَشْرِكْهُ فِيهِ أَحَدُ
فَصُنْعُ الاثْنَيْنِ اشْتِرَاكٌ مِنْهُمَا	لَا يَخْلُوانِ مِنْ تَغَايُرِهِمَا <sup>(1)</sup>

ويشير ابن الجنان المرسي في الوصية التي كتبها على لسان ابن هود لأخيه

إلى قيمة تعليم كتاب الله للصغار، فيقول: "ومروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب

(1) - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتري، تحقيق: إحسان عباس، دار

الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 2000م، القسم الأول، 2: 699.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي  
الله تعالى، فإن تعليمه للصغار يطفى غضب الرب، ونعم الشفيح هو يوم  
القيامة<sup>(1)</sup>.

### 3- الوصايا الاجتماعية:

لقد عاجلت الوصايا الأندلسية الشعرية والنثرية الموضوعات الاجتماعية،  
التي شملت الحديث عن كيفية التعامل في الحياة مع الآخرين، وطرق العيش في  
الحياة وتسيير شؤونها وأمورها، وذلك بالاستفادة من تجارب السابقين الذين  
جربوا الحياة وخبروها تحقيقا للتواصل مع الآخرين والتفاعل معهم إيجابيا.  
ومن الأغراض التي طرقتها: الحث على العمل والحزم، ومعاشرة الناس  
والتعامل معهم بالحسنى.

#### أ- الحزم والعزم:

دعا الموصون إلى الحزم والعزم واجتناب الكسل، ومن الوصايا التي  
وردت في هذا المعنى: ما يذكره ابن ليون التجيبي، فيقول:  
لا تترك الحزم في كل ما تُريد، ولا تبغ ما يصعب<sup>(2)</sup>  
ويقول أيضا:

لا تترك الحزم في شيء فإن به  
من ضيع الحزم تصحبه الندامة في  
تمام أمرك في الدنيا وفي الدين  
أيامه ويرى ذل المهاوين<sup>(3)</sup>

(1) - نفح الطيب: المقرئ، 7: 413-414.

(2) - المصدر نفسه، 5: 546.

(3) - المصدر نفسه، 5: 550.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

ويوصي عبد المالك بن مروان بن إدريس الجزيري بالحزم، فيقول:  
واشْرَحْ بِكُلِّ مُلِمَّةٍ صَدْرًا، وَخُذْ بِالْحَزْمِ فِي بُهْمِ الْأُمُورِ وَشَمِّرْ<sup>(1)</sup>

### ب- معاملة الآخرين:

لقد كانت وصايا الأندلسيين دروساً قيمة يحسن العمل بها في خضم التعامل مع الآخرين في الحياة.

فهذا أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي بن سعيد يوصي ابنه ببعض السبل التي تكفل له التعامل الجيد مع الأصحاب معاملة حسنة يصحبها الحذر والاحتراس، فيقول: "يا بني وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغير، وقد قيل: اصحب من شئت فإنك مفارقه، فمتى فارقت أحدا فعلى حسن القول والفعل، فإنك لا تدري هل أنت راجع إليه... واحرص على ما جمع قول القائل: ثلاث تُبقي لك الود في صدر أخيك، أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه، واحذر كل ما بينه لك القائل: كل ما تغرسه تجنيه إلا ابن آدم فإنك إذا غرسته يقلعك، وقول الآخر: ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن، وقول الآخر: ابن آدم ذئب مع الضعف، أسد مع القوة، وإياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تطيل اختباره، ويحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فجأوبه: إن الصحبة رقة، ولا رقة في يدك حتى أعرف كيف ملكتك، واستملم من عين من تعاشره، وتفقد في فلتات الألسن وصفحات

(1) - قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: 59.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

الأوجه، ولا يملك الحياء على السكوت عما يضرك أن لا تبينه، فإن الكلام سلاح السلم، وبالأين يعرف ألم الجرح، واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك، وأكد ما أوصيك به أن تطرح الأفكار، وتسلم للأقدار"<sup>(1)</sup>.

ومما أوصى به الأستاذ أبو حيان أهله لما قدم إلى مصر؛ كيفية تعامل العاقل مع الناس وذلك بضرورة التحفظ والتحرز من الأصدقاء، فيقول: "ينبغي للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق، وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ منه والتحرز، وليكن في التحرز من صديقه أشد من التحرز من عدوه وأن يعتقد أن إحسان شخص لآخر وتودده إليه إنما هو لغرض قام له فيه يتعلق به بيعته على ذلك لا لذات ذلك الشخص"<sup>(2)</sup>.

وكذلك معاملة الناس حسب قدراتهم العقلية ومدى إدراكهم وفهمهم للأمر، مع تجنب الاستخفاف والازدراء بهم، فيقول: "وأن يعذر الناس في مباحثهم وإدراكهم فإن ذلك على حسب عقولهم، وأن يضبط نفسه عن المراء والاستزراء والاستخفاف بأبناء زمانه، وأن لا يبحث إلا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث، وأن لا يغضب على من لا يفهم مراده

---

(1) - نفع الطيب: المقري، 2: 358-359.

(2) - المصدر نفسه، 2: 565.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

ومن لم يدر ما يدركه، وأن يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد، وأن لا يقدم على تخطئة أحد ببادي الرأي"<sup>(1)</sup>.

وهذا محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية يوصي بمعاشرة الناس

بالخير مع اجتناب الدينء منهم، فيقول:

عاشِرِ النَّاسَ بِالْجَمِيــ  
وَاحْتَرِسْ مِنْ أذى الكِرا  
لا يسوّدُ الجميـعَ مَنْ  
ويحسوطُ الأذى ويـرُ  
لِ وَسَدِّدْ وَقـارِبُ  
مِ وَجُذِّدْ بِالْمُواهِبُ  
لَمْ يَقُمْ بِالتَّوَائِبُ  
عَلى ذِمَامِ الأَقَارِبِ<sup>(2)</sup>

ويقول أيضا:

لا تُواصِلْ إِلاَّ الشَّرِيـ  
مَنْ لَهُ خَيْرُ شَاهِدِ  
وَاجْتَنِبْ وَصَلَ كُلِّ وَغـ  
فَ الكَرِيمِ المَنَاصِبُ  
ولَهُ خَيْرُ غَائِبُ  
دِ ذَنبِيءِ المَكاسِبِ<sup>(3)</sup>

وهذا الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية يحذر من خلفاء الزمان، وينبه على

التحفظ من الإنسان، فيقول:

كُنْ بِذَنْبِ صَائِدٍ مُسْتَأْنَساً  
إِنَّمَا الإنسانُ بَحْرٌ ما لَهُ  
وَإِذا أَبْصَرْتَ إنساناً فَفَرُّ  
ساحِلٌ فاحذره إِيّاكَ العَرَرُ

(1) - نفع الطيب: المقرئ، 2: 565-566.

(2) - المصدر نفسه، 4: 118.

(3) - المصدر نفسه، 4: 119.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

واجعلِ الناسَ كشخصٍ واحدٍ ثم كن من ذلك الشخص حذراً<sup>(1)</sup>

### ج- حفظ اللسان وكتمان السر:

وأوصى الأندلسيون بضرورة حفظ اللسان لأنه مجلبة للأذى والمهالك،

فصيانة اللسان تعود بالخير على صاحبها، ومما ورد من الوصايا في ذلك: ما قاله

أبو القاسم بن الأنقر السرقسطي:

احفظ لسانك والجوارح كلها فلكل جارحة عليك لسان

واخزن لسانك ما استطعت ليث هصور والكلام سيان<sup>(2)</sup>

ويحذر أبو بكر الجزار السرقسطي من زلات اللسان، فيقول:

إياك من زلل اللسان فإنما عقل الفتى في لفظه المسموع

والمرء يختبر الإناء بنقره ليرى الصحيح به من المصدوع<sup>(3)</sup>

وينبه محي الدين بن عربي إلى ضرورة حفظ السر وكتمه وعدم البوح به،

فيقول:

نبه على السر ولا تُفشيهِ فالبوح بالسر له مقت

على الذي بيديه فاصبر له واكتمه حتى يصل الوقت<sup>(4)</sup>

(1) - نفع الطيب: المقرئ، 2: 524.

(2) - المصدر نفسه، 4: 114.

(3) - المصدر نفسه، 3: 598.

(4) - المصدر نفسه، 2: 184.



الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

## د- معاملة النساء:

يوصي الشاعر أبو عبد الله بن حداد بخيانة المرأة التي تخون عهد زوجها،

فيقول:

خُنَّ عَهْدَهَا مِثْلَ مَا خَانَتْكَ مِنتَصِفًا      وَامْنَحْ هَوَاهَا بِنَسِيَانٍ وَسَلْوَانِ

فَالغَيْدُ كَالرَّوْضِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ      وَإِنْ مَرَّ جَانِ أْتَى مِنْ بَعْدِهِ جَانٌ<sup>(1)</sup>

## هـ- عدم الاغتراب :

وأوصى ابن جبير بعدم الاغتراب عن الوطن، فقال:

لَا تَعْتَرِبْ عَنْ وَطَنٍ      وَادْكُرْ تَصَارِيفَ النَّوَى

أَمَا تَرَى الْغُصْنَ إِذَا      مَا فَارَقَ الْأَصْلَ ذَوَى<sup>(2)</sup>

## و- السفر والتجوال:

والعكس من ذلك، يدعو ابن خاتمة الأنصاري إلى السفر والتجوال،

فيقول:

سَافِرٌ تَتَلَّ بِالْأَسْفَارِ كُلَّ عُلَا      وَتَشْفِ النَّفْسَ مِنْ مَآرِبِهَا<sup>(3)</sup>

ويقول أيضا:

جُلِّ فِي بِلَادِ اللَّهِ نَحْوَ الْعُلَا      وَكَتَجْتَنِبُ أَهْلًا وَأُوطَانًا<sup>(4)</sup>

(1) - نفح الطيب: المقرئ، 3: 505.

(2) - المصدر نفسه، 2: 382.

(3) - الديوان: ابن خاتمة الأنصاري، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1972: 137.

(4) - المصدر نفسه، 137.

#### 4- وصايا أخرى:

ومن المجالات التي خاضت فيها الوصية في الأندلس توصية أصحاب المناصب والوظائف، خاصة الحساسة والخطيرة منها، فمثلا عبد الكريم القيسي يوصي القاضي باتباع ما نصت عليه الشريعة ونصوصها، وكذلك بالتدقيق والبحث وإعادة النظر في إصدار الأحكام قبل فوات الأوان، فيقول:

أعدُ نظراً فيما أتيت به فقدُ      بدا هذا الفعلُ منك تهكُّم  
وبادر زمانَ الحكمِ من قبلِ فوتهِ      فما كلُّ وقتٍ أنتَ تقضي وتحكُّم<sup>(1)</sup>

ومما ينصح به القضاة في كيفية التعامل مع الشهود، فيقول:

بذلُ النصيحة واجبٌ لك سيدي      فأصخ فعنك نصيحتي لم أخزن  
إنَّ العُدُولَ من الشُّهود يسوؤُهُم      جعلُ المبرِّزِ منه كالمخزن<sup>(2)</sup>

وأوصوا كذلك بالشيب حتى لا ينخدع به، فتقول أمّ العلاء بنت

يوسف الحجارية لرجل كانت تحبه:

الشَّيب لا يُخدع فيه الصِّبَا      بحيلةٍ فاسمع إلى نصحي  
فلا تكنُ أجهلَ من في الوري      بيت في الجهل كما يُضحى<sup>(3)</sup>

وأشاروا إلى ضرورة اقتصاد المال لاستثماره عند الحاجة، فيذكر في هذا

الصّدّد ابن منصور أبو الحسين:

(1) - الديوان: عبد الكريم القيسي: 215.

(2) - نفع الطيب: المقرئ، 245.

(3) - المصدر نفسه، 4: 169.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

إِذَا عَرَّثَكَ عَيْلَةً      يَعْجِزُ عَنْهَا مَا تَجِدُ  
فَلتَقْتَصِرْ فَإِنَّهُ      مَا عَالَ قَطُّ مُقْتَصِدٌ<sup>(1)</sup>

كما أوصوا في الوقت نفسه باجتناّب البخل والتحلّي بالكرم؛ إذ يقول

أبو محمد بن صارة:

اسْعُدْ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ وَلَا تَكُنْ      تُبْقِي عَلَيْهِ حِذَارَ فَقْرٍ حَادِثٍ  
فَالْبُخْلُ بَيْنَ الْحَادِثِينَ، وَإِنَّمَا      مَالُ الْبَخِيلِ لِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ<sup>(2)</sup>

وأوصوا كذلك بالتواضع وحذروا في ذلك من التشهير في اقتناء الملابس

والثياب، فيقول ابن جبير:

إِيَّاكَ وَالشُّهُرَةَ فِي مَلْبَسٍ      وَالْبَسُ مِنْ الْأَثْوَابِ أَسْمَالَهَا  
تَوَاضَعُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ      أَشْرَفُ لِلنَّفْسِ وَأَسْمَى لَهَا<sup>(3)</sup>

وقد ألف ابن حزم وصايا في باب العشق منها: وصيته التي يوصي فيها

المحبين بتخيّر سفرائهم، فيقول: "ويجب تخييره وارتياحه واستجادته واستفراجه،

فهو دليل عقل المرء، ويده حياته وموته وستره وفضيحته بعد الله تعالى، فينبغي

أن يكون الرسول ذا هيئة، حاذقا يكتفي بالإشارة، ويقرطس عن الغائب،

ويحسن من ذات نفسه، ويضع من عقله ما أعقله باعته، ويؤدّي إلى الذي أرسله

(1) - نفع الطيب: المقرّي، 4: 121.

(2) - المصدر نفسه، 4: 117-118.

(3) - المصدر نفسه، 2: 485.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي  
كلّ ما يشاهد على وجهه، كأنّما كان للأسرار حافظاً، وللعهد وفيّاً، قنوعاً  
ناصحاً<sup>(1)</sup>.

ويوصي السّميسر بالابتعاد عن الجاه والسّلطة، فيقول:  
إِذَا شِئْتَ إِبْقَاءَ أَحْوَالِكَ      فَلَا تُجْرَ جَاهًا عَلَى بَالِكَ  
وَكُنْ كَالطَّرِيقِ لِمُجْتَازِهَا      يَمُرُّ وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ<sup>(2)</sup>  
كما أوصى الأندلسيون بإكرام الضيف، ومّا ورد من ذلك في كتاب  
الوصايا: "عليك بإكرام الضيف... فإن كان الضيف مقيماً فثلاثة أيّام حقّه  
عليك، وما زاد فصدقة، وإن كان مجتازاً فيوم وليلة جائزته"<sup>(3)</sup>.

وقد حثّ ابن عربي كذلك، على ضرورة عيادة المريض لما في ذلك من  
الاعتبار؛ إذ يقول: "وعليك يا أخي بعيادة المرضى لما فيها من الاعتبار والذكرى  
فإنّ الله خلق الإنسان من ضعف فينبّهك النظر إليه في عيادتك على أصلك  
لتفتقر إلى الله بقوة يقويك بها على طاعته، ولأنّ الله عند عبده إذا مرض، ألا  
ترى إلى المريض ما له استغاثة إلاّ بالله ولا ذكرى إلاّ الله، فلا يزال الحقّ بلسانك  
منطوقاً به وفي قلبه التجاء إليه، فالمريض لا يزال مع الله أيّ مريض كان ولو

---

(1) - طوق الحمامة في الألفة والألاف: ابن حزم الأندلسي، ضبط خطّه وحرّر هوامشه: طاهر مكّي، دار  
المعارف القاهرة، مصر، ط2، 1977م: 66.

(2) - نفع الطيب: المقرئ، 4: 117.

(3) - الوصايا لابن عربي: محي الدين أبي عبد الله الحاتمي الطّائفي الأندلسي المعروف بابن عربي  
(ت. 638هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت): 110.

الفصل الأول: أغراض الوصية في الأدب الأندلسي  
تطّبت وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها ومع ذلك فلا يغفل عن  
الله، وذلك لحضور الله عنده<sup>(1)</sup>.

ومّا ورد عن الأندلسيين في باب التّوصية بالآخرين: رسالة وجّهها  
الغزالي إلى يوسف بن تاشفين يوصيه خيرا بالإمام ابن العربي وولده محمد<sup>(2)</sup>،  
ورسالة للطروطوشي يبدو أنّها كتبت سنة 493هـ-1099م بعد وفاة ابن العربي  
والد أبي بكر؛ إذ إنّها لا تتضمّن إلاّ توصية بالابن وحده، وقد وجّه كلامه إلى  
الأمير يوسف بن تاشفين<sup>(3)</sup>.

وهكذا، تنوّعت أغراض الوصية في الأندلس وتعدّدت مجالاتها واتّسعت  
سياقاتها سعة الحياة، لأنّها شملت جميع ظروف تعايش الفرد الأندلسي مع محيطه  
وأحواله المختلفة، ومهما اختلفت هذه الأغراض فإنّها اتّفقت في البحث عن  
مصلحة الإنسان الأندلسي وجلب المنفعة له ليسعد في دنياه وآخرته.

---

(1) - الوصايا، ابن عربي: 19.

(2) - ينظر؛ دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا: عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب  
الإسلامي، ط1، 1408هـ/1988م: 173.

(3) - ينظر؛ المرجع نفسه: 173.



موضوعات الوصيّة عند لسان الدّين بن الخطيب

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

عاش ابن الخطيب في عهد دولة بني الأحمر التي شهدت ازدهارا حضاريا وعلميا مرموقا، كما عرفت فتنا واضطرابات سياسية لضعف الحكم وصغر سنهم واحتدام الصراع مع النصارى، مما أدى إلى بروز هذه الشخصية الفذة بفضل كفاءته ومواهبه المختلفة.

## 1- جوانب من شخصية لسان الدين بن الخطيب: أ- قطوف من حياته:

نشأ لسان الدين بن الخطيب(\*) في مدينة غرناطة، آخر معاقل الإسلام بالأندلس، والتي كانت حينها مجمعا لكبار العلماء والأدباء، ومركزا من أهم مراكز الدراسات الإسلامية.

وهو ينتمي إلى بيت أصيل لما كان عليه أسلافه من العلم والأدب والمترلة الرفيعة، وهو ما يشير إليه المقري في قوله: "وسعيد جده الأعلى أول من تلقب بالخطيب، فكان من أهل العلم والدين والخير، وكذلك سعيد جده الأقرب كان

---

(\*) - هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماي ينتسب إلى قبيلة تدعى سلماي من اليمن، لكنه لو شي المولد، غرناطي النشأة، ولد في 25 من رجب 713هـ الموافق لـ 16 نوفمبر 1313م، وجده الأعلى سعيد هو أول من تلقب بالخطيب، واستمر هذا اللقب في أسرته من بعده. أما من الألقاب التي لقب بها فكان أشهرها لسان الدين وهي من الألقاب المشرقية، و"ذو الوزارتين"؛ أي وزارة السيف والقلم، و"ذو العمرين" بسبب إصابته بداء الأرق، لأنه لم يستطع النوم فلجأ إلى الكتابة والتأليف، و"ذو الميتين" و"ذو القبرين" لأنه بعد أن قتل خنقا في سجنه أخرج ليلا من قبره وأوقد من حوله الخطيب، فاسودت بشرته وأعيد إلى حفرته مرة ثانية وكان ذلك سنة 776هـ— 1375م.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

على خلال حميدة من خط وتلاوة وفقه، وحساب وأدب، خيرا صدرا<sup>(1)</sup>، وأما أبوه فكان من أهل العلم والأدب والطب<sup>(2)</sup>، إذ اعتلى مكانة مرموقة في البلاط النصري لحمرء غرناطة، حيث ارتقى إلى منصب الوزارة فيها<sup>(3)</sup>.

وكان لهذه المكانة التي حظيت بها أسرته الأثر القوي في إعداد هذه الشخصية المتميزة من جوانب شتى، فقد وفر له والده من الناحية العلمية جهابذة العلماء الذين كانت تشع بهم مدينة غرناطة، فأخذ عنهم مختلف العلوم والآداب، فكتب في طفولته وحفظ القرآن على يد أبي عبد الله بن عبد المولى الذي ذكره بقوله: "قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده في تحمل المنزل حق حمله تقوى وصلاحا، وخصوصية وإتقانا، ونعمة وعناية وحفظا وتبحرا في هذا الفن، واضطلاعا بضراييه واستيعابا بسقطات الأعلام"<sup>(4)</sup>.

ثم قرأ القرآن وعلوم العربية أيضا على أبي حسن القيحاوي، وقال فيه إنه: "أستاذ الجماعة، ومطية الفنون، وهو أول من انتفعت به"<sup>(5)</sup>.

ومن الشيوخ أيضا: أبو حسن علي بن الجياب، -الذي أذكى مواهبه الأدبية والفنية-، والأستاذ الخطيب أبو عبد الله بن الفخار البيري، والشيخ أبو البركات الشهير الذي نعته بيقية السلف، وأبو بكر بن شيرين، والخطيب أبو

---

(1) - نفع الطيب: المقرئ، 8:5.

(2) - المصدر نفسه، 8:5.

(3) - الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، 4: 441.

(4) - المصدر نفسه، 4: 457.

(5) - المصدر نفسه، 4: 458.



الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

جعفر الطنجالي والقاضي أبو عبد الله المقري التلمساني<sup>(1)</sup>، وكذلك الرئيس أبو محمد الحضرمي السبتي، والشيخ أبو محمد بن أيوب المالقي آخر الرواة عن ابن أبي الأحوص، وأبو عثمان بن ليون من المرية، وأبو زكريا بن هذيل الذي أخذ عنه الطب والتعاليم وصناعة التعديل<sup>(2)</sup>.

عاش ابن الخطيب هذه المرحلة مثل أبناء سلاطين الدولة النصرية وأمرائها<sup>(3)</sup>، فساعات ينهل فيها العلم، وساعات أخرى تجده يتقلب في أحضان رياض مدينتي لوشة وغرناطة متمتعا بخيراتهما ونعيمهما.

وأما حياته السياسية فتبدأ سنة (741هـ - 1341م)<sup>(\*)</sup> حين التحق بالخدمة بأمانة السر لدى أبي الحسن بن الجياب وزير السلطان أبي الحجاج يوسف، وسرعان ما لفت إليه اهتمام السلطان فكلفه ببعض المهام الجهادية<sup>(\*\*)</sup>، وعينه كذلك في رئاسة الكتاب، أو ديوان العلامة والإنشاء خلفا لشيخه ابن الجياب

---

(1) - الإجابة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، 4: 458.

(2) - المصدر نفسه، 4: 459.

(3) - ينظر؛ فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب: المضامين والخصائص الأسلوبية، محمد مسعود جبران، 1: 47.

(\*) - وهي السنة نفسها التي استشهد فيها أبوه وأخوه في معركة طريف الشهيرة "سلاو" وكان لهذه الحادثة أثر في حياة الرجل. عن: المرجع نفسه، 1: 48.

(\*\*) - لقد أحقه السلطان أبو الحجاج يوسف بالجهاد في الحملة التي سارت لإنجاد ثغر الجزيرة الخضراء الذي حاصره القشتاليون. عن: المرجع نفسه، 1: 49.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

بعد وفاته بقاء الطاعون في شوال من سنة (749هـ - 1349م)، كما منحه رتبة الوزارة وألقابها<sup>(1)</sup>.

وحيث توفي السلطان أبو الحجاج على يد ممرور في سنة (755هـ - 1354م) يوم عيد الفطر، خلفه ابنه أبو عبد الله محمد الذي لقب بالغني بالله الذي حفظ المكانة التي كان عليها ابن الخطيب، بل أصبح في هذا العهد "سلطان حمراء غرناطة غير المتوج"<sup>(2)</sup>، لما حققه من نجاح باهر في مهامه الوزارية داخل القصر وخارجه<sup>(\*)</sup>، فزادت ثروته ومكتسباته وذلك لما أعاد عليه السلطان من الهدايا والعطايا.

ولما قامت الثورة على الغني بالله عام (760هـ - 1359م)، ذاق ابن الخطيب خلال هذه الفترة العذاب ومرارة العيش بسبب كيد الحاسدين، حيث اعتقل وصدورت أملاكه، إلا أن شفاعة السلطان المريني أنقذته، فأطلق سراحه

---

(1) - ينظر؛ فنون النشر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب: المضامين والخصائص الأسلوبية، محمد مسعود جبران، 1: 49.

(2) - المرجع نفسه، 1: 50.

(\*) - أرسل الغني بالله ابن الخطيب إلى المغرب سنة 755هـ - 1354م لتوطيد العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين، ولما وصل إلى السلطان أبي عنان المريني استقبل استقبالاً كبيراً، فأنشد قصيدة في مدحه تضمنت طلب العون للقضاء على مطامع القشتاليين، فأثرت هذه القصيدة في السلطان المريني لبلاغتها وحسن نظمها فاستجاب لطلبات لسان الدين ولم يردده خائباً. عن: ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: لسان الدين بن الخطيب، دراسة وتحقيق: محمد شريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1973: 57.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

والتحق بالغني بالله سنة (761هـ)<sup>(1)</sup> وأقام بمدينة سلا، والحقيق بالذكر أن المغرب أحسن إليه وأكرم وجوده لما لقيه من حفاوة واحترام.

كما التقى في المغرب المفكر ابن خلدون، فتوطدت العلاقة بين الرجلين وانتفع كل منهما بالآخر علما وصدقة، غير أن وفاة زوجة ابن الخطيب سنة (762هـ) كان وقعها مؤثرا في حياته، وهكذا تراكمت الأحداث وتزاحمت عليه فلم يجد علاجا لهذا سوى الانقطاع للعبادة والزهادة والتأليف في ظل السكينة والهدوء اللذين وجدتهما في المغرب<sup>(2)</sup>.

ثم عاد إلى غرناطة في سنة (763هـ - 1361م) بعد أن أصدر الغني بالله ظهيرا يؤكد عودته ومكانته التي كان عليها، فعرفت غرناطة وقتها عهدا جديدا متطورا شمل جميع ميادين الحياة بفضل ذكاء ابن الخطيب الذي أعد خطة ساعدته على تحقيق ذلك، حيث ساد الأمن ورممت الثغور واستثمرت الجبايات<sup>(3)</sup>.

لقد كانت عودة ابن الخطيب إلى غرناطة سلاحا ذا حدين؛ فعادت خيرا على دولة بني الأحمر وأثرت سلبا في حياته إن لم نقل عجلت بنهايتها، وذلك بفضل سعاية خصومه ومنافسيه الذين أفسدوا علاقته بالسلطان الغني بالله، علما

---

(1) - ينظر؛ ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: لسان الدين بن الخطيب: 59 - 60.

(2) - ينظر؛ المصدر نفسه: 64.

(3) - ينظر؛ فنون النشر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية: محمد مسعود جبران، 1: 56.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

أن هؤلاء كانوا ممن أحسن إليهم كتلميذه محمد بن يوسف بن زمرك (733هـ—797هـ) والقاضي أبي الحسن النباهي (713هـ—792هـ)<sup>(1)</sup>.

ولما أحس لسان الدين بخطر أعدائه واشتد الضيق عليه قرر اللجوء إلى العدو الأخرى بعد أن أخبر السلطان عبد العزيز سرا عن ترك الأندلس، وعبر إلى المغرب سنة (773هـ—1371م)، بعد أن تحجج لسلطانه الغني بالله بأن يسمح له بالقيام بجولة تفقدية إلى الثغور المغربية، كما ترك له رسالة مؤثرة يشرح له فيها الأسباب الموضوعية التي دفعته إلى ذلك<sup>(2)</sup>.

وقد استقر مع أسرته بالمغرب إلى أن أرسل القاضي النباهي وثيقة يتهم فيها ابن الخطيب بالكفر والزندقة وكان ذلك سنة (773هـ—1371م)، ومفاد التهمة بعض ما ورد في كتاب "روضة التعريف بالحب الشريف"، فدعا النباهي سلطان المغرب إلى تسليم لسان الدين لينال عقابه على تصرفاته، ولما وصل الخبر إلى سلطان غرناطة أرسل وفدا إلى المغرب برئاسة عبد الله بن زمرك ومعه وثيقة التهمة التي أعدها النباهي لمحاكمته<sup>(3)</sup>، فعذب وقتل بسجنه.

## ب- مظاهر نبوغه:

لسان الدين بن الخطيب شخصية فذة وفريدة غلبت عليها ملامح النبوغ والألمعية منذ صغره، وقد ساعدته البيئة الغرناطية المزدهرة حضاريا وعلميا،

---

(1) - ينظر؛ النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب: عبد الحلیم حسن الهروط، دار جریر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2006-1426: 22.

(2) - أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام: لسان الدين بن الخطيب: 318-319.

(3) - ينظر؛ النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب: عبد الحلیم الهروط: 23.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

والحظوة التي كانت تتمتع بها أسرته على توفير الظروف المناسبة التي ساعدته على صقل مواهبه العديدة والمتنوعة وتطويرها، وذلك باطلاعه على مختلف العلوم والفنون<sup>(1)</sup>، وملامسته لمختلف الآداب وتفتحها وتعرّفه إلى ثقافات الأمم الأخرى، سواء من خلال رحلاته التي كان يقوم بها، وكثرة معارفه من الشخصيات المرموقة التي احتك وتفاعل معها.

ولم يكن لتحصيل لسان الدين أن يتوقف عند العلم والمعرفة بل امتد إلى السياسة، فقد تألق في ديوان الإنشاء بتجويره لمختلف الرسائل والظواهر والعهود والبيعات... بفضل البراعة اللغوية التي كان يتمتع بها.

وهكذا كان لسان الدين بن الخطيب عبقرى زمانه، تميز فكره بالموسوعية والشمولية؛ إذ جمع بين الأدب والسياسة والطب والتصوف والتاريخ والفلسفة وعلوم الدين... وانعكس ذلك في التراث الفكري الضخم الذي خلفه والذي انصب في تأليفه وكتبه، وهو ما أكده أحمد أمين في قوله: "فالذي يظهر لنا أن الثقافة الأندلسية من أولها إلى آخرها، قد صفت وتقطرت في لسان الدين ابن الخطيب في تعدد مناحيه وسعة علمه وكثرة إنتاجه، ولعل هذا المعنى هو الذي شعر به المقري: فألف فيه كتابه "نفع الطيب" وفيه ثقافة الأندلس، وسماه باسمه كأنما هو هي"<sup>(2)</sup>.

---

(1) - ينظر: آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي: عبد الحكيم الدنون، دار المعرفة، دمشق - سوريا، ط1، 1408 - 1988م: 124.

(2) - ظهر الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (د.ط)، 1962، 3: 224-225.

## الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

ومن آثاره:

- ريحانة الكتاب ونبذة المتناهب في أسفار ثمانية<sup>(1)</sup>.
- استتزال اللطف الموجود في سر الوجود<sup>(2)</sup>.
- التاج المحلى في مساجلة القدح المعلّى.
- الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة.
- طرفة العصر في دولة بني نصر في أسفار ثلاثة.
- ديوان شعري في سفرين: الصيب والجهام والماضي والكهام.
- اليوسفي في صناعة الطب في سفرين كبيرين<sup>(3)</sup>.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، في أربعة أسفار.
- عمل من طبّ لمن حبّ<sup>(4)</sup>.

وتعتبر تأليف ابن الخطيب القيمة خير شاهد على تضلع الرجل من مختلف العلوم والفنون، وتذوقه ضروب النظم والنثر، حيث يثني عليه ابن الأحرر، فيقول: "هو شاعر الدنيا، وعلم المفرد والثنيا، وكاتب الأرض إلى يوم العرض، لا يدافع مدحه في الكتّاب، ولا ينجح فيه إلى العتب"<sup>(5)</sup>، وذكره المقرئ بأنه: "الوزير الشهير الكبير، الطائر الصيت في المغرب والمشرق، المزري عرف الشاء

---

(1) - الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، 4: 459.

(2) - المصدر نفسه، 4: 460.

(3) - المصدر نفسه، 4: 461.

(4) - المصدر نفسه، 4: 462.

(5) - نثير فرائد الجمال في نظم فحول الزمان: إسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحرر، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت - لبنان، (د.ط)، 1967: 243.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

عليه بالعنبر والعبير، المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب، والمعرفة بالعلوم على اختلاف أنواعها"<sup>(1)</sup>.

وقد كشفت هذه المؤلفات عن جوانب من حياة الرجل المليئة بالأحداث، وأهم القضايا التي شغلته وملأت عصره متخذاً من صناعة الكتابة التي يسميها اليونانيون العلم المحيط وسيلة ناجعة في ذلك<sup>(2)</sup>.

## 2- موضوعات الوصية عند ابن الخطيب:

خلف ابن الخطيب أدبا غزير المادة متنوع الأغراض والفنون التي كان من بينها وصاياه التي أنشأها ليفيد أهله وغيرهم، فقد استودع فيها خلاصة تجاربه المختلفة التي خاضها في حياته السياسية والاجتماعية الحافلة بالحوادث والخطوب، المتقلبة في الأحوال، والمتعاكسة في التيار، حيث عاش فيها الأفراح والأتراح، وعرف خلالها السعادة والشقاء.

كما أفرغ فيها نتاج عقله الزاخر بكثرة المعارف والفنون، المتشرب من مختلف القيم والثقافات والعادات والتقاليد، إضافة إلى أن الرجل كان ذا نزعة تأملية فلسفية عميقة، وأخرى صوفية روحية أراد بثها في أفكاره ومعانيه.

ولهذا فقد تنوعت وصايا ابن الخطيب نظرا لتشعب أفكاره، كما

اختلفت من متلق إلى آخر، حسب ثقافته ومدى تكوينه المعرفي، ومنصبه في

---

(1) - نفع الطيب: المقرئ، 5: 7.

(2) - ينظر؛ فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية : محمد مسعود جبران، 2: 510.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

الدولة ومكانته في المجتمع، وطبيعة علاقته بالموصي، وكذلك تبعا لحاله النفسية والاجتماعية، والظرف الزماني والمكاني الذي كتبت الوصية خلاله.

في ضوء ما ذكرناه يمكن تقسيم وصايا ابن الخطيب بالنظر إلى الموضوعات والأغراض التي طرقها إلى: وصايا خصها بتدبير شؤون السياسة والحكم، استخلصها من تجاربه السياسية الواسعة، وأخرى خصها بالزجر والوعظ وقد استقاها من حياة الزهد والتصوف، ومن معرفته بعلم الاجتماع والأخلاق... ووصية أهلية خص بها أولاده الثلاثة خصصنا لها فصلا مستقلا.

### أ- الوصايا المتعلقة بتدبير شؤون السياسة وأمور الحكم:

يقول المستشرق الإسباني جنثالث بالنثيا: "تبلغ كتابة التاريخ في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع عشر الميلادي ذروتها عند علمين من أعلام الفكر العربي، هما ابن الخطيب المؤرخ المتفنن والسياسي الأديب، وابن خلدون مبدع فلسفة التاريخ"<sup>(1)</sup>.

لقد كان ابن الخطيب ذا مجد سياسي، حيث ذاع صيته وسطع نجمه لما أظهره من فطنة وقدرة وذكاء وقاد في تعامله مع قضايا الدولة والسياسة، وكان قمة في العطاء السياسي، وذلك من خلال المناصب السامية التي شغلها، والأعمال التي كان يكلف بها سواء داخل البلاط النصري الذي أدار شؤونه بمهارة سياسية وكفاءة إدارية عالية، أو خارجه من خلال المهام الدبلوماسية

---

(1) - تاريخ الفكر الأندلسي: أنجيل جنثالث بالنثيا، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، (د.ط)، (د.ت): 251.



الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

والسفارية التي كان يؤديها بنجاح بفضل قوة دهائه ورجاحة عقله، أو رحلاته الجهادية التي كان يقوم بها.

وهكذا فقد عرك ابن الخطيب السياسة ممارسة ومرانا فأكسبته خبرة وتجارب، وزادته علما واكتشافا لمختلف خباياها، وملأت عقله بسياسة الحكام وطبائعهم وأفكارهم وهيئاتهم وأخلاقهم وميزاتهم المتعددة، وكل ما يتعلق بأسرار البلاطات وشؤونها، وهذا لتعامله معهم بصفة مباشرة، كما تشبع ذهنه بأحوال الوزراء والجنود...

ونتيجة لتعدد معارفه في السياسة وتنوعها، وعلو كعبه فيها، انتقل ابن الخطيب من مرحلة الممارسة والشغل فيها إلى مرحلة التقنين والتنظير لها، وهذا من خلال ما خلفه من نتاج نثري وشعري، كان خير ما جادت به قريحته من وصايا ومواعظ في مجال التربية السياسية ليتأدب بها كل من الحاكم والوزير والوالي...، فتحدث فيها عن مقومات الملك وشروط الوزارة وغيرها.

### أ-1- مقومات الملك:

هي توجيهات سديدة يجب على أي حاكم أو سلطان أن يلتزم بها في إدارة شؤونه، لا غنى له عنها قديما أو حديثا، ضمنها خلاصة نظراته وتأملاته وتصورات التي استمدتها من تجاربه الكثيرة وخبرته الطويلة في خدمة الحكام والسلاطين وطول باعه في السياسة، كما شملها بجملة من المعارف اعتمد في

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

تحصيلها على الموروث الديني والتراث اليوناني<sup>(1)</sup> في إنشاء هذه الوصايا التي أراد بها مخاطبة أرباب الملك والسلطة وخاصة صغار السن منهم.

وقد نسج هذه الوصايا على شكل مقامة ممتعة غرضها التوجيه والوعظ السياسي، كتبها بأسلوب رشيق جمع بين فصاحة اللسان وحسن البيان، جعل فيها هارون الرشيد تارة ملكا وتارة أمير المؤمنين، أما بطلها فهو "رجل أشعث أغبر، فارسي الأصل، أعجمي اللسان، عربي الفصل"<sup>(2)</sup>.

وقد أسقط ابن الخطيب معارفه بهذا البحر الشاسع الذي تتلاطم أمواجه وتتغير أحواله، والفن الواسع الذي تتعدد أغراضه وتتنوع أشكاله ألا وهو السياسة على لسان بطل المقامة، واشتمل حديثه في سياق هذا الوعظ السياسي على أهم مقومات الملك؛ حيث ابتدأ كلامه بالحديث عن الرعية وحقوقها ثم أعوان الملك، فأهله وأخيرا خص السلطان أو الحاكم بمجموعة من الوصايا:

**حقوق الرعية:** تعتبر الرعية من أهم الأسس التي تقوم عليها الدول؛ فهي عمادها وقوام ملكها ومهابة جلالها، وهي حصن منيع في الذود عن مصالح الدولة، لهذا وجب على المسؤول الأول في الحكم حمايتها ورعايتها كما وجب عليه أن يضمن حقوقها ويكفلها: "رعيك ودائع الله قبلك، ومرآة العدل الذي عليه جبلك، ولا تصل إلى ضبطهم [إلا بإعانتة] التي وهب لك، وأفضل ما

---

(1) - ينظر؛ ملامح يونانية في الأدب العربي: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1977: 176.

(2) - ريجانة الكتاب ونجعة المنتاب: ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، حققه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة - مصر، ط1، 1401هـ - 1981م، 2: 317.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

استدعيت به عونك فيهم، وكفايته التي تكفيهم، تقويم نفسك عند قصد تقويمهم، ورضاك بالسهر لتنويمهم، [وحراسة كهلمهم ورضيعهم، والترفع عن تضييعهم]، وأخذ كل طبقة بما عليها، ومالها، أخذاً يحوط مالها، ويحفظ عليها كما لها، ويقصر عن غير الواجب آمالها، حتى تستشعر عليها رأفتك وحنانك، تعرف أوساطها في [النَّصْب امتنانك]"<sup>(1)</sup>.

ويوصي الملك بالقيام بمجموعة من الأمور تجاه رعيته، فهو يحذره من السفلة، ويدعوه إلى تحديد دور كل طبقة منها على ألا تتعدى كل واحدة حدودها، وعليه كذلك أن يمنع الأغنياء من البطر والبطالة والوقوع في الشبهات، وأن لا ييخل بنصائحه عليها: "وتحذَر سِفْلُتُهَا سنانك، وحظر على كل طبقة منها، أن تتعدى طورها، أو تخالف دورها، أو تجاوز بأمر طاعتها طورها وسد فيها سبل الذريعة، واقصر جميعها على خدمة الملك بموجب الشريعة، وامنع أغنيائها من البطر والبطالة، والنظر في شبهات الدين بالتَّمشِدُق والإطالة، وليقلّ فيما شجر بين السلف كلامها، وترفض ما ينز به أعلامها، فإن ذلك يسقط الحقوق ويرتب العقوق، وامنعهم من فحش الحرص والشره، وتعاهدهم بالمواعظ التي تجلو البصائر من الموه"<sup>(2)</sup>.

كما يذكره بأن يحض رعيته على التخلق ببعض الخلال الحسنة، والأخذ بالنافع من الأمور: "واحملهم من الاجتهاد في العمارة على أحسن المذاهب وانهم عن التحاسد على المواهب، ورضهم على الإنفاق بقدر الحال، والتعزي

(1) - ریحانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب ، 2: 318.

(2) - المصدر نفسه، 2: 318 - 319.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

عن الفائق، فرده من المحال، وحذر البخل عن أهل اليسار، والسخاء على أولى الإعسار، وخذهم من الشريعة بالواضح الظاهر، وامنعهم من تأويلها منع القاهر" (1).

كما يوجه الحاكم إلى منهاج يوضح له فيه كيفية تعامله مع رعيته، وخاصة المحكومين عليهم منهم: "ولا تبح لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم، ولتكن غايتهم فيما توجهت إليه إبايتهم، ونكصت عن الموافقة عليه رايتهم، إنهاؤه إلى من وكنته بمصالحهم من ثقاتك، المحافظين على أوقاتك. وقدم منهم من أمنت عليهم مكره، وحمدت على الإنصاف شكره، ومن كثر حياؤه مع التائب، وقابل الهفوة باستقالة المنيب، ومن لا يتخطى عندك محله الذي حله فرما عمد إلى المبرم فحله. وحسن النية لهم بجهد الاستطاعة، واغترف المكاره في جنب حسن الطاعة. وإن ثار جرادهم واختلف في طاعتك مرادهم، فتحصن لثورتهم، واثبت لفورتهم [فإذا سألوا وسلوا، وتفرقوا وانسلوا، فاحتقر كثرتهم، ولا تقل عثرتهم] واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالا، ولا تترك لهم على حلمك اتكالا" (2).

أركان الملك: قسم الكاتب في هذا الكلام الوعظي بعد حديثه عن الرعية أركان الملك إلى أعوان الحاكم وأهله؛ فمن هم أعوان الحاكم؟  
الوزير:

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 319.

(2) - المصدر نفسه، 2: 319.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

للوزير في منظور لسان الدين مكانته السامية في الدولة، ودور خطير يؤدّيه؛ إذ يقول: "والوزير الصالح أفضل عددك، وأوصل مددك [فهو الذي] يصونك عن الابتدال، ومباشرة الأندال، ويثب لك على الفرصة، وينوب في تجرع الغصة، واستجلاء القصة، ويستحضر ما نسيته من أمورك، ويغلب فيه الرأى بموافقة مأمورك، ولا يسعه ما تمكّنك المسامحة فيه، حتى يستوفيه"<sup>(1)</sup>.

ثم يوصي الحاكم بأن يكون حذرا في اختيار وزيره، وأن يستخير الله في ذلك، حيث يجب أن يكون من بيت أصيل، ومن نسب معروف، عادلا وزاهدا، ومخلصا ومتيقظا، واسع المعرفة والاطلاع؛ إذ يقول: "واحذر مصادمة تياره، والتجوز في اختياره، وقدم استخارة الله في إثارة، وأرسل عيون الملاحظة في آثاره، وليكن معروف الإخلاص لدولتك، معقود الرضاء والغضب برضاك وصولتك، زاهدا عما في يديك، مؤثرا كل ما يزلف لديك، بعيد المهمة، راعيا للأذمة، كامل الآلة، محيطا بالإيالة، رحب الصدر، رفيع القدر، معروف البيت، نبيه الحي والميت، مؤثرا للعدل والإصلاح، دربا بحمل السلاح، ذا خبرة بدخل المملكة وخرجها، وظهرها وسرجها، صحيح العقد، متحرزا من النقد، جادا عند لهوك، متيقظا في حال سهوك، يلين عند غضبك، ويصل الإسهاب بمقتضبك، قلقا من شكره دونك وحمده، ناسبا لك الأصلة بعمده"<sup>(2)</sup>.

ثم يدعو في آخر كلامه، الملك أن يحافظ على وزيره ويرعى حقوقه، كما يدعو إلى اجتناب الطامع والطامح منه إلى سدة الحكم، فيقول: "وساو في

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 320.

(2) - المصدر نفسه، 2: 320.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

حفظ غيبه بين قربه ونأيه، واجعل حظه من نعمتك موازيا لحظك من حسن رأيه، واجتنب منهم من يرى في نفسه إلى الملك سبيلا، أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبيلًا، أو من كثر مالك ماله، أو من تقدم لعدوك استعماله، أو من سمت لسواك آماله، أو من يعظم عليه إعراض وجهك، ويهمه نادرة نهجك، أو من يداخل غير أحبابك، أو من ينافس أحدا ببابك"<sup>(1)</sup>.

### الجنـد:

وأما الجنـد، فينصح الملك بأن يستوفوا شرائط الخدمة، وأن يجتنبوا الكسل والراحة، ويلتزموا بالجدية في العمل؛ إذ يقول: "وأما الجنـد فاصرف التقويم منهم للمقاتلة والمكايـدة والمخاتلة، واستوف عليهم شرائط الخدمة، وخذهم بالثبات للصدمة، ووف ما أوجبت لهم من الجراية والنعمة، وتعاهدتهم عند الغناء بالعلف والطعمة، ولا تكرم منهم إلا من أكرمه غناؤه، وطاب في الذب عن ملتك ثناؤه، ودل عليهم النبهاء من خيارهم، واجتهد في صرفهم عن الافتنان بأهلهم وديارهم"<sup>(2)</sup>.

كما يحثه على دفعهم لخوض الحروب والمعارك بكل شجاعة وإقدام، وبإشهار السلاح في وجه العدو والتقدم نحوه كلما اقتضت الضرورة، إذ يقول: "ولا توطئهم الدعة مهادا، وقدمهم على حفظك وبعوثك متى أردت جهادا، ولا

---

(1) - ریحانة الكتاب و نجعة المتناوب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 320 - 321.

(2) - المصدر نفسه، 2: 321.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

تلن لهم في الإغماض عن حسن طاعتك قيادا، وعودهم حسن المواساة بأنفسهم اعتيادا، ولا تسمح لأحد منهم بإغفال شيء من سلاح استظهاره، أو عدة اشتهاره"<sup>(1)</sup>.

كما ينصحه بمنعهم من المستغلات، إذ يذكرهم بأن كسبهم من الغنائم وما يعود عليهم من الغزو؛ إذ يقول: "وامنعهم من المستغلات والمتاجر، وما يتكسب منه غير المشاجر، وليكن من الغزو اكتسابهم، وعلى المغانم حسابهم، كالجوارح التي تفسد باعتيادها، أن تطعم من غير اصطيادها"<sup>(2)</sup>.

وفي هذا المقطع الوصائي يوجه الحاكم إلى ضرورة حسن اختياره لجنده، وتقويم رتبهم حسب خلالهم ومدى طاعتهم وإخلاصهم ليسود الاحترام بينه وبينهم؛ إذ يقول: "واعلم أنها لا تبذل نفوسها من عالم الإنسان، إلا لمن يملك قلبها بالإحسان، وفضل اللسان، ويملك حركاتها بالتقويم، ورتبها بالميزان القويم، ومن تثق بإشفاقها على أولادها، وتشتري رضا الله بصبرها على طاعته وجلادها، فإذا استشعرت لها هذه الخلال، تقدمت إلى مواقف التلف، مطيعة دواعي الكلف، واثقة منك بحسن الخلف"<sup>(3)</sup>.

كما يذكره بضرورة التنويه بقيمة المخلص من الجند الذي يضحى بالنفس والنفيس من أجل حاكمه وملكه، والثناء عليه: "واستبق إلى تمييزه استباقا، وطبقهم طباقا، أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك إحضارا،

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 321.

(2) - المصدر نفسه، 2: 321.

(3) - المصدر نفسه، 2: 321-322.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

وأبعدهم في مرضاتك مطارا، وأضبطهم لما تحت يدك من رجالك حزما ووقارا، واستهانة بالعظيم واحتقارا، وأحسنهم لمن تقلده أمرك من الرعية جوارا، وإذا أجدت اختيارا، وأشددهم على مماثلة من مارسه من الخوارج عليك اضطبارا، ومن بلى في الذب عنك إحلاء وإمرارا. وبعده من كانت محبته لك أكثر من نجدته، وموقع رأيه أصدق من موقع صعده. وبعده من حسن قياده لأمرائك وإحماده لآرائك، ومن جعل نفسه من الأمر حيث جعلته، وكان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله"<sup>(1)</sup>.

### العمال:

لقد بين للملك مكانة العمال ومترلتهم، ذلك أنهم يبينون عن مذهبه واتجاهه أمام رعيته، لذا وجب عليه إكرامهم والإحسان إليهم حسب تفانيهم وإخلاصهم في العمل؛ إذ يقول: "وأما العمال فإنهم يبينون عن مذهبك، وحالهم في الغالب شديد الشبه بك، فعرفهم في أمانتك السعادة، وألزمهم من كرامتك بحسب منازلهم في الاتصاف بالعدل والإنصاف، وأحلهم من الحفاية، بنسبة مراتبهم من الأمانة والكفاية، وقفهم عند تقليد الأرجاء مواقف الخوف والرجاء، وقرر في نفوسهم أن ما به إليك تقربوا، وفيه تدرّبوا وفي سبيله أعجموا وأعربوا، إقامة حق، ودحض باطل، حتى لا يشكو غريم مطل ماطل، وهو أثر لديك من كل رباب هاطل"<sup>(2)</sup>.

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 322.

(2) - ریحانة الكتاب ونبعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 322 - 323.



الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

كما يحذره من العمال الخاملين ممن لا يجيدون الحساب وألفوا الكسل، فيقول: "واجتنب منهم من غلب عليه التخرق في الإنفاق، وعدم الإشفاق، والتنافس في الاكتساب، وسهل عليه سوء الحساب، وكانت ذريعته المصانعة بالنفاية، دون التقصي والكفاية، ومن كان منشؤه حاملا، ولأعباء الدناءة حاملا، وابع من يكون الاعتذار في أعماله، أوضح من الاعتذار في أقواله، ولا يفتنك من قلده اجتلاب الحظ المطمع، [والتنفق بالسعى المسموع]، ومخالفة السنن المرعية [وإتباعه رضاك بسخط الرعية]، فإنه قد غشك من حيث بلّك ورشك، وجعل من يمينك في شمالك حاضر مالك"<sup>(1)</sup>.

وأما أهل السلطان، فقد خصّهم لسان الدين، باعتبارهم من الركائز التي تقوم عليها الدولة، بنصائح تسهم في تحقيق النظام والانضباط، لأن الاستقرار الداخلي في القصر يضمن الاستقرار السياسي داخل المملكة وخارجها، وذلك نتيجة لمعرفة الكاتب العميقة بخبايا القصور والبلاطات وأسرارها، وإدراكه لطبيعة الصراعات والفتن التي تجري فيها، وخص بالذكر الولد والخدم والحرم:

---

(1) - المصدر نفسه، 2: 323.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

### الولد:

يعتبر أولاد الحكام في سياسة القصور والممالك امتدادا لأبائهم، وحتى يكونوا خير خلف لخير سلف خصهم الكاتب في خطابه الوصائي بمجموعة من النصائح التوجيهية، فقد نبه الحاكم إلى ضرورة تربيتهم أفضل تربية وتأديتهم بأحسن الآداب؛ إذ يقول: "وأما الولد فأحسن آدابهم، واجعل الخير دأبهم، وخف عليهم من إشفاقك وحنانك، أكثر من غلظة جنانك، واكتم عليهم ميلك، وأفض عليهم جودك ونيلك، ولا تستغرق بهم بالكلف بهم يومك ولا ليلك، وأثبتهم على حسن الجواب [وسبق إليهم] خوف الجزاء على رجاء الثواب"<sup>(1)</sup>.

كما يحثه على تعليمهم الصبر على المصائب والحنن، وتعويدهم على خوض التجارب بالممارسة والمران، وتزويد عقولهم بمختلف العلوم والفنون، فيقول: "وعلمهم الصبر على الضرائر، والمهلة عند استخفاف الجرائر، [وخذ لهم] بحسن السرائر، وحبب إليهم مَراس الأمور الصعبة المراس، وحصن الاضطناع والاغتراس والاستكثار من أولى المراتب والعلوم، والسياسات والحلوم، والمقام المعلوم"<sup>(2)</sup>.

ويذكره بضرورة تجنيبهم كل خلق ذميم: "وكره إليهم مجالسة الملهين، ومصاحبة الساهين، وجاهد أهواءهم عن عقولهم، واحذر الكذب على مقولهم، ورشّحهم إذا أنست منهم رشدا أو هديا، وأرضعهم من المؤازرة والمشاورة ثديا،

(1) - ريجانة الكتاب و نجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 324.

(2) - المصدر نفسه، 2: 324.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

لتمرّهم على الاعتياد، وتحملهم على الازدياد، ورُضهم رياضة الجياد، واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم، وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم، وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت، [واقذعها إذا هجمت]، قبل أن يظهر تضعيفها، ويقوى ضعيفها، فإن أعجزتك في صغرهم الحيل، عظم الميل.

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ      وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْحُشْبُ<sup>(1)</sup>

### الخدم:

جاء تصنيف الخدم بين العمال وأهل السلطان، ذلك أنهم يمثلون ركنا أساسيا في الدولة لاتصالهم اتصالا مباشرا بالحاكم، وهم في الوقت نفسه أشياء السلطان لأنهم ينتمون إلى القصر، لهذا يجب حفظهم وصيانتهم: "وأما الخدم فإنهم بمثلة الجوارح التي تفرق بها وتجمع، وتبصر وتسمع، فردهم بالصدق والأمانة، وصنهم صون الجفانة، وخذهم بحسن الانقياد إلى ما آثره، والتقليل مما استكثرته"<sup>(2)</sup>.

غير أن لسان الدين يحذّر الحاكم من الخدم ممن غلبت عليهم شهواته واتبع اللهو، فيقول: "واحذر منهم من قويت شهواته، وضافت عن هواه لهواته، فإن الشهوات تنازعك في استرقاقه، وتشاركك في استحقاقه، وخيرهم من ستر ذلك عليك بلطف الحيلة، وآداب للفساد مخيلة"<sup>(3)</sup>.

(1) - ريجانة الكتاب و نجعة المتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 324-325.

(2) - المصدر نفسه، 2: 325.

(3) - المصدر نفسه، 2: 325.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

كما يدعو إلى تذكيرهم بأن الحاكم هو صاحب السلطة، وكلامه هو الأصح والأحق بمراعاته وتنفيذه: "وأشرب قلوبهم أن الحق في كل ما حاولته واستترته، وأن الباطل في كل ما جانبته واعتزلته، وأن من تصفح منهم أمورك فقد أذنب، وباين الأدب وتجنب"<sup>(1)</sup>.

ويخبره بأن عطايا الخدم تكون حسب أعمالهم ومدى إخلاصهم وإحسانهم: "وأعط من أكددته، وأضقت منهم ملكه وشددته، راحة يشتغل فيها بما يغنيه، على حسب صعوبة ما يعانیه، تغبطهم فيها بمسارحهم، وتحم كليلة جوارحهم، ولتكن عطاياك فيهم بالمقدار الذي لا يبتر أعلامهم، ولا يؤسف [الأصاغر فيفسد] أحلامهم، ولا ترم محسنهم بالغاية من إحسانك واترك لمزيدهم فضلة من رفدك ولسانك"<sup>(2)</sup>.

وينبه الحاكم إلى مجموعة من الأوصاف والخلال يشترط أن تتوفر في الخدم حتى يفوزوا بخدمته وثقته ورضاه، ونذكر من هذه الشروط قوله: "واستخلص منهم لسرك من قلت في الإفشاء ذنوبه، وكان أصبرهم على ما ينوبه، ولودائعك من كانت رغبته في وظيفة لسانك، أكثر من رغبته في إحسانك، وضبطه لما تقلده من وديعتك، أحب إليه من حسن صنيعك، وللسفارة عنك من حلا الصدق في فمه، وآثره ولو بإخطار دمه، واستوفى لك وعليك فهم ما تحمله، وعنى بلفظه حتى لا يهمله، [ولمن تودعه أعداء] دولتك،

(1) - ریحانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بي الخطيب، 2: 325.

(2) - المصدر نفسه، 2: 325-326.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

من كان مقصور الأمل، قليل القول صادق العمل، ومن كانت قسوته زائدة على رحمته، وعظمه في مرضاتك آثر من شحمته، ورأيه في الحذر سديداً، وتحزره من الحيل شديد، ولخدمتك في ليلك ونهارك من لانت طباعه، وامتد في حسن السجية باعه، وأمن كيده وغدره، وسلم من الحقد صدره، ورأى المطامع فما طمع، واستثقل إعادة ما سمع، وكان برياً من الملل، والبشر عليه أغلب الخلال"<sup>(1)</sup>.

### الحرم:

بدأ حديثه عن الزوجات بذكر فضائلهن من حيث إنهن من يحملن الولد ويضعنه، وموضع للراحة والسكينة، مع ذكر بعض الميزات والمثل التي يجب أن يتحلين بها، فيقول: "وأما الحرم فهن مغارس الولد، ورياحين الخلد، وراحة القلب الذي أجهده الأفكار، والنفس التي تقسمها الإحماد إلى المساعي والإنكار، فاطلب منهن من غلب عليهن من حسن الشيم، المترفعة عن القيم، ما لا يسوؤك في خلدك، أن يكون في ولدك، واحذر أن تجعل لفكر بشرٍ دون بصر إليهن سبيلاً، وانصب دون ذلك عذاباً وبيلاً، وارعهن من النساء العجز من فاقت في الديانة والأمانة سبيله، وقويت غيرته ونبله"<sup>(2)</sup>.

ثم يدعو إلى معاملتهن بالمعروف، وتحقيق المساواة والإنصاف بينهن في الحقوق وذلك تجنباً للغيرة والتحاسد، ودفعاً عن الحقد الذي قد يملأ صدورهن

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 326.

(2) - المصدر نفسه، 2: 327.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

فيؤدي إلى التشاجر والتفرقة: "وخذهن بسلامة النيات، والشيم السنيات، وحسن الاسترسال، والخلق السلسال، وحظر عليهن التغامز والتغاير، والتنافس والتخاير، وآس بينهن في الأغراض، والتصامم عن الأعراض، والمحابة بالإعراض. وأقلل من مخالطتهن، فهو أبقى لهمتك، وأسبل لحرمتك، ولتكن عشرتك لهن عند الكلال والملال، وضيق الاحتمال، بكثرة الأعمال، وعند الغضب والنوم، والفراغ من نصب اليوم، واجعل مبيتك بينهن تنمّ بركاتك. وتستقر حركاتك"<sup>(1)</sup>.

كما يحذره من أن يطلع حرمه على أموره، وأيضا من ظهورهن بزيتتهنّ أو متبرجات على الخدم أو غيرهم: "ولا تطلق حرمة شفاعة ولا تدبيرا، ولا تنط بها من الأمر صغيرا ولا كبيرا، واحذر أن يظهر على خدمهن في خروجهن عن القصور، وبروزهن من أجمة الأسد الهصور، زيّ مفارع، ولا طيب للأنوف مسارع، وأخصص بذلك من طعن في السن، ويئس من الإنس والجن، ومن توفر التزوع إلى الخيرات قبله، وقصر عن جمال الصورة ووُسِم بالبله"<sup>(2)</sup>.

**الحاكم:** لقد خصّ لسان الدين الحاكم بمجموعة من الإرشادات والتوجيهات استوحاها من تجربته في الحياة وأجراها على لسان بطله، فدعاه إلى: ضرورة الالتزام بالعدل والإنصاف، والتروي في إصدار الأحكام حتى تقام الحجة والبرهان، وتثبيت الدليل لكي لا يظلم أحد، فيقول: "فاحذر أن يعدل بك غضبك، عن عدل تزرى منه ببضاعة، أو يهجم بك رضاك على

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتناوب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 327.

(2) - المصدر نفسه، 2: 327 - 328.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

إضاعة. ولتكن قدرتك وقفا على الاتصاف بالعدل والإنصاف، واحكم بالسوية واجنح بحسن تدبيرك إلى حسن الروية، وخف أن تقعد بك أناتك عن حزم وتعين، أو تستفزك العجلة في أمر لم يتبين. وأطع الحجة ما توجهت عليك، ولا تحفل بها إذا كانت إليك، فانقيادك إليها أحسن من ظفرك، والحق أجدى من نفرك"<sup>(1)</sup>.

وأوصاه بأن يكون ناصحا واعظا، لا يرد من طلبه، فيقول: "ولا تردن النصيحة في وجه، ولا تقابل عليها بنجه، فُتْمَنَهَا إذا استدعيتها، وتحجب عنك إذا استوعيتها، ولا تستدعها من غير أهلها، فيشغبك أولو الأغراض بجهلها"<sup>(2)</sup>.  
وأن يحرص على استغلال أوقاته في صالح الأعمال وما يعود عليه بالنفع والفائدة: "واحرص على أن لا ينقضي مجلس جلسته، أو زمن اختلسته، إلا وقد أحرزت فضيلة زائدة، أو وثقت منه في معادك بفائدة"<sup>(3)</sup>.

وحثه على الاستكثار من جمع المال لأنه عامل فعال ومهم في حياة الدول، وكذلك بادخاره لوقت الحاجة والنوائب والحروب، فيذكر: "ولا يزهدنك في المال كثرته، فتقل في نفسك أثرته، وقس الشاهد بالغائب، واذكر وقوع ما لا يحتسب من النوائب، فالمال المصون أمنع الحصون. ومن قل ماله قصر آماله، وتهاون يمينه شماله، والملك إذا فقد خزينه، أنحى على أهل الجدة التي تزينه، وعاد على رعيته بالإجحاف، وعلى جبايته بالإلحاف، وساء معتاد

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 328.

(2) - المصدر نفسه، 2: 328.

(3) - المصدر نفسه، 2: 328.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

عيشه، وصغر في عيون جيشه، ومنوا عليه بنصره، وأنفوا من الاقتصار على قصره، وفي المال قوة سماوية تصرف الناس لصاحبه، وتربط آمال أهل السلاح به<sup>(1)</sup>.

وأعلمه بأن يجعل المال وسيلة تقربه من الله عز وجل، وذلك بإنفاقه في سبيل الله وفي خدمة الدين، وليس بصرفه في الشهوات والمعاصي، فيقول: "والمال نعمة الله تعالى، فلا تجعله ذريعة إلى خلافه، فتجمع بالشهوات بين إتلافك وإتلافه، واستأنس بحسن جوارها، واصرف في حقوق الله بعض أطوارها، فإن فضل المال عن الأجل فأجل، ولم يضر بين يدي الله عز وجل، وما ينفق في سبيل الشريعة، وسد الذريعة، مأمول خلفه، وما سواه فمستيقن تلفه"<sup>(2)</sup>.

ولفت انتباهه إلى ضرورة حسن اختيار حاشيته، فيقول: "واستخلص لحضور نواديك الغاصة، ومجالسك العامة والخاصة، من يليق بولوج عتبتها، والعروج لرتبها"<sup>(3)</sup> فقد خص العامية بمجموعة من الأوصاف كرفعة المتزلة والتزود بالعلم... "أما العامية فمن عظم عند الناس قدره، وانشرح بالعلم صدره، أو ظهر يساره، وكان لله إخبارته وانكساره، ومن كان للفتيا منتصبا، وبتاج المشورة معتصبا"<sup>(4)</sup>، وشمل الخاصية ببعض الصفات كمن رقت طباعه، وتخلق بأخلاق الكرماء: "وأما الخاصية فمن رقت طباعه، وامتد فيما يليق بتلك

(1) - ریحانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 328-329.

(2) - المصدر نفسه، 2: 329.

(3) - المصدر نفسه، 2: 329.

(4) - المصدر نفسه، 2: 329.



الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

المجالس باعه، ومن تبحر في سير الحكماء، وأخلاق الكرماء، ومن له فضل سافر، وطبع للدينة منافر، ولديه من كل ما تستتر به الملوك عن العوام حظ وافر. وصف ألباهم بمحصول خيرك، وسكن قلوبهم بيمين طيرك، وأغنهم ما قدرت عن غيرك" (1).

كما أوصاه بتوقير العلماء والرفع من قدرهم، فبهم يشع نور العلم وترتقي الحضارة، وهم أهل للمجالسة والانتفاع، فقال: "واعلم أن مواقع العلماء من ملكك، مواقع المشاعل المتألقة، والمصايح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء، وتجلو بنورها صور الأشياء، وفرعها لتحبير ما يزين مدتك، ويحسن من بعد البلى جدتك" (2).

وأن يحثهم على إقامة العمران وتخليد الآثار لتبقى واضحة مدى الدهر؛ إذ يقول: "وبعناية الأواخر ذكرت الأوائل، وإذا محيت المفاخر خربت الدول، واعلم أن بقاء الذكر مشروط بعمارة البلدان، وتخليد الآثار الباقية في القاصي منها والدان" (3).

ويواصل لسان الدين بن الخطيب مد الحكام بالمواعظ والنصائح السياسية، فبعدهما أبداع في رسمها نثرا، نظمها بعد ذلك شعرا، وهذا من خلال قصيدته "المدح الغريب في الفتح القريب"، ومما تضمنته: توصية الحاكم بالحزم، فيقول:

---

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 329.

(2) - المصدر نفسه، 2: 329-330.

(3) - المصدر نفسه، 2: 330.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

لا تُغْفَلِ الحَزْمَ الَّذِي بَعْقَالِهِ إِبْلُ الإِمَارَةِ وَالإِدَارَةِ تُعْقَلُ<sup>(1)</sup>  
وينصحه كذلك بأن لا يستخف بقيمة صغائر الأمور وذلك لأهميتها  
وخطرهما، فيقول:

والأمرُ تَحْقَرُهُ وَقَدْ يَنْمِي كَمَا تَنْمِي الجُسُومُ عَلَى الغِذَاءِ وَتَعْبَلُ  
فاحذر صَغِيرَ الأمرِ وَلْتَحْفَلِ بِهِ وَإِذَا غَفَلْتَ فَإِنَّهُ يُسْتَعَجَلُ  
والتَّارُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ شَرَارَةَ وَالغَيْثُ بَعْدَ رِذَاهِ يَسْتَرْسِلُ<sup>(2)</sup>

كما يدعوه إلى ضرورة مشاورة أهل الحكمة وذوي الرأي الصائب،  
فيقول:

شَاوِرْ إِذَا الشُّورَى دَعَّتْكَ، أُولِي التُّهَى فَخِطَابُ غَيْرِ أُولِي التُّهَى لَا يَجْمَلُ<sup>(3)</sup>  
وكذلك ينبهه إلى وجوب صيانة اللسان عن كل ما هو قبيح وذميم،  
فيقول:

وَصُنِ اللِّسَانَ عَنِ القَبِيحِ فَرَبَّمَا يَمْضِي اللِّسَانُ حَيْثُ يَنْبُو المنصَلُ  
وَإِذَا جَرَحْتَ فُوَادَ حُرٍّ لَمْ تُطِيقْ إِذْمَالَهُ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَدْمُلُ<sup>(4)</sup>  
وقد دلّت هذه الوصايا على المعرفة الدقيقة التي اكتسبها ابن الخطيب من  
تواصله مع الحكماء وتقربّه إليهم، والتي صبّها في هذه التصائح والمواعظ.

(1) - الديوان: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ط2،  
2007م، 2: 503.

(2) - المصدر نفسه، 2: 503.

(3) - المصدر نفسه، 2: 503.

(4) - المصدر نفسه، 2: 504.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

## أ-2- شروط الوزارة وأركانها:

للوزير دور بارز ومهم في سياسة الدولة؛ إذ هو من تسند إليه أعباء شؤون المملكة ومسؤوليات الحاكم في تسيير شؤون دولته، ونظرا لأهمية الوزير في الدولة خصه ابن الخطيب بمجموعة من الوصايا تمثل منهاجا صحيحا يسير عليه وخطة محكمة يعتدّ بها في أداء مهامه، حيث احتوت مختلف الأفكار والآراء والنظريات التي اخترتها عقله من خبرته الطويلة بشؤون الوزارة وتحمل أتعابها. وقد صنع هذه الوصايا هي الأخرى في شكل مقامة بناها على غرض النصح والتهديب السياسي، والراجح أنه قد قدمها لوزير مغربي يدعى عمر بن عبد الله الفودودي لما كان يقيم في المغرب، غير أنه أجرى الحوار فيها على لسان الحيوان متأثرا بكتاب كليله ودمنه، فيذكر: "وصدر لهذا العهد عني موضوع سمّيته الإشارة إلى أدب الوزارة، مقول لألسنة الحيوان ككتاب دمنة وكليلة صغير الحجم، كثير الفائدة، غريب المأخذ، حرك إليه المجلس في هذا المعنى، والحمد لله" (1).

لقد جعل في هذه المقامة البطل نمرا كان وزيرا ذا خلق حميد أدى مهامه بكل أمانة وصدق ووفاء، ولما تقدم به السن أراد الركون للراحة والانقطاع للعبادة والزهادة وهذا بعدما تقدم بطلب للأسد وهو في المقامة ملك الوحوش، فأذن له بذلك كما أمره بأن ينصب ولده مكانه وطلب منه أن يملي عليه

---

(1) - نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، 1: 472، عن: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضمين والخصائص الأسلوبية: محمد مسعود جبران، 2: 97.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

خلاصة تجربته وحنكته خلال ممارسته مهام الوزارة، وهذا حتى يكون خلفا صالحا لوالده يحسن التفكير ويجيد التدبير ويؤدي مهامه على أفضل وجه.

وقبل أن يشرع في سرد وصاياه، ذهب إلى تذكير وزيره بقيمة الوزير العظيمة ودوره في تسيير دواليب شؤون الدولة؛ فهو من بين الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدولة، حيث إذا صلح صلحت أمور الدولة واستقام أمر رعيته وإذا فسد فسدت معه أمور الدولة وأمور رعيته؛ إذ يقول: "اعلم يا ولدي أن هذه الرتبة لمن فهم وعقل، مشتقة من الوزر، وهو الثقل، لأنها تحمل من عبء الملك وثقله ما تعجز الجبال عن حمله، وهي الآلة التي بها يعمل، وبحسب تباينها يتباين منها الأنقص والأكمل، وعصاه التي بها يهش، ويحتطب ويحش، ويلتقم ويمش، ويجمع ويفش، ومخلبه الذي به يزق الفرخ، ويحرس العش، ومنجله الذي يعرف به من يناصح ومن يغش، ومرآته التي يرى بها محاسن وجهه وعيوبه، وسمعه الذي يتوصل بحاسته لمعرفة الأشخاص المحجوبة. وإذا فسد الملك وصلح الوزير، ربما نفعت السياسة واستقام التدبير، وصلاح الأمر بعكس هذه الحال محسوب من المحال لأن الوساطة القريبة، ونكتة السياسة الغربية، وموقعه من الملك موقع اليدين من الجسد، اللتين في القبض والبسط عليهما يعتمد"<sup>(1)</sup>.

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن بعض شروط الوزير التي استقاها من الطرائق التي كان ينتهجها الأقدمون من حكماء اليونان؛ إذ يذكر: "وكان الوزير فيهم، يشترط فيه أن يكون قديم النعمة، بعيد المهمة، مكين الرأفة والرحمة،

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 340.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

كريم العيب، نقي الجيب، مسدد السهم، ثاقب الفهم، واثبا عند الفرصة، واصفا للقصة، مريحا في الفصة، موفور الأمانة، أصيل الديانة، قاهرا للهوى، مستشعرا للتقوى، مشمرا عن الساعد الأقوى، جليل القدر، رحيب الصدر، مشهور العفة، معتدل الكفة، حذرا من النقد، صحيح العقد، راعيا للهمل، نشطا للعمل، واصلا للدمم، شاكرا للنعم، خبيرا بسر الأمم، ذا حنكة بالدخل والخرج، عفيف اللسان والفرج، غير مغتاب ولا غيابة، ولا ملق ولا هيابة، مجتزئا بالبلاغ، مشتغلا عند الفراغ، مؤثرا للصدق، صادعا بالحق، حافظا للأسرار، مؤثرا للأبرار، مباينا بطبعه لخلق الأشرار، وقد فاق قدر هذه الرتبة بين الأقران، وأعطى وزانها<sup>(1)</sup>.

ثم ذهب إلى سرد الوصايا المتعلقة بشروط الوزارة، وقد جعلها ستة أركان:

**الركن الأول:** وهو "العقد المعول عليه، فيما يستشعر الوزير بينه وبين نفسه"<sup>(2)</sup>، حيث أعلمه بأن الوزير يكون امتدادا لحاكمه، ينوب عنه إذا غاب ويذكره لحظة سهوه، فيقول: "واعلم أن المملكة البشرية، الخليقة بالافتخار، الحرية، لما كان راعيا مركبا من أضداد متغايرة، وأركان متفاسدة متضارة، ويجدبه كل منها إلى طبعه أحدا برجاء، مدافعا بضبعه، لم يمكن حراسة ما وكل إليه بنفسه، ولا وقت بضم منتشرها آلات حسه، فاحتاج إلى وزير من جنسه،

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 342.

(2) - المصدر نفسه، 2: 342.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

ينوب مهما غاب عن شخصه، ويضطلع بتتيميم ناقصه، ويتيقظ في سهره، ويجد عند لهوه<sup>(1)</sup>.

ويذكره بأن يكون تقياً، مدركا لحدود الله، وأن يلتزم التقوى والإخلاص في العمل... وتلقين هذه المبادئ إلى العامة الخاصة من الرعية حتى يسود الأمن ويعم الرخاء؛ إذ يقول: "وتقوى الله عز وجل أول ما قدمته، ثم تدليل بيتك لمن خدمته، ومقابلة ثقتك بك، بالوفاء الذي سددت إن التزمته، وحمل الخاصة والعامة على حكم الشرع، فإن لم تبني على ذلك هدمته، وأفضل ما وهب لك فيما قلدته من قلاده وعودته من عادة وسيادة، شمول الأمن وعموم الرضا"<sup>(2)</sup>.

ويدعوه إلى التحلي بحميد السيرة، والتخلق بالخالل الطيبة، وتزويه النفس عن اللذات والمتاع، فيذكر: "وظهور الأمانة والصدق في كل غرض مقتضى، وحسن النية، وطهارة الطوية، ورعاية الإحسان، وإفاضة الرأفة في عالم الإنسان، وزيادة الكفاية بحسن الإمكان، واعلم أن من لا يضبط نفسه، وهي واحدة، [لا يضبط] أمر الكثير من الناس على تباين الأغراض، وتعدد الأجناس، فاربأ بنفسك عما تجره الشهوات من النقص، وازجرها عن كلف الحرص، وألن بجانبك لمن ظهر كماله، وقصرت به عنه حاله"<sup>(3)</sup>.

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 342-343.

(2) - المصدر نفسه، 2: 343.

(3) - المصدر نفسه، 2: 343.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

ويوصيه كذلك بالصبر عند الشدة والمصائب؛ إذ يقول: "واعلم بأن من ظهر حسن صبره على انتظام أمره، حسن صبره على شدائده في حوادث الدهر ومكائده، فالصبر قدر مشترك في من أخذ وتترك، والنفس لا تنفك من معترك"<sup>(1)</sup>.

وينصحه أيضا باجتناّب التراخي والكسل، فيقول: "واعلم أن الراحة عند الحاجة إلى الحركة تهدّي التعب الضروري لمن أخذه فيها وتركه، ولا تغفل شيئا تقلدته، بعد ما حسبته من وظائفك وأعدده، فيظن بك من الخروج عن طبعك الذي جبلت عليه بمقدار ما خرج إليه"<sup>(2)</sup>.

والتواضع خصلة حسنة دعاه إلى التحلي بها وخاصة عند التعامل مع العامة؛ إذ يقول: "ولا يعجبك ما يظن من مساويك، ولتكن معرفتك بعيب نفسك، أوثق عندك من مدح أبناء جنسك، وانقض عن العامة، ومن يلبسها، وامتنع عن التكبر بمن يجانسها، ففي طباعها إهانة المتلبس بإشياعها، وتنقص من اتصل برعاعها"<sup>(3)</sup>.

**الركن الثاني:** يتعلق بالوزير في علاقته بالملك وما ينبغي له في ذلك حيث يستهل حديثه في هذا الشأن بضرورة خدمة الحاكم بإخلاص وبيذل الجهد، والقناعة والرضا؛ إذ يقول: "وإذا خدمت ملكا زاد رأيك على رأيه، وفضل سعيك في التدبير حُسن سعيه، فأره الاستعانة بمد يدك، واقصر من إشراف

(1) - ریحانة الكتاب ونجعة المتناّب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 345.

(2) - المصدر نفسه، 2: 345.

(3) - المصدر نفسه، 2: 345.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

جيدك، واظهر التعجب مما فضل عليك به، وسر من الحزم على مذهبه، ولا تبجح بتجاوز ما لأهل طبقتك، وإذ أنفقت عنده الكفاية، فاقصد في نفقتك، فإنه لا يحسن منه موقع قولك أو عملك، ويرى أن تعزرك به أكثر من تحملك، فيشرع في كسرك، ويثيره إلى كسرك<sup>(1)</sup>.

كما يوجهه إلى أن يكون واسطة خير بين الحاكم والرعية، حيث عليه أن ينبه حاكمه إلى ضرورة تقديم النصح للرعية، والعفو عند المقدرة، وعليه أن يسعى دائما إلى الخير؛ إذ يقول: "واحذر الإضرار لديه بالناس في سبيل النصيحة، أو التوفير عليه كما توفر العامة على أنفسها الشحيحة، وابتغ له قلوب الخلق بمساحتهم فيما قصرُوا فيه عن يسير الحق، فإنك تسترخص له بذلك تملك الأحرار، وتحسين الآثار، واترك لشؤونه الخاصة شؤونك، وحرك من أحسنت إليه على شكره دونك، ليقف على أن سعيك له أكثر من سعيك لنفسك، في يومك أو أمسك"<sup>(2)</sup>.

ثم يدعو إلى تقديم العون للحاكم ومساعدته مع الطاعة، وخفض الجناح له؛ إذ يقول: "وإذا خصك بمشورته، وطلب رأيك لضرورته، فلا تخاطبه مخاطبة المرشد لمن استهداه، وأره حاجتك لما أبداه، وإذا اعترف بخطأ يواقعه في بعض أنظاره، أو أعلن يوما بسوء اختياره، فأجل فكرك في التماس عذره وتوجيه

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 345-346.

(2) - المصدر نفسه، 2: 346.



الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

عاره، واحتل بفتنتك في رمّه، واحذر أن توافقه على ذمه، وذلك نيتك لكلامك، واصرف إلى ترك التجاوز جل اهتمامك، فالكلام إذا طابق نية المتكلم حرك نية السامع، وإذا صدر عن القلب، أخذ من القلب بالمجامع"<sup>(1)</sup>.

ويقول أيضا: "واتق الكريهة دونه إن رهّب، واصرف لحظك عنه إن أكل أو شرب، وسدّ بينك وبينه باب العتاب بالمشافهة أو الكتاب، ولا تخف من طاعة الملك إلا ما وافق من طاعة ربّه"<sup>(2)</sup>.

**الركن الثالث:** وهو مخصّص لتحذير الوزير: "من تقدم الملك عليه في الأمر الذي أسند إليه، وجعل زمامه في يديه"<sup>(3)</sup>: وقد تمحور الكلام في هذا الركن حول تحذير الوزير من الاستكثار من الضياع والعقار، والجمع الكثير للجواهر النفيسة والأحجار، وكذلك الاستكثار من الحشم والولد لأن ذلك مجلبة للحسد خاصة من قبل منافسيه، وتلهية عن الاشتغال بأمور الدولة، فيقول: "واحذر أن تسول لك قدرة الإمكان ودالة السلطان، الزيادة في الاستكثار من الضياع والعقار، والجواهر النفيسة والأحجار، وغير ذلك من الاحتجان والاحتكار، وما تدعو إليه جلاله المحل ونباهة المقدار، فيتقسم فكرك وشغلك ويضيع سعيك وفضلك، ويحصيه عليك من يضمرك لك الافتراس، ولا يمكنك من

---

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 346-347.

(2) - المصدر نفسه، 2: 347.

(3) - المصدر نفسه، 2: 347.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

كيد الاحتراس، ممن حروم حظُّه، أو وُكس معناه أو لفظه، أو متطلع إلى أوفى من وزانه، متسامٍ إلى ما وراء إمكانه"<sup>(1)</sup>.

ويقول أيضا: "فاجتنب الانهماك في الاستكثار من الولد والحشم أولي العدد، والأذيال التي تثبت في أقطار البلد، فإنَّ الحاسد يراهم بذخا ونعمة، وإنما هم مؤونة ونقمة، وداعية إلى استهلاك عتاد، أو تدبير مستفاد، وإثارة حساد لهم، ورد جاهك، وعليك صدره ولهم نفع كدحك، وعليك ضرره"<sup>(2)</sup>.

ونصحه بأن يجعل أكثر انشغاله في الدفاع عن مصالح الدولة، والذود عن حدودها والوقوف في وجه الأعداء، فقال: "ولتكن همتك مصروفة إلى استبراء حال المملكة واعتبارها، وتأمّل أفكارها، وما عليه كل جزء من أجزائها، من سداد ثغورها ودفاع أعدائها، ونقصان ارتفاعها، واختلال أوضاعها أو تدبير مصلحة يبقى لك ذكرها وخبرها، ويحسن بك أثرها، وخف مصارع الدالة، فهي أدوأ دائك"<sup>(3)</sup>.

ويعلمه أن التفكير في تحسين اقتصاد البلد وتطويره من التزامات الوزير، ودليل على شرفه ونبله؛ إذ يقول: "واعلم أن الاقتصاد مع إمكان التوسعة، والتترل مع الرتبة المرتفعة، ينبئ على قوة رأيك، وصحة عزمك، واستقامة سعيك"<sup>(4)</sup>.

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتاب: لسان الدين بن الخطيب، 2: 348.

(2) - المصدر نفسه، 2: 348 - 349.

(3) - المصدر نفسه، 2: 349.

(4) - المصدر نفسه، 2: 349.

**الركن الرابع:** "في تصنيف أخلاق الملوك، للسير بمقتضاها والسلوك"<sup>(1)</sup>:

وقد دلّ في هذا الركن على بعض شيم الملوك التي يجب على الوزير أن يتحلى بها، مع اتباع أسلوب يوافق كل نوع من هذه الأخلاق؛ إذ يقول: "واعلم أن للملوك أخلاقا، يفطن الملائف من خدامها إلى استعمالها، فيجعله أسا للسياسة وأحكامها، وهي أن الملك لا يخلو أن يكون سخيا وباذلا، أو ممسكا باخلا، وقويا على تدبيره أو ضعيفا، يلقي المقادة إلى وزيره أو سياظته أو من الاسترسال فيه أو حسن البشر عند الافتراض، أو منقبضا عن الأعراض، وإذا تركبت هذه الخلال تركيبا طبيعيا، وترتبت ترتيبا وضعيا، وتقابل امتزاجها، بلغ إلى ستة عشر ازدواجها، وتأتي للحكيم من الوزراء علاجها، وربما انحرقت هذه الخلق أو توسطت، أو ربما أفرطت، وعلى هذا الترتيب ارتبطت"<sup>(2)</sup>.

**الركن الخامس:** "في سيرته مع من يتطلع لهضبته ويحسده على رتبته"<sup>(3)</sup>:

واشتمل هذا الركن على ذكر السبل التي يجب على الوزير أن ينتجعها في تعامله مع معاشريه، وخاصة ممن يطمحون إلى رتبته، أو يكون له حقدا وحسدا خفيا، وذلك بأن يبادلهم الإحسان والمعروف، فيقول: "وناهض فضلك، ليس من الاضطرار أن يكون لمزلته أسبابا، ولا لطلبه أبوابا، والحق أن تجاهده الجماعة، وتقمع منها الطماعة في الزيادة في فضائلك الذاتية، [والتحرز في ملابسة الدنية] والمناصحة لمن خصك بالمزية ولا تكشف في المجادة وجهها، ولا تبد فيه غيبة ولا

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتاب، لسان الدين بن الخطيب، 2: 349.

(2) - المصدر نفسه، 2: 350.

(3) - المصدر نفسه، 2: 350.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

نجهها، واكسر سورة حسدهم بإحسانك، وسوِّغهم المعروف من وجهك  
ولسانك، واصطنع أصدقاءهم ممن ضلع عليهم ومثل لديهم، تحرس منهم غيبك،  
وتدافع عيبك، وتجلو ريبك من غير أن يحس منك لهذا الغرض بفاقة، ولا يشعر  
بإضاقة، فإنك تنشر معاييهم المطوية، وترميهم من أشكالهم بالبلية<sup>(1)</sup>.

الركن السادس: خاصّ بسياسة الخاصة والبطانة وذوي الدّالة والمكانة:

لقد خصّ الوزير في هذا المقطع الوصائي بمجموعة من النصائح تضمن له  
التعايش الجيد مع أهل الحاكم وعشيرته ورجال دولته، وخاصته وحرمة، فأما  
فيما يخصّ الخاصة، فيقول: "واعلم أن، من الخاصة: مريض لشدائد الدولة  
ومهماتها، ومتسم من ألقاب الغنا بأكرم سماتها، فهو يرى لنفسه اليد واليوم  
والغد، وآخر متعلق في قرابة من الملك وحرمة، أو وكيد ميل وذمة، ولبست  
حظوظهم من الملك على حسب قوة أسبابهم، ووزن ما في حسابهم، فإن أطعت  
فيهم الملك، ظلمت المملكة حقها، وإن عدلت خالفت موافقة الملك، وباينت  
طرقها، والصواب التمسك بالترتيب على الإطلاق، ووضع الناس من المملكة  
موضع الاستحقاق"<sup>(2)</sup>.

أما فيما يتعلق بولد الملك، فدعاه إلى صيانتته وحمائته، وجعله بمترلة ولده؛  
إذ يقول: "وعامل الملك في ولده بحفظ الغيب، والسلامة من الريب، واحفظ له

(1) - ریحانة الكتاب ونجعة المتتاب، لسان الدين بن الخطيب، 2: 351.

(2) - المصدر نفسه، 2: 352.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

الرسم واستبقه، واجعل حقهم دون حقه. وإذا دعوت لهم فاشترط السعادة بخدمته وطاعته، واجعل رضاه من الولد رأس طاعته، واجعل رضاه من الولد رأس بضاعته، واحذر من إهمال هذا العرض وإضاعته، وإياك أن تفضل ولدك ولده، ولا عدتك عدده، ولا تناقشه في شيء قصده<sup>(1)</sup>.

كما وجهه إلى ضرورة معاملة حرم الملك معاملة الأخت، أو الابن البار لأمه، وغايته من هذا رسم حدود العلاقة بين حرم الحاكم والوزير التي يجب أن تكون مبنية على الاحترام والحشمة والحياء؛ إذ يقول: "وإذا انصرفت إليك من إحدى حرمه، رغبة، أو تأكدت في مهم قريبة، أو بدرت إليك شفاعاة أو توجهت في حاجة طاعة، فلا تسمع رسالتها، ولا تعتبر مقاتلتها، إلا من لسان إنسان موصوف عند الملك بإحسان، حال من يقنه بمكان، واحترز في محاورتها من فلتات اللسان وهفواته، وراجع خطابها مراجعة الأخ إلى أكرم إخواته، أو الابن الأبر أمهاته، ولا تصغ في مخاطبتها إلى خضوع كلام ورقة، تحية وسلام، وانفر من ذلك نفرتك من السموم الوحية والمهالك الردية"<sup>(2)</sup>.

كما خصّه في الآخر بوصايا عامة ليهتدي بها، ومن ذلك قوله: "وإذا انصرفت إلى مترلتك، فاختر بعمالك وكتتابك، وذوي الرأي والنصيحة من أصحابك، على إحكام حال الملك الذي ناطها بك، فإذا أمسيت، فاشغل طائفة من ليلك بمدارسة شيء من حكم الدين، وأخبار الفضلاء المهتمدين، واجل صدأ نفسك بالبراهين، ومجالسة العلماء والصالحين، واختم سعيك ببعض صحف

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتتاب، لسان الدين بن الخطيب، 2: 353.

(2) - المصدر نفسه، 2: 353.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

النبين، وأدعية المرسلين والمتألمين لتختتم يومك بالطهارة والعفة، والحلم والرأفة، واعتدال الكفة، وليهون عليك النَّصَب والوَصَب، والعمر المغتصب، إنك مهتد بهدى ربك الذي يرعاك، ويُنجح مسعاك، ويشيك على ما إليه دعاك"<sup>(1)</sup>.

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن ابن الخطيب أول من طرق غرض المقامة السياسية التي بناها على غرض النصح والتوجيه السياسي، حيث سكب وصاياه السياسية على شكل مقامة، وكانت غايته من ذلك الإبداع والتجديد للتفوق على أهل المشرق.

غير أن هناك من أشار إلى استفادته من التراث اليوناني في تأليفه للمقامتين، فقد ذكر دوغلاس مورثون أن مقامة السياسة لابن الخطيب "هي صورة معدلة من قسم من كتاب في السياسة منحول إلى أفلاطون، ترجمه في القرن الرابع الهجري أحمد بن يوسف بن الداية، كتاب ابن طولون (430-951) بعنوان "كتاب السياسة لأفلاطون" أو كتاب "العهود اليونانية المستخرجة من كتاب السياسة لأفلاطون"<sup>(2)</sup>.

وقد تحدث إحسان عباس عن تأثر ابن الخطيب بالعهود اليونانية في مقامته "الإشارة إلى أدب الوزارة" ولها ما يشابهها من العهود اليونانية، فيقول: "موضوع العهد الثاني ألصق بنفسه وتجربته، ولأنه عهد وزير إلى ولده، فهو

---

(1) - ريجانة الكتاب ونجعة المتتاب، لسان الدين بن الخطيب، 2: 354.

(2) - مجلة الفكر العربي، وداد القاضي: 3. عن: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضمين والخصائص، محمد مسعود جبران، 2: 364.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

يعكس دور ابن الخطيب نفسه في الحياة السياسية، ولهذا زاده السجع كما زادته الرغبة في الموضوع طولاً...<sup>(1)</sup>.

والحقيق بالذكر ههنا، أن استفادة ابن الخطيب من التراث اليوناني في تأليفه للمقامتين لم تمنعه من الاعتراف من الآداب العربية والإسلامية.

### أ-3- التوفيق بين الالتزام بالشرع وتدبير شؤون السياسة:

إن السياسة والدين متلازمان، ولهذا وجب على المسؤول مهما كانت منزلته حاكماً، أو وزيراً، أو قاضياً، أو والياً... الالتزام بالواجبات الدينية، وتطبيق فروض الشرع وأحكام الشريعة حتى يسود العدل ويعم الأمن والرخاء وتكفل حقوق الرعية وتصان، ومن ذلك رسالة كتبها ابن الخطيب على لسان سلطانه -الغني بالله- إلى الولاة يوصيهم فيها بتقوى الله واتباع طريق الحق وبث العدل ليكونوا على الصورة التي كان عليها الخلفاء الراشدون، يمثلون القدوة الحسنة للرعية لتهتدي على خطاهم، ليصان الدين وتحافظ الدولة على أركانها ومبادئها لتبقى ثابتة وصامدة في مواجهة كل الأخطار التي تهددها داخليا أو خارجيا، فيقول: "ومن المنقول عن الملل والمشهور في الأواخر والأول أن المعصية إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم، وأظلم ما بينهم وبين ربهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت فيهم المثلات والنقمت وشحت السماء، وغيض الماء واستولت الأعداء، وانتشر الداء، وجفت الضروع، وأخلفت الرضوع، فوجب علينا أن نستميلكم بالموعظة الحسنة، والذكرى التي توقظ من السنة ونقرع

(1) - ملامح يونانية في الأدب العربي، إحسان عباس: 175.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

آذانكم بقوارع الألسنة، فأقرعوا الشيطان بوعيتها، وتقربوا إلى الله تعالى برعيها، الصلاة الصلاة فلا تمملوها، ووظائفها المعروفة فكمملوها، فهي الركن الوثيق، والعلم المائل على جادة الطريق... والزكاة أختها المنسوبة ولدتها المكتوبة، المحسوبة... وارعوا حقوق الجار، وخذوا على أيدي الدعة والفجار، وأخرجوا الشنان من الصدور، واجعلوا صلة الأرحام من عزم الأمور، وصونوا عن الاغتياب أفواهكم ولا تعودوا السفاهة شفاهكم... فاحذروا معاطب هذا الداء ودسائس هؤلاء الأعداء، وأهمّ ما صرفتم إليه الوجوه، واستدفعتم به المكروه، العمل على ما في الآية المتلوّة، والحكمة السافلة المجلوّة من ارتباط الخيل، وإعداد العدة. فمن كان ذا سعة في رزقه فليقم لله بما استطاع من حقه، وليتخذ فرسا يعلم محلّته بصهيله، ويقتنى أجره من أجر الله وفي سبيله"<sup>(1)</sup>.

وهكذا، فقد كان لابن الخطيب تأثير قويّ في بناء دولة بني نصر على القواعد المنهجية والأسس الصّحيحة التي تبنى على تطبيق الشّرع وتنفيذ أحكامه.

### ب- الوصايا المتعلقة بالزجر والوعظ:

اشتملت تأليف لسان الدين بن الخطيب على نصوص وصائية زاخرة خصها غرض الزجر والوعظ، تطرق خلالها إلى الدعوة إلى الابتعاد عن مفاتن الدنيا الخادعة الفانية، والتذكير بالموت واليوم الآخر، وشق الطريق الصحيح نحو الجنة وذلك بمخالفة النفس لأهوائها وأطماعها المختلفة، وضرورة إخضاعها لاتباع الطريق القويم، ومعرفة إلهها حق المعرفة.

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتناّب، لسان الدّین بن الخطیب، 2: 44-46.



الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

ولعله استمد العديد من وصاياه الزجرية من عمق التجربة الصوفية التي عاشها بعدما أثقلت السياسة كاهله وأتعبته شؤونها وتقلباتها، إضافة إلى كيد خصومه وحساده وترصد الأعداء له من كل جهة، وظروف أخرى أملت به، وكذلك تأثير طبيعة الوسط الذي نشأ فيه الذي تميّز بالوقار والعفة وصلاح العقيدة<sup>(1)</sup>.

فلا غرو أنه وجد في مدينة سلا بعدما وفد إليها منفيًا سنة 761هـ مرتعا للراحة والطمأنينة، خاصة وأن الدولة المرينية وفرت له ظروف الإقامة الجيدة بهذه المدينة المغربية التي عبر من خلالها إلى عالم الذوق والعرفان عن طريق التصوف والزهادة وذلك بالانقطاع للعبادة وكثرة الذكر... ولعل من آثار ذلك، تردد لسان الدين على المقابر التي تضم السلاطين والمجاهدين والأولياء الصالحين لاستخلاص العبر والموعظة، والاستماع إلى شيوخ الزوايا والفقهاء<sup>(2)</sup>، فضلا عن رغبته المتكررة في زيارة بيت الله الحرام...<sup>(3)</sup>.

حيث إنه كثيرا ما "تدفع الأزمات والحروب طوائف من الناس نحو الحياة الصوفية التي يجدون في ربوعها طمأنينة تغمرهم بزلالها المنعش فتعود الأرواح بعد خلاصها من جلبة العالم و ضوضائه إلى سكينتها الفطرية التي تتفتح في بجوحاتها

---

(1) - ينظر؛ الفلسفة والأخلاق عند لسان الدين بن الخطيب: عبد العزيز بن عبد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط2، 1403هـ - 1983: 34-35.

(2) - ينظر؛ ديوان الصيب والجهم والماضي والكهام، لسان الدين بن الخطيب: 61.

(3) - ينظر؛ فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية، محمد مسعود جبران، 1: 354.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

آفاق علوية خلافة، وقد تستتب هذه النجوة العابرة وتتطاول، فتنتقل من حالها الخاطف إلى مرحلة قارة لا تلبث أن تصير مقاما من المقامات الصوفية المرموقة<sup>(1)</sup>.

ذلك أن طبيعة النفس البشرية تكون في حاجة ماسة إلى التقرب من خالقها وقت الشدة والألم والأزمات والاضطرابات النفسية لتستكين النفوس القلقة وتهدأ وتمد بالانشراح الوجداني، طلبا للتخلص من صروف الدهر وبجثا عن سبل السعادة الأخروية، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(2)</sup>، وقال الشاعر أيضا:

ذِكْرُ الْإِلَهِ ذَخِيرَةُ الْأَنْفَاسِ وَمَطِيبُ الْخَطَرَاتِ وَالْأَنْفَاسِ<sup>(3)</sup>

وكان الخطاب في هذه الوصايا تارة عاما موجها إلى عامة الناس، وتارة أخرى كان مخصوصا كتلك الوصايا التي أتت على شكل رسائل خاطب بها ابن مرزوق وأبا سعيد، وكذلك شيخ الدولة الإبراهيمية، وكانت هذه الوصايا أشبه بالوصايا الإخوانية وذلك لطبيعة العلاقة المبنية على الصداقة والمودة بين الموصي ومتلقيه.

ومد الصديق بالنصح والإرشاد من بين العوامل القوية التي تعزز جسور المحبة والتواصل بين الأصدقاء والإخوة وهي واجبة؛ إذ يتحدث ابن الخطيب عن

(1) - الفلسفة والأخلاق عند لسان الدين بن الخطيب، عبد العزيز بن عبد الله: 36.

(2) - سورة الرعد، الآية: 128.

(3) - الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين: نور الهدى الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2008: 170.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

ذلك لصديقه شيخ الدولة الإبراهيمية، فيقول: "سيدي وعمادي، كشف قناع النصيحة من وظائف صديق، أو خديم لصيق، وأني بكلا الجهتين حقيق، ويتلجلج إلى صدري كلام أنا إلى نفثه ذو احتياج، ولو في سبيل هياج، وخرق سياج، وخوض دياج، وقد أصبحت سعادتي عن أصل سعادتك فرعا، يوجب النصح طبعا وشرعا"<sup>(1)</sup>.

وقد اكتسى بعض هذه الوصايا طابع العفوية تميزت بالإيجاز والاختصار، وأما بعضها فقد كان ثمرة جهود فكرية مضيئة ولكنها مثمرة في آن واحد، استثمر فيها ابن الخطيب جل طاقاته الفكرية ومعظم تحصيله العلمي والثقافي واللغوي -تحذوه بذلك رغبة جامحة نحو الحداثة والتجديد- إضافة إلى ما فاضت عليه خلجات نفسه واستكان في قلبه من فيض التجربة الروحية<sup>(2)</sup>.

كما أنه دعم أقواله ومعارفه بشواهد نصية مختلفة منها الشرعية كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأخرى حكمية كأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال الحكماء من مسلمين وغيرهم عن يونانيين وهنود... وأخرى تاريخية كالتطرق لأخبار الدول السابقة وملوكها وبيان زوالها وزوال ملكها من أجل العظة والاعتبار، كان غرضه من ذلك التأثير في المتلقي ليقتنع وينتفع بوصاياه للعمل بها، ولعل من أسباب سلوكه هذا الاتجاه هو ترده على الشيوخ والزوايا

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتاب، لسان الدين بن الخطيب، 2: 121.

(2) - ينظر؛ روضة التعريف بالحبّ الشريف: الوزير لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت): 31. ومنهج هذا الكتاب غريب في بابه، فهو منهج لم يتفق لمؤلف قبله، وهو يعتبر بحق خطوة في سبيل التجديد الصوفي لم يسبق إليها. المصدر نفسه: 29.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

ذلك أن غاية الشيخ في نصح مريديه، الأخذ بالمنهج والعمل بالطريقة للوصول إلى الحقيقة.

## ب- 1- التذكير بالموت:

الموت هو الكأس الذي يشرب منه الميسور والمعدوم، وهو المصير المحتوم لأي بشر مخلوق لأجل غير معلوم لا يعلم ميقاته إلا الله تعالى، وهو ملاقي الإنسان لا محالة وقد يأتي بغتة.

لهذا ذهب ابن الخطيب إلى تنبيه الغافلين وتذكير الشاردين بحقيقته لأنه وعد على كل مؤمن ووعد الله حق؛ إذ يقول: "اعلموا يرحمكم الله أن الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها من الأقوال والأحوال، ومن الجماد والحيوان، وألسنة الملوان، فإن الحق نور لا يضره أن يصدر من الخامل، ولا يقتصر بمحموله اقتصار الحامل، وأنكم في أطوار سفر لا يستقر لها دون الغاية رحله، ولا تتأتى معها إقامة ولا مهلة، من الأصلاب إلى الأرحام إلى الوجود، إلى القبور، إلى النشور إلى إحدى داريّ البقاء أفي الله شك؟"<sup>(1)</sup>.

ويقول أيضا:

أَلَا أُذُنٌ تُصْغِي إِلَى سَمِيعَةٍ      أُحَدِّثُهَا بِالصِّدْقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ  
مَدَدَتْ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَاهِ حَسْرَةَ      عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ  
هُوَ الْغُرْرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ      فَتَوَبُّوا سِرَاعًا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْفَوْتُ<sup>(2)</sup>

(1) - روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: 153.

(2) - المصدر نفسه: 156.

ويقول أيضا:

مَا فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ نَفْسٌ حَيَّةٌ  
لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كُونُوا  
إِلَّا قَدْ انْقَضَ عَلَيْهَا أَجَلٌ  
لَأَمْتَلَأَ السَّهْلَ بِهِمْ وَالْجَبَلَ  
مَا تَمَّ إِلَّا لَقِمَ قَدْ هَيَّتْ  
لِلْمَوْتِ وَهُوَ الْآكِلُ الْمُسْتَعَجِلُ  
وَالْوَعْدُ حَقٌّ وَالْوَرَى فِي غَفْلَةٍ  
قَدْ خُدِعُوا بِعَاجِلٍ وَضَلُّوا<sup>(1)</sup>

## ب- 2- التذكير بالحساب والعقاب:

الموت هو انتقال من حياة فانية إلى حياة باقية، وهو نهاية لذلك الامتحان العسير الذي يجي من أجله الإنسان المتمثل في إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وطاعته، فمن أحسن الطاعة فله حسن الجزاء ومن ضلَّ السبيل إلى ذلك فله شر الجزاء.

وعليه ترى ابن الخطيب ينظر إلى الموت نظرة فلسفية عميقة فهو يقرن رهبته برهبة الحساب والعقاب، فيقول: "إنما أموالكم وأولادكم فتنة، والله عنده أجر عظيم، ما بعد المقييل إلا الرحيل، وما بعد الرحيل إلا المتزل الكريم أو المتزل الوبييل، وإنكم تستقبلون أهوالا، سكرات الموت"<sup>(2)</sup>.

كما يذكرهم بأن الله هو صاحب الأجر والجزاء العظيم يوم البعث والنشر تبعا لما يقدمه الإنسان في حياته، فيذكر: "قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾"<sup>(3)</sup>، أفلا أعددتم

(1) - روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: 158-159.

(2) - المصدر نفسه: 153.

(3) - سورة فاطر، الآية: 50

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

لهذه الورطة حيلة، أو أظهرتم للاهتمام بها مخيلة، أتعويلا على عفوه مع المقاطعة وهو القائل: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>(1)</sup>، وهو القائل، أأمنا من مكره مع المنابذة، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(2)</sup>، أطمعا في رحمته مع المخالفة، وهو يقول: ﴿فَسَاكُتِبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾<sup>(3)</sup>، أو مشاققة ومعاندة ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(4)</sup>، أشكا فيه، فتعالوا نعيد الحساب، ونقرر العقد، ونتصف بدعوة الإسلام أو غيرها من اليوم، تفقدوا عقد العقائد عند التساهل بالوعيد، والعامي يدهن الأصبع الوحيد، والعارف يضمم بها مبدأ العصب.

هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ التَّعَامِي هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْعُرُورُ

وقال تعالى: ﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(5)</sup>، قال لسان الدين:

وَلَوْ كَانَ هَوْلُ الْمَوْتِ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ لَهَانَ عَلَيْنَا الْأَمْرُ وَاحْتُقِرَّ الْهَوْلُ

وَلَكِنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ وَنَارٌ وَمَا لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ الْقَوْلُ<sup>(7)</sup>

(1) - سورة إبراهيم، الآية: 07.

(2) - سورة الأعراف، الآية: 99.

(3) - سورة الأعراف، الآية: 156.

(4) - سورة الحشر، الآية: 4.

(5) - سورة يس، الآية: 30.

(6) - روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: 154-155.

(7) - روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: 161-162.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

### ب- 3- التزهيد في التكالب على المناصب السامية في الدولة:

على الرغم مما جناه لسان الدين من مكتسبات مادية من خلال تقلده أرقى المناصب في الدولة، فإن مكابדתه المشقة والعناء من جراء خدمة السلاطين والملوك، ومعاشته طور الزهادة والتعبد أبان له أن راحة الإنسان الحقيقية ليست في عيشه داخل القصور الفخمة واقتنائه الآنية الرفيعة واكتسائه الثياب الأنيقة... وإنما في التقرب إلى الله والزهادة في العيش وملازمة أهل الخير...

فلم يتوان ابن الخطيب في نقل هذه التجربة إلى صديقه ابن مرزوق ليستفيد منها، كونه عانى ويلات السياسة وذاق مرارتها، عن طريق تقديم الإرشادات والمواعظ إليه، فأراد أن تكون نصائحه تعبيراً صادقاً عما حز في نفسه وما ضاق به صدره واختلج بداخله، وقد بنى كلامه على لغة العقل والمنطق، فقال: "وأنا أنافرك إلى العقل الذي هو قسطاس الله في عالم الإنسان، والآلة لبث العدل والإحسان، والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان فأقول: ليت شعري ما الذي غبطك سيدي بالدنيا، وإن بلغ من زبرجها الرتبة العليا، وأفرض المثال بجلال إقبالها، ووصل حبالها، وخشوع جبالها، وضراعة سبالها، المتوقع المكروه صباح مساء، وارتقاب الحوالة التي تدل من النعم البأسا، ولزوم المنافسة التي تعادي الأشراف والرؤسا. لترتب العدل حتى على التقصير في الكتب، وضعينة جار الجنب، وولوع الصديق بإحصاء الذنب، النسبة وقايع الدولة إليك، وأنت منها عريٌّ إلا بشهدانك للمضمار التي تنتجها غيرة الفروج، والأحقاد التي تضطربها ركة السروج، وسرحة المروج، ونجوم السما ذات البروج. ألتقليدك

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصحت إليه فاقتك، من حاجة لا يقتضي قضاها الوجود، ولا يكفيها الركوع للملك والسجود. إلقطع الزمان بين سلطان يعبد، وأفكار للغيوب تكبد، وعجاجة سر تلبد، وأقبوحة تحلد، وتؤيد، والوزير يصانع ويداري، وذو حجة صحيحة يجادل في مرضاة السلطان ويمارى، وعورة لا توارى. ألباكرة كل عايب حاسد، وعدو مستأسد، وسوق للإنصاف والشفقة كاسد، وحال فاسد، أألوفود تتزاحم بسدتك، مكلفة لك غير ما في طوقك، فإن لم يقع الإسعاف، قلبت عليك السماء من فوقك"<sup>(1)</sup>.

ومما أوصى به ابن الخطيب صديقه ابن مرزوق ملازمة أهل الخير، ذلك أن ملازمة ابن الخطيب واحتكاكه بكثير من الأصدقاء ومعاشرته صنوفا من الناس بينت له مدى اختلاف الناس في طبائعهم ونياتهم، فلسان الدين يحذر من مصاحبة الأصدقاء الذين يغلب عليهم طابع المكر والحيلة والابتزاز لقضاء حاجاتهم، فهم يظهرون لك الود وقت يعزك الزمان، ويديرون لك ظهرهم حين يدير لك الدهر وجهه، فيقول: "فليت شعري أي شيء زادها، أو معنى أفادها، إلا مباكرة وجه الحاسد، وذو القلب الفاسد، ومواجهة العدو المستأسد، أو شعرت ببعض الإيناس في الركوب بين الناس، هل التذت إلا بجلم كاذب، أو جذبها غير الغرور مجاذب. إنما راكبك من يحدق إلى الحلية والبزة، ويستظل مدة العزة، ويرتاب إذا تحدثت بخبرك، ويتبع بالنقد والتجسس مواقع نظرك، ويمنعك

(1) - ریحانة الكتاب ونجعة المتتاب، لسان الدين بن الخطيب، 2: 430 - 431.



الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

من مسامرة أنيسك، ويحتال على فراغ كيسك، ويضمرا لشر لك ولرئيسك. وأي راحة لمن لا يباشر قصده، ويسير متى شا وحده"<sup>(1)</sup>.

كما يبين له أسلوب الحياة الجديدة المبنية على الزهد الذي نهجه، وذلك بتطبيق الدنيا والابتعاد عن بهرجها وزخرفها، لعله يهتدي بها ويحيى على منهجها ليسعد في دنياه وآخرتة، فيقول: "وقد فررت من الدنيا كما يفر من الأسد، وحاولت قطع المداخل حتى بين روعي والجسد، وغسل الله قلبي وله الحمد من الطمع والحسد، فلم أبق عادة إلا قطعتها، ولا جنة للصبر إلا ادرعتها، أما اللباس فالصوف، وأما الزهد فيما بأيدي الناس فمعروف، وأما المال العبيط فعلى الصدقة مصروف، ووالله لو علمت أن حالي هذه تتصل، وعراها لا تنفصل، وترتيب هذا يدوم، ولا يجيرني الوعد المحتوم والوقت المعلوم، لمت أسفا، وحسبي الله وكفا"<sup>(2)</sup>.

## ب-4- الحث على التقرب إلى الله بصالح الأعمال والطاعات:

إن الدعوة إلى طاعة الله وتقواه باب من أبواب النصيحة، ومنفذ من منافذ الفرج والسعادة؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(3)</sup>، خاصة إذا كان المتلقي بحاجة إليها. قد ينطبق هذا القول ههنا على أبي سعيد الذي خصه ابن الخطيب

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتاب، لسان الدين بن الخطيب، 2: 432.

(2) - المصدر نفسه، 2: 434-435.

(3) - سورة الطلاق، الآيتان: 2-3.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

بوصية زجرية بناها على أسلوب التفریع والتوبيخ، ولعل سبب كتابة هذه الوصية هو براءة أبي سعيد من تهمة كانت قد وجهت إليه، إذ يظهر أن أبا سعيد قد أخطأ التفسير والتقدير في فهم المنقول وجانب الصواب في مقاصد الشريعة وربما صدرت عنه أقوال فاتهم بها فامتحن<sup>(1)</sup>.

وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك في الوصية إلى ما يسمى بالعوائد، لهذا دعا صديقه إلى مراجعة نفسه، وذلك بانتهاج الطريق الصحيح في عبادة الله والمنهج القويم في اتباع الشرع من خلال أداء مختلف الطاعات والفروض، وكثرة الذكر والدعاء، والصبر والتوكل...؛ إذ يقول: "والعوايد تعالج مع بقاها وعمران نافقاتها، بأدوية شرعية تنير عبوسها: وتذهب بوسها، وتملس أديمها، وتونس عديمها، صعب عليكم استعمالها، وسهل لديكم إهمالها"<sup>(2)</sup>.

ويقول أيضا: "أين الصدقات، إذا حدقت إلى الأكف الحدقات، أين زلف الليل. أين الزكاة المتوعد ممسكها بالويل، أين الجهاد وارتباط الخيل، أين الحج وركبانه، تتدافع تدافع السيل، أين تلاوة القرآن التي تطمئن بها القلوب، أين الخلق الذي لا يصح دونها المطلوب، أين الحظ المغلوب، أين الصبر والسكون، وانتظار الفرج ممن يقول للشيء كن فيكون، أين قيدها وتوكل، أظنه أشكل، أين الأنفة من الاشتهار، أين الأنس بالخلوة بياض النهار، عدل عن ذلك

---

(1) - ينظر؛ فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية، محمد مسعود جبران، 2: 99-100.

(2) - ریحانة الكتاب ونجعة المتتاب، لسان الدين بن الخطيب، 2: 447.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

كله إلى البخل على المساكين، والسلطة على أهل الدكاكين، وهجر المورد المعين، والتعويل على الوصول إلى الله من خرجة ابن سبعين<sup>(1)</sup>.

ولتثيت العقيدة وصيانة الإيمان على الإنسان العمل بمنهج السلف الصالح والسير على خطاهم، لهذا دعا ابن الخطيب صديقه إلى التحلي ببعض الصفات التي تميز بها الأسلاف والتشبه بأخلاقهم، ذلك أن التمثل بالعظام نجاح والاقتداء بهم فلاح، فيقول: "ما الذي رابكم، أنس الله اغترابكم، من سيرة السلف الذين تجرأوا وكسبوا وانبأوا لغنى الأكف وانتسبوا، وتصدقوا ووهبوا، وجاهدوا وحجوا وما انحرفوا ولا لجوا، وبسيرة أعمالهم احتجوا، وسعوا والتمسوا، وأكلوا الطيب ولبسوا، وجوارحهم بميزان الشريعة، أرسلوا وحبسوا، وشهد لهم بالخلاص عقدهم الذي حفظوا ودرسوا، لم يزمعوا لغير الضرورة طلاقا، وأشفقوا من فراق أهلهم إشفاقا، ولا حلوا لحسن العهد نطقا، ولا قتلوا أولادهم إملاقا، ولم يضرهم مع الاستقامة معاشهم، ولا قطع بهم عن الله أثاثهم ولا رياضهم، بل إلى فئة الحق حياتهم، وأنتم على الحقيقة، ومن لكم بذلك أوباشهم، فإن قلمت وسعوا ما ضاق عنه احتمالنا، ولم تستطعه أعمالنا، فهلا تظنتم وتنبهتم، وتكفتم هديهم وتشبهتهم"<sup>(2)</sup>.

## ب-5- الدعوة إلى التوبة والإقلاع عن المعاصي:

تعتبر التوبة أول مقامات الإحسان، وأول درجات الارتقاء في مدارج العرفان، لذا كان الله غفورا رحيفا وسعت رحمته كل شيء، يبسط يده في الليل

(1) - ریحانة الكتاب ونبعة المتأب، لسان الدين بن الخطيب ، 2: 447-448.

(2) - المصدر نفسه، 2: 449.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

ليتوب مسيء النهار، ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، لهذا دعا ابن الخطيب العبد إلى تحسين العلاقة مع خالقه وتمتينها بترك المعاصي والإقبال على الله والتبتل والعبادة بولوج باب التوبة؛ إذ يقول: "يا طرداء المخالفة إنكم مدركون، فاستبقوا باب التوبة، فإن رب تلك الدار يجير ولا يجار عليه، فإذا أمتم فاذكروا الله كما هداكم، يا طفيلية الهمة دسوا أنفسكم في زمر التائبين، وقد دعوا إلى دعوة الحبيب فإن لم يكن أكل، فلا أقل من طيب الوليمة. قال بعض العارفين، إذا عقد التائبون الصلح مع الله انتشرت رعايا الطاعة في عمالة الأعمال، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾<sup>(1)</sup>، معاني هذا المجلس والحمد لله نسيم سحر، إذا انتشقه مخمور الغفلة أفاق بسعوط هذا الوعظ يتفض إن شاء الله ركمة البطالة"<sup>(2)</sup>.

## ب-6- أخذ العبر من دروس الحياة:

تمثل الحياة بأخبار أحيائها وأمواتها، بشرا كانوا أو دولا وممالك زائلة عصارة تجارب حياتية يتوجب الاستفادة منها، ونواب الدهر مدرسة لا بد من التعلم منها؛ إذ يقول ابن عاصم الغرناطي: "...فإنّ في حوادث الأيام لأولي الأفهام اعتبارا، وفي طوارق الليالي، لأرباب المهمم العوالي اختبارا، وفي مجاري الأقدار للذوات الشريفة الأقدار استظهارا، وفي مجان الألطاف الدانية القطاف المائسة الأعطاف، في روضها الجمّ النّطاف استبصارا..."<sup>(3)</sup>، وأول ما يجب أن

(1) - سورة الزمر، الآية: 69.

(2) - روضة التعريف بالحبّ الشريف، لسان الدين بن الخطيب، 159.

(3) - جنّة الرّضا في التسليم لما قدر الله وقضى، أبو يحيى بن عاصم الغرناطي، 1: 94.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

يدركه الفرد هو زوال هذه الحياة الدنيا لهذا يجب على الإنسان أن يتزهد في حياته الدنيا، وأن يتجنب التهافت على حطامها والاهتمام بزخرفها وبهرجها من لذات وشهوات ورغبات... لأن مهمة الإنسان في هذه الحياة محددة، فعليه أن يسخر كل حواسه وجوارحه في سبيل ذلك بحب الإله والخضوع لطاعته، فيقول: "يا كلفا بما لا يدوم، يا مفتونا بغرور الموجود المعدوم، يا صريع جدار الأجل المهذوم، يا مشتغلا ببنيات الطريق، قد ظهر المناخ، وقرب القدوم، يا غريقا في بحار الأمل، ما عساك تقوم، يا ملك الطعام والشراب، ولمع السراب لا بد أن تهجر المشروب، وتترك الطعام، دخل سارق الأجل بيت عمرك، فسلب النشاط، وأنت تنظر، وطوى البساط وأنت تكذب. واقتلع جواهر الجوارح وقد وقع بك البهت، ولم يبق إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويفعل:

لوخَفَّفَ الْوَجْدُ عَنِّي دَعْوَتُ طَالِبٍ ثَارِي

كلاً إنَّها كلمة هو قائلها كيف التَّراخي، والموت مع الأنفاس يرتقب وينتظر، كيف الأمان وهادم اللذات لا يبقى ولا يذر، كيف الركون إلى الطمع الفاضح، وقد صح الخبر من فكر في كرب الخمار، فنغصت عنده لذة النيذ من أحس بلغط الحرس فوق جداره لم يصغ بسمعه إلى نغمة العود، من تيقن نذل الغزلة هان عنده عز الولاية.

مَا قَامَ خَيْرُكَ يَا زَمَانَ بِشَرِّهِ أَوْلَى لَنَا مَا قَلَّ مِنْكَ وَمَا كَفَى<sup>(1)</sup>

(1) - روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: 156.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

كما يجب على الإنسان أيضا أن يضحى بكل عزيز ونفيس، وتحمل الصعاب والمشقة، من أجل سعادة غايتها حب المحبوب وشهود الحق عن طريق الذوق، حيث يقول: "بحث الزهاد والعباد والعارفون والأوتاد والأنبياء الذين تتمددي به العباد عن سبب الشقاء الذي سعادة بعده، فلم يجدوا إلا البعد عن الله سببه حب الدنيا..."

هَجَرْتُ حَبَائِبِي مِنْ أَجْلِ لَيْلِي      فَمَالِي مِنْ بَعْدِ لَيْلِي حَيْبُ  
وَمَاذَا أُرْتَجِي مِنْ وَصْلِ لَيْلِي      سَيُجْزَى بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبٍ<sup>(1)</sup>

وللبرهنة على فناء هذه الدنيا الخادعة، استدلل ابن الخطيب على صحة ما قاله بدلائل قوية تمثلت في حديثه عن أخبار الدول والأمم السابقة وزوالها وذهاب ملوكها بما خلدوه وشيدوه من قصور وصروح... فيقال: "إخواني، صُمَّتِ الآذَانُ وَالنِّدَاءُ جَهِيرٌ، وَكَذَبَ الْعِيَانُ وَالْمِشَارُ إِلَيْهِ شَهِيرٌ، أَيْنَ الْمَلِكِ، وَأَيْنَ الظَّهِيرِ، أَيْنَ الْخَاصَّةِ وَأَيْنَ الْجَمَاهِيرِ، أَيْنَ الْقَبِيلِ وَأَيْنَ الْعَشِيرِ، أَيْنَ كَسْرَى وَأَيْنَ أزدشير، صدق الله الناعي، وكذب البشير وغشَّ المستشار واتهم المشير، وسئل عن الكلف فأشار إلى التراب المشير"<sup>(2)</sup>.

وقد يجد الإنسان في زيارة المقابر خير دليل على خداع هذه الدنيا وفنائها، لهذا يوصي ابن الخطيب بالتردد على مدافن الآباء والأمهات للاستعبار والعظة، واستشعار قرب الموت من الإنسان في أي لحظة وقصر العمر وهذا حتى

(1) - روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: 158.

(2) - المصدر نفسه: 160.

## الفصل الثاني:

موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

يستغل وقته القصير في صالح الأعمال والعبادات ليفوز بالجنة و يسعد في آخرته،  
فيقول:

خُذْ مِنْ حَيَاتِكَ لِلْمَاتِ الْآتِ      وَبَدَارِ مَا دَامَ الزَّمَانُ مُوَاتِي  
لَا تَعْتَرِزْ فَهُوَ التُّرَابُ بِقِيَعَةٍ      قَدْ خُودِعَ الْمَاضِي بِهِ وَالْآتِي  
يَا مَنْ يُؤَمِّلُ وَاعْظَا وَمُذَكَّرَا      يَوْمَا لِيُوقِظَهُ مِنَ الْغَفَلَاتِ  
هَلَّا اعْتَبَرْتَ وَيَالَهَا مِنْ عِبْرَةٍ      بِمَدَافِنِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّاتِ  
قِفْ بِالْبَقِيْعِ وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ      فَلَكُمْ بِهَا مِنْ خَيْرَةٍ وَلِدَاتِ  
دَرَجُوا وَلَسْتَ بِخَالِدٍ مِنْ عَدِهِمْ      مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ بِوَصْفِ حَيَاةِ  
وَاللَّهِ مَا اسْتَهَلَّتْ حَيًّا صَارِحًا      إِلَّا وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي الْأَمْوَاتِ  
لَا فَوْتَ عَنْ دَرْكِ الْحِمَامِ لِهَارِبٍ      وَالنَّاسُ صَرَعَى مُعْرِكِ الْآفَاتِ  
كَيْفَ الْحَيَاةِ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ      سِنَّةَ الْكَرَى بِمَدَافِنِ الْحَيَّاتِ  
أَسْفَا عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْأَمْوَاتِ لَا      نَنْفَكُ عَنْ شُغْلِ بِهَاكَ وَهَاتِ  
وَيَعْرُنَا لَمَعَ السَّرَابِ فَنَعْتَدِي      فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ اللَّذَاتِ  
وَاللَّهِ مَا نَصَحَ امْرَأً مِنْ غَشَّهِ      وَالْحَقُّ لَيْسَ بِخَافِتِ الْمَشْكَاةِ<sup>(1)</sup>

وفي موضع آخر، يوصي ابن الخطيب بالصبر، فيقول:

وَاصْبِرْ عَلَى مَضْضِ اللَّيَالِي إِنَّهَا      لِحَوَامِلِ سَيِّلِدْنَ كُلِّ عَجِيبِ  
فَإِذَا جَعَلْتَ الصَّبْرَ مَفْزَعِ مَعْضِلٍ      عَاجَلَتْ عِلَّتُهُ بِطَبِّ طَيِّبِ

(1) - روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب: 160-161.

الفصل الثاني: موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

فللصبرِ أولى أن يكونَ رُجوعُنا إذا لم نكن بالحزنِ نُرجعُ فائتاً<sup>(1)</sup>

ويدعو إلى القناعة فيقول:

فأفنع بما أعطاك ربك واغتيم منه السرور وخل ما لا ينفع<sup>(2)</sup>

ويدعو إلى حسن الظن بالله والتفاؤل بالمستقبل، فيقول:

إذا كانَ ماضٍ من زمانك قد مضى بإساءة قد سرك المُستقبلُ  
هذا بذاك فشفع الثاني الذي أرضاك فيما جناك الأول<sup>(3)</sup>

وقد نظم ابن الخطيب أبياتا استهل بها رسالة وجهها إلى أبي علي عمر ابن عبد الله - من وزراء بني مرين - يوصيه فيها بالاعتماد على الله والثقة به والاتجاه إليه في الشدائد، كما أوصاه بشكر الله متمثلاً بشفقته على عباده ورحمته بخلقه، فيقول:

لا تَرجُ إلا الله في شدة  
حاشاك أن تَرجو إلا الذي  
واشكر بالرحمة في خلقه  
والله لا تُهمِلُ الطافه  
يا أسعد الملك الذي سُنته  
وثق به فهو الذي أيديك  
في ظلمة الأحشاء قد أوجدك  
ووجهك أبسط بالرضا وأيديك  
قِلادة الحق الذي قللك  
يا عُمَرَ العدلِ وما أسعدك<sup>(4)</sup>

(1) - الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، عبد العزيز بن عبد الله: 11.

(2) - المرجع نفسه: 12.

(3) - المرجع نفسه: 12.

(4) - ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: لسان الدين بن الخطيب، 647.



إضافة:

ومما صدر عن لسان الدين بن الخطيب في باب الوصايا مخاطبا ابن زمرك

قائلا:

يَا طَالِبًا مِنْ جَارِهِ إِسْكَرْفَجًا      هَذَا يُخَبِّرُ أَنَّ جُوعَكَ فَاجَا  
وَيَدُلُّ أَنَّكَ قَدْ نَبَذْتَ تَدَاوِيًّا      وَيَدُلُّ أَنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ عِلَاجَا  
خَفٌ مِنْ غِذَاءٍ غَيْرٍ مَعْتَدِلِ الْقَوَى      واحذرَ طَعَامًا يُفْسِدُ الْأَمَشَاجَا<sup>(1)</sup>

وهنا جاءت هذه الوصية على شكل دعاية، ولكنها صحيحة قدمها ابن

الخطيب لابن زمرك على شكل نصيحة تخص الحمية.

وهكذا، بينت هذه الوصايا مدى اتساع الآفاق العلمية للسان الدين، واطّاعه وتضلّعه من مختلف العلوم والمعارف التي كانت سببا في ذبوع صيته وسطوع نجمه وبخاصة في مجال السياسة والاشتغال بها والتأليف عنها، كما أظهرت مدى صفاء عقيدة الرجل وقوة إيمانه، وتمسكه بالكتاب والسنة، وفهمه العميق للدين، عكس ما وجه إليه من الاتهامات بالزندقة وغيرها التي كانت سببا مباشرا في قتله، كما أبانت عن إبداعه وتجديده في تأليفه.

(1) - الديوان، لسان الدين بن الخطيب: 217.



وصية

لسان الدين بن الخطيب لأولاده  
- أنموذجا تطبيقيا -

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده -أمودجا تطبيقيا-

لا غرو أن الوصية من حيث كونها غرضاً أدبياً فنياً لها ما يميزها من الخصائص الأسلوبية والفنية واللغوية والعاطفة الصادقة الناتجة عن إرادة الخير للآخر، إضافة إلى قيمتها الحضارية التي تسعى من خلالها إلى إصلاح الفرد ليسهم في رقي مجتمعه وأمتّه.

وقد اتخذت وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده أمودجا تطبيقياً باعتبار الرجل أدبياً متميزاً، يمتلك مهارات لغوية وأدبية عديدة، وكونه أدى دوراً مهماً في صناعة حضارة الأندلس وتاريخها الحافل.

## 1- مضمون الوصية:

### أ- مناسبة الوصية:

أنشأ ابن الخطيب وصيته لأبنائه، وهي تندرج ضمن الوصايا الأهلية التي من الراجح أنه ألفها قبل رحيله، أو فراره من الأندلس والتحاقه بالمغرب سنة (773هـ-1371م)<sup>(1)</sup>. وتسمى "وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده" وقد أثبتها المقرئ في كتابه "نفح الطيب"<sup>(2)</sup> و"أزهار الرياض"<sup>(3)</sup>، وقد ظهرت تحت تسمية مسجوعة لعلها من وضع ابن الخطيب نفسه الذي كان يحتفل بمثل هذا السجع في عناوين كتبه ورسائله، أو من أحد عارفي فضله ومدوقيه أدبه المتشربين روحه الأدبية، وهذه التسمية المسجوعة هي: "رتيمة(\*) المودع وتعلّة(\*\*)

(1) - أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، لسان الدين بن الخطيب: 318-319.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 392.

(3) - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: أحمد المقرئ، تحقيق: مجموعة من المحققين، لجنة التراث الإسلامي، المغرب، (د.ط)، 1980، 1: 320.

(\*) - رتيمة: خيط الذي يشد به الأصبع لتستذكر به الحاجة.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
القلب المتصدّع<sup>(\*\*\*)(1)</sup>، ولعل القصد من هذه التسمية هو معاناة ابن الخطيب في  
هذه الفترة التي عاش المرارة خلالها بعدما تمكن خصومه وأعداؤه من السعاية به  
لدى السلطان الغني بالله، ولهذا السبب قرر ترك الأندلس والجواز إلى العدو  
الأخرى.

وخلال استعداده للذهاب إلى المغرب كتب وصيته لأولاده الثلاثة  
لتكون النبراس الذي يضيء طريقهم وينير عقولهم ويرشدهم إلى الجادة، ليسعدوا  
في الدنيا والآخرة لاحتوائها نصائح نافعة ومواعظ قيمة، وهو ما أشار إليه  
المقري بقوله: "هي وصية نافعة يحصل بها انتعاش لاشتمالها على ما لا بد منه في  
المعاد والمعاش"<sup>(2)</sup>.

## ب- معاني الوصية وأهم معالمها:

### ب-1- افتتاح الوصية:

ابتدأ لسان الدين وصيته بحمد الله تعالى الحي الباقي الذي جعل الوصية  
واجبة على من يجب نصحتهم وبخاصة من الآباء إلى الأبناء، فيقول: "الحمد لله  
الذي لا يروعه الحمام المرقوب، إذا شيم نجمه المثقوب، ولا ييغته الأجل  
المكتوب، ولا يفجؤه الفراق المعتوب، ملهم الهدى الذي تطمئن به القلوب،  
وموضح السبيل المطلوب، وجاعل النصيحة الصريحة في قسم الوجوب، لاسيما

---

(\*\*) - تعلقة: ما يتعلل به.

(\*\*\*) - المتصدع: المكلوم، الموجه.

(1) - فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخضائص الأسلوبية، محمد مسعود  
جبران، 2: 105.

(2) - نفح الطيب، المقري، 7: 392.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده -أمونجا تطبيقيا-

للولي المحبوب، والولد المنسوب، القائل في الكتاب المعجز الأسلوب: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾<sup>(1)</sup>، وقال أيضا: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ﴾<sup>(2)»(3)</sup>.

وقد أتبع هذا التحميد بذكر سيد الخلق محمد ﷺ المعصوم من الخطأ، الخالي من العيوب، والترضي على آل وصحبه، فقال: "والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب، والرضى على آل وأصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب، والأمل المسلوب، والافتداء الموصل للمرغوب، والعز والأمن من اللغوب"<sup>(4)</sup>.

## ب-2- نعي صاحب الوصية نفسه:

نعي ابن الخطيب نفسه إلى أولاده في مستهل وصيته ليثير في نفوسهم كوامن الحزن على دنو أجل والدهم ويؤثر فيهم، فيزداد إقبالهم على الوصية وانتفاعهم بها، وهذا بعد أن أدرك ابن الخطيب الكبر وغاص في الحياة، ونحاض فيها التجارب والحنن، وعاش أفراحها وأحزانها وندم على ما فاته من أعمال الخير، أيقن ضرورة نقل هذه التجارب لأبنائه الذين رعاهم ورباهم، وذلك لغريزة جبل عليها الآباء وهي إرادة الخير لأبنائهم عن طريق نصحتهم ووعظهم

(1) - سورة البقرة، الآية: 133.

(2) - سورة البقرة، الآية: 132

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 392.

(4) - المصدر نفسه، 7: 392.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-  
ليعيشوا في سعادة وهناء، وهذا بعد الضراعة إلى الله عز وجل لتحقيق هذا  
المطلب الثمين، فيقول: "وبعد، فإني لما علاني المشيب بقمته، وقادني الكبر في  
رمتي، وادكرت الشباب بعد أمته، أسفت لما أضعت، وندمت بعد الفطام على  
ما رضعت، وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه، وتعلق بعيني سعيه، وأمليت  
أن تتعدى إلي ثمرة استقامته وأنا رهين فوات، وفي برزخ أموات، ويأمن العثور  
في الطريق التي اقتضت عثاري، إن سلك -وعسى أن لا يكون ذلك- على  
آثاري، فقلت أحاطب الثلاثة الولد، وثمرات الخلد، بعد الضراعة إلى الله تعالى في  
توفيقهم، وإيضاح طريقهم، وجمع تفريقهم، وأن يمن علي منهم بحسن الخلف،  
والتلافي من قبل التلف، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدي السلف، فهو ولي  
ذلك والهادي إلى خير المسالك:

اعلموا هداكم الله تعالى الذي -بأنواره تتهدي الضلال، وبرضاه ترفع  
الأغلال، وبالتماس قربه يحصل الكمال إذا ذهب المال، وأخلفت الآمال،  
وتبرأت من يمينها الشمال- أني مودعكم إن سالمني الردي، ومفارقكم وإن طال  
المدى، وما عدا مما بدا، فكيف وأدوات السفر تجمع، ومناذي الرحيل  
يسمع"<sup>(1)</sup>.

### ب-3- الإشادة بقيمة الوصية، وضرورة العمل بها:

لما شعر ابن الخطيب بدنو أجله، لم يجد أحسن من وصية يتركها لأولاده  
تضمن لهم العيش الهني وحسن العاقبة من بعده، حيث قال: "ولا أقل للحبيب

(1) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 392-393.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجاً تطبيقياً.  
المودّع من وصية محتضر، وعجالة مقتصر، ورتيمة تعقد في خنصر، ونصيحة تكون نشيدة واع مبصر، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدي، وتوضح لكم من الشفقة والحنو قصدي، حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدي، فهي أربكم الذي لا يتغير وقفه، ولا ينالكم المكروه ما رف عليكم سقفه، وكأني بشبابكم قد شاخ، وبراحلكم قد أناخ، وبناشطكم قد كسل، واستبدل الصاب من العسل، ونصول الشيب تروع بأسل، لا بل السام من كل حذب قد نسل، والمعاد اللحد ولا تسل، فبالأمس كنتم فراخ حجر، واليوم أبناء عسكر مجر، وغدا شيوخ مضیعة وهجر، والقبور فاغرة، والنفوس عن المألوفات صاغرة، والدنيا بأهلها ساخرة، والأولى تعقبها الآخرة، والحازم من لم يتعظ به في أمر، وقال: بيدي لا بيد عمرو<sup>(1)</sup>.

وهو يحثهم على العمل بهذه الوصية، نوّه بأنها تحتوي عصارة تجارب رجل متميّز، طبعت شخصيته بثقافة واسعة، رأى ضرورة تلقينها لأولاده وأحفاده للإفادة منها والانتفاع بها، ولكل من يريد اتباع المنهج القويم في الحياة والنجاح في امتحان الدنيا للفوز بالآخرة، لأن الله خلق العباد ليعبدوه، ويتفاضلوا فيما بينهم بالعبادات وفضائل الأعمال والطاعات؛ إذ يقول: "فاقتنوها من وصية، ومرام في النصيح قصية، وخصوا بها أولادكم إذا عقلوا، ليجدوا زادها إذا انتقلوا، وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملاً، ولكن ليلوهم أيهم أحسن عملاً، ولا رضى الدنيا متزلاً، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلاً ولتلقنوا تلقينا، وتعلموا علماً يقينا، أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي، ويفترش

(1) - نفع الطيب، المقرئ ، 7: 393-394.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
التراب جنبي، ويسح انسكابي، وتقرول عن المصلى ركابي، أحرص مني على  
سعادة إليكم تجلب، أو غاية كمال بسبيكم ترتاد وتطلب، حتى لا يكون في  
الدين والدنيا أوف منكم ظلا، ولا أشرف محلا، ولا أغبط نهلا وعلا"<sup>(1)</sup>.

#### ب-4- موضوعات الوصية:

لقد خصّ ابن الخطيب أولاده بوصايا متعلّقة بدينهم، وأخرى بدنياهم  
ليهنأوا في معاشهم ويسعدوا في معادهم:

**الوصايا المتعلقة بالدين:** تحدث ابن الخطيب في هذا الجزء من الوصية  
على وجوب التدين بالإسلام، والإيمان بالله، وجميع الرسل، والعمل بما جاء في  
رسالة محمد ﷺ المقررة بالعقل والنقل، بالإضافة إلى الدعوة إلى الأخذ ببعض  
النصائح التي استمدها من حياة الزهد والتصوف.

الدعوة إلى التمسك بدين الإسلام وصيائته: استهل لسان الدين  
ابن الخطيب وصاياه المتعلقة بالدين بدعوة أبنائه إلى التدين بالإسلامي، فهو  
الهدف الأسمى الذي يجيى من أجله الإنسان المؤمن، وذلك بالمحافظة عليه ونشره،  
حيث إن هذا الدين أوجه الله تعالى على عباده من خلال رسالة عظيمة أتى بها  
نبيه محمد ﷺ، وأكد عليهم ذلك بتذكيرهم بوصية لقمان ووصية خليل الله  
إبراهيم عليهما السلام، فيقول: "وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى  
قولي الآذان، وتستلمحوا صبح نصحي فقد بان، وسأعيد عليكم وصية لقمان:  
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ

(1) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 394.



الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-

بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ، يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۗ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ<sup>(1)</sup>، وأعيد وصية خليل الله وإسرائيل، حكم ما تضمنه تزييله ﴿يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(2)»(3)</sup>.

كما يذكرهم أن هذا الدين مقرر بالعقل والنقل، وأهم أساس يقوم عليه هو الإقرار بالوحدانية المطلقة لله عز وجل وعدم الشرك به، وقد جاءت هذه الدعوة إلى التدين مناسبة في هذا الظرف، خاصة ضد تلك الحملات التي كانت تدعو الناس إلى التنصير في الأندلس، فقال: "والدين الذي ارتضاه واصطفاه، وأكمله ووفاه، وقرره مصطفاه، من قبل أن يتوفاه، إذا عمل فيه انتقاد، فهو عمل واعتقاد، وكلاهما مقرر، ومستمد من عقل أو نقل محرر، والعقل متقدم،

(1) - سورة لقمان، الآيات: 13 - 19.

(2) - سورة البقرة، الآية: 132.

(3) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 394.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا- وبنائه مع رفض أخيه متهدم، فالله واحد أحد، فرد صمد، ليس له والد ولا ولد، تتره عن الزمان والمكان، وسبق وجوده وجود الأكوان، خالق الخلق وما يعلمون، الذي لا يسأل عن شيء وهم يسألون، الحي العليم المدبر القدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (1) «(2).

وكون ابن الخطيب قد قطع أشواطاً من حياته في البحث في شتى الميادين وقد جعل المنطق والعقل من بين الركائز الأساسية التي يقوم عليها البحث، لم يتوان عن إشعار أبنائه وهو يدعوهم إلى التدين، أن هذه الدعوة كانت نتيجة تأمل وتفكير أملياه عليه حسه العقلي والفلسفي - إضافة إلى الثقافة الدينية التي كان متشعباً بها - وأن هذا الدين جاء ليرتقي بعقل الإنسان إلى درجات عالية من النضج والتعقل، والحفاظ على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها حتى لا تشوهها الآفات والانحرافات التي عرفتها الأندلس وقتئذ، فيقول: "واعلموا أي قطع في البحث زمني، وجعلت النظر شاني، منذ براني الله تعالى وأنشاني، مع نبل يعترف به الشاني، وإدراك يسلمه العقل الإنساني، فلم أجد خابط ورق، ولا مصيب عرق، ولا نازع خطام، ولا متكلف فطام، ولا مقتحم بحر طام، إلا وغايته التي يقصدها قد نظرتها الشريعة وسبقتها، وفرعت ثنيتها وارتقتها، فعليكم بالتزام جادتها السابلة، ومصاحبة رفقتها الكاملة، والاهتداء بأقمارها غير الآفة، والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ

(1) - سورة الشورى، الآية: 11.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 394-395.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١﴾، وقد علت شرائعه، وراع الشكوك  
رائعه<sup>(2)</sup>.

الإيمان بجميع الرسل والتصديق برسالة محمد ﷺ: أوصى ابن الخطيب  
أبناءه بالإيمان بالرسل الذين بعثهم الله رحمة للعباد، ليحرروهم من العبودية  
والجهل مرفقين بالمعجزات التي لم تحتف أنوارها لتكون بينة على صدق الرسالة،  
وكذلك ضرورة الإيمان بخاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ حامل رسالة الإسلام التي  
أتت هدى للعالمين، لهذا وجب على العباد الإخلاص في الطاعة وارتقاب الساعة  
ليحاسبوا على أعمالهم، فمن آمن به وعمل برسالته فله خير الجزاء، ومن ترك  
ذلك فله شر الجزاء، فقال: "أرسل الرسل رحمة لتدعو الناس إلى النجاة من  
الشقاء، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء، مؤيدة بالمعجزات التي لا  
تتصف أنوارها بالاختفاء، ثم ختم ديوانهم بنبي ملتنا المرعية المهمل، الشاهدة على  
الملل، فتلخصت الطاعة، وتعينت الإمرة المطاعة، ولم يبق بعده إلا ارتقاب  
الساعة، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشرا، وترك دينه يضم من الأمة نشرا،  
فمن تبعه لحق به، ومن تركه تورط عنه في منتشبهه، وكانت نجاته على قدر  
سببه<sup>(3)</sup>.

(1) - سورة آل عمران، الآية: 85.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 396.

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 395.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

ويحث ابن الخطيب مرة أخرى أبناءه على ضرورة الإيمان بالرسول ﷺ، والعمل بكل ما جاء به وضرورة التجلّة لصحبه الذين اختارهم لصحبته، وجعل محبة صحبه من توابع محبته ﷺ، وضرورة تعظيم الأئمة من بعد الصحابة والابتعاد عن العصبية، فيقول: "وآمنوا بكل ما جاء به مجملا أو مفصلا على حسبه، وأوجبوا التجلّة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته، واشملوهم بالتوقير، وفضلوا منهم أولي الفضل الشهير، وتبرأوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع، ولا تع التشاجر بينهم أذن واع، فهو عنوان السداد، وعلامة سلامة الاعتقاد، ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة، وأئمتها الجلّة، فهم صقلة نصولهم، وفروع ناشئة من أصولهم، وورثتهم وورثة رسولهم"<sup>(1)</sup>.

التحذير من الانغماس في مفاتن الدنيا وبريقها: بعد أن استلذ لسان الدين بمتاع الحياة أيام شبابه، وأحس بنشوة الذوق والعرفان في غمار التجربة الصوفية التي أبانت له أن الحياة الدنيا متاع ولغو، حذر أولاده من الانجراف نحو مفاتنها، وترك الدين الأحق بمراعاته وتطبيق شتى فروضه، كما حض الآباء على تلقين هذه المبادئ وتركها راسخة في الأذهان، فيقول في هذا السياق: "فلا تستترلكم الدنيا عن الدين، وابدلوا دونه النفوس فعل المهتدين، فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الأبدين، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق

(1) - المصدر نفسه، 7: 395-396.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-  
الواعدين، ومتاع الحياة الدنيا أحسن ما ورث الأولاد عن الوالدين، اللهم قد  
بلغت فأنت خير الشاهدين<sup>(1)</sup>.

كما يحذر أبناءه من كل ما من شأنه أن يؤدي بهم إلى نار جهنم  
فيدعوهم إلى القناعة والابتعاد عن الغرور، والصبر والتفأول، فيقول: "فاحذروا  
المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود، وتستدعي شوه الوجوه ونضج الجلود،  
واستعيذوا برضى الله من سخطه، واربأوا بنفوسكم عن غمطه، وارفعوا آمالكم  
عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم، ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل  
ائتلافكم، واقتنعوا منه بما تيسر، ولا تأسوا على ما فات وتعذر، فإنما هي دجنة  
ينسخها الصباح، وشفقة يتعاقبها الخسار والرباح، ودونكم عقيدة الإيمان  
فشدوا بالنواجذ عليها، وكفكفوا الشبه أن تدنوا إليها"<sup>(2)</sup>.

القيام بمختلف الطاعات والعبادات: إن التحلي بدين الإسلام، معناه  
وجوب القيام بمختلف الطاعات والعبادات التي دعت الشريعة إلى تطبيقها  
ومنها:

• التمسك بكتاب الله: دعا ابن الخطيب أولاده إلى التمسك بكتاب الله  
تعالى بالحفظ والتلاوة، والتفكير والتدبر في آياته ومعانيه للعمل بما جاء فيه،  
حيث يقول: "وتمسكوا بكتاب الله حفظا وتلاوة، واجعلوا حمله على حمل

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 396.

(2) - المصدر نفسه، 7: 396.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجاً تطبيقياً-  
التكليف علاوة، وتفكروا في آياته ومعانيه، وامثلوا أوامره ونواهيه ولا تتأولوه  
ولا تغلوا فيه"<sup>(1)</sup>.

• تطبيق أركان الإسلام: بدأ ابن الخطيب حديثه عن أركان الإسلام  
ببحث أبنائه على إقامة الصلاة التي هي عماد الدين، فذهب إلى ذكر فضائلها  
ليحببها إلى أبنائه؛ فهي تذكر العبد بوجود الله تعالى الذي لا تأخذه سنة ولا  
نوم، كما تهذب سلوك الإنسان وخلقه لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء  
والمنكر، وحافضة للعبد من كل سوء، فقال: "الله الله في الصلاة ذريعة التجلّة،  
وخاصة الملة، وحاقنة الدم، وغنى المستأجر المستخدم، وأم العباد، وحافضة اسم  
المراقبة لعالم الغيب والشهادة، والناهية عن الفحشاء والمنكر وإن عرض الشيطان  
عرضهما، ووطأ للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما، والوسيلة إلى بلّ الجوانح  
ببرود الذكر، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر، وضامنة حسن العشرة من  
الجار، وداعية للمسألة من الفجار، والواسمة بسمة السلامة، والشاهدة للعبد برفع  
الملامة، وغاسول الطبع إذا شانه طبع، والخير الذي كل ما سواه له تبع"<sup>(2)</sup>، وقد  
دل أولاده على بعض شروطها كالتحلي بالصبر على تأديتها وإقامتها في أوقاتها  
وتفضيلها على باقي الشواغل والأعمال مع إتباع الفرض بما تيسر من النوافل،  
فيقول: "فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة، فالخير عادة، ولا تفضلوا  
عليها الأشغال البدنية، وتأثروا على العلية الدنية، فإن أوقاتها المعينة بالانقلاب  
تنبس، والفلك بها من أجلكم لا يجبس، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه

(1) - نفح الطيب: المقرئ، 7: 397.

(2) - المصدر نفسه، 7: 397.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-

الأصيل، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل، والوظائف بعد أدائها لا تفوت، وأين حق من يموت من حق الذي لا يموت، وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها، وأتبعوها النوافل ما أطمقتموها، فبالاقتان تفاضلت الأعمال، وبالمراعاة استحقت الكمال، ولا شكر مع الإهمال، ولا ربح مع إضاعة رأس المال وذلك أخرى بإقامة الفرض وأدعى إلى مساعدة البعض البعض<sup>(1)</sup>.

كما حثهم على الطهارة، باعتبارها من أسباب صحة العبادات، حيث ذكر شروطها؛ وذلك بأن يستوفي الماء جميع الأعضاء وأن تكون المياه نظيفة، مع ضرورة حضور النية في الطهارة وباقي العبادات لأن أساس الأعمال النيات، فيقول: "والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل، وشرط لمشروطها محصل، فاستوفوها، والأعضاء نظفوها، ومياهاها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها، والحجول والغرر فأطيلوها، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها، فالبناء بأساسه، والسيف برئاسه"<sup>(2)</sup>.

ويذكر أبناءه كذلك بأن يضبطوا أوقاتهم بين العبادات والمعاملات، وأن لا يقصروا في أداء واجباتهم الدينية أنه إذا ما استهوتهم أمور الدنيا أهملوا الذكر والطاعات: "واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطمهور، وذكر مجهور وغير مجهور، تستغرق الأوقات، وتنازع شتى الخواطر المفترقات، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقل، وكان في درج الرجولية ذا انتقال، واستقاض صدأه بصقال،

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 397-398.

(2) - المصدر نفسه، 7: 398.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-  
وإن تراخ قهقر الباع، وسرقته الطباع، وكان لما سواها أضيع فشمّل  
الضياع"<sup>(1)</sup>.

ويتبع حديثه عن الصلاة والطهارة بالحث على إيتاء الزكاة ومنحها  
لمستحقيها بنصابها وفي أوقاتها، فهي فرض واجب على الأغنياء ليتذكروا الفقراء  
ويشكروا الله على نعمه الكثيرة، وهي مفتاح الجنة وسبيل السعادة في الآخرة،  
فيقول: "والزكاة أختها الحبيبة، ولدتها القرية، مفتاح السعادة بالعرض الزائل،  
وشكران المسؤول على الضد من درجة السائل، وحق الله تعالى في مال من  
أغناه، بمن أجهده في المعاش وعناه، من غير استحقاق مأل يده وأخلى يد أخيه،  
ولا علة إلا القدر الذي يخفيه، ما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه. فاسمحوا  
بتفريقها للحاضر لإخراجها، في اختيار عرضها ونتائجها، واستحيوا من الله تعالى  
أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل، وخالفوا الشيطان كلما عدل، واذكروا  
خروجكم إلى الوجود لا تملكون ولا تدرون أين تسلكون، فوهب وأقدر،  
وأورد بفضله وأصدر، ليرتب بكرمه الوسائل، أو يقيم الحجج والدلائل، فابتغوا  
إليه الوسيلة بماله، واغتنموا رضاه ببعض نواله"<sup>(2)</sup>.

ويؤكد أيضا على صيام رمضان، فيخبرهم أن الصيام ليس الإمساك عن  
الأكل والشرب فقط وإنما هو صيام الجوارح بالامتناع عن ارتكاب الفواحش  
ومختلف الآثام، كما يحثهم على القيام بالأعمال الفاضلة التي تلحق بالصيام من  
تهجد واعتكاف في المساجد، فيقول: "وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 398.

(2) - المصدر نفسه، 7: 398-399.



الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –أمونجا تطبيقيا-

زلفى، المححوضة لمن يعلم السر وأخفى، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام، والقيام ببر القيام، والاجتهاد وإيثار التهجد على المهاد، وإن وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعية، ولواحقه الشرعية، فبذلك تحسن الوجوه، وتحصل من الرقة على ما ترجوه، وتذهب قسوة الطباع، ويمتد في ميدان الوسائل الباع<sup>(1)</sup>.

وأما عن الحج، فمن كانت له القدرة عليه من صحة ومال وجب عليه القيام به، وبين له أن جزاء الجنة، فيقول: "والحج -مع الاستطاعة- الركن الواجب، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فرض عن ربه وسنّه، وقال ليس له جزاء عند الله إلا الجنة"<sup>(2)</sup>.

• الترغيب في الجهاد: كما يرغب ابن الخطيب في الجهاد لمن يقدر عليه بالمال والنفس، فهو يدفع أبناءه إليه، وهذا نتيجة للظروف السياسية والعسكرية التي كان يعيشها الأندلسيون خلال تلك الفترة من تاريخ بلادهم، فيقول: "ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه، وغنى لديه، فكونوا ممن يسمع نفيده ويطيعه، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه"<sup>(3)</sup>.

ويؤكد مرة أخرى، على ضرورة الحفاظ على هذه القواعد التي بني عليها الإسلام، فهي تضمن للعبء سلامة العيش في الحياة الدنيا والفوز في الآخرة فلا يكون من الخاسرين قائلًا: "هذه عمد الإسلام وفروضه، ونقود مهرة

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 399.

(2) - المصدر نفسه، 7: 399.

(3) - المصدر نفسه، 7: 399.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –أمونجا تطبيقيا-

وعروضه، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين، وعلى من يناوئكم ظاهرين، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين" (1).

**الوصايا المتعلقة بالدنيا:** لقد تطرق ابن الخطيب في هذه الوصايا إلى أهم الأسس التي تبنى عليها حياة الإنسان في مناحيها المختلفة، فقدم لهم توجيهات عديدة اجتماعية وأخلاقية واقتصادية وسياسية ليرقى سلوكهم في المجتمع ويعيشوا عيشة هنية، كالتزود بالعلم والتحلي بالأخلاق الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

التوجيه نحو طلب العلم واكتساب المعرفة: تحدث ابن الخطيب عن العلم؛ فطلبه عبادة، وبفضله يتمكن الإنسان من معرفة أمور الدين والمعاد ويرقى في أداء العبادات، كما أن العلم هو النور الذي يضيء حياة الأمم ويسهم في رقيها، فأول آية قرآنية نزلت دعت إلى طلبه: ﴿اقْرَأْ﴾ (2)، ولسان الدين بدوره يدعو أبناءه إلى اكتساب العلم والمعرفة، فيقول: "واعلموا أن بالعلم تستكمل وظائف هذه الألقاب، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب، فعليكم بالعلم النافع، دليلا بين يدي السامع، فالعلم مفتاح هذا الباب، والموصل إلى اللباب، والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (3) (4).

(1) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 399.

(2) - سورة العلق، الآية: 1.

(3) - سورة الزمر، الآية: 9.

(4) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 399.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-

ويواصل حديثه عن العلم إذ يرى أن طلبه مقرون بخشية الله تعالى والخوف منه، ثم يعدد فوائده وقيمته؛ فهو يعود على الفرد بالسعادة في الدنيا والآخرة، واكتساب قسط منه ولو كان يسيرا فهو نافع: "والعلم وسيلة النفوس الشريفة، إلى المطالب المنيفة، وشرطه الخشية لله تعالى والخفية، وخاصة الملاء الأعلى، وصفة الله في كتبه التي تتلى، والسبيل في الآخرة إلى السعادة، وفي الدنيا إلى التجارة عادة، والذخر الذي قليله ينفع، وكثيره يشفع، لا يغلبه الغاصب، ولا يسلبه العدو المناصب، ولا يبتزه الدهر إذا مال، ولا يستأثر به البحر إذا هال من لم ينله فهو ذليل، وإن كثرت آماله، وقليل، وإن جم ماله"<sup>(1)</sup>.

كما يلح على ضرورة التزود بالعلم، فإن لم يتأت للكبار اكتسابه، فتعليم الأبناء واجب، وذلك بتوليد غريزة حبه لديهم وغرسها فيهم من خلال تحسيسهم بأهمية طلبه، ففضله يرقى الإنسان في المجتمع ويسمو إلى المنازل الرفيعة، فيقول: "وإن كان وقته قد فات اكتسابكم، وتخطى حسابكم، فالتمسوه لبنيتكم، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم، واحملوهم على جمعه ودرسه، واجعلوا طباعهم ثرى لغرسه، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرّاه، وسهر يهجر له الجفن كراه، تعقدوا لهم ولاية عزّ لا تعزل، وتحلّوهم مثابة رفعة لا يحطّ فارعها ولا يستترل، واختاروا من العلوم التي ينفقها الوقت، ما لا يناله في غيره المقت"<sup>(2)</sup>.

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 399-400.

(2) - المصدر نفسه، 7: 400.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده -أمونجا تطبيقيا-

أما خير العلوم عنده فهي علوم الشريعة بجميع فروعها، ولكنه يرتبها بدءا بتجويد كتاب الله تعالى وترتيبه ومعرفة أحكامه، ثم حفظ الحديث الشريف، وبعدها تعلم علوم اللغة العربية، والغوص في أصول الفقه، والنظر في المسائل المنقولة عن العلماء، والتمعن فيها، وذلك في قوله: "وخير العلوم علوم الشريعة، وما نجم بمنابتها المريعة، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها، فإنما هي آلات لغير، وأسباب إلى خير منها وخير، فمن كان قابلا لازدياد، وألفى فهمه ذا انقياد، فليخص تجويد القرآن بتقديمه، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة، المهدي كنوز الكتاب والسنة، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجللة، والتدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة، وهذه هي الغاية القصوى في الملة"<sup>(1)</sup>.

ثم يحذر من العلوم القديمة والمهجورة التي لا تعود على الإنسان بالنعف والفائدة، ويضرب مثلا بابن رشد الذي عادت عليه بالضّرر والسخط، فيذكر: "وإياكم والعلوم القديمة، والفنون المهجورة الذميمة، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ورأيا ركيكا، ولا يثمر في العاجل إلا اقتحام العيون، وتطريق الظنون، وتطويق الاحتقار، وسمة الصغار، وخمول الأقدار، والحسب من بعد الإبدار، وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال، وأوفق من قطع العمر في الجدال، هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه، وملتمس الرشد وموليه، عادت عليه بالسخطة

---

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 400.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا- الشنيعة، وهو إمام الشريعة، فلا سبيل إلى اقتحامها، والتورط في ازدحامها"<sup>(1)</sup>، ومع ذلك ليست كل العلوم ضارة، فهو يشيد بالنافع منها ويدعو إلى الاستفادة منها، فيقول: "ولا تخلطوا سامكم بحامها، إلا ما كان من حساب ومساحة، وما يعود بجدوى فلاحه، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة، وما سوى ذلك فمحجور، وضرم مسجور، وممقوت مهجور"<sup>(2)</sup>.

التوجيه الخلقى: إن كانت العلوم ضرورية في بناء حياة الأمم والحفاظ على مجدها، فالأخلاق مثلها تضمن الأمن والاستقرار في المجتمع لأنها تضبط السلوك بين الأفراد داخله، ولهذا حث ابن الخطيب أبناءه على الأخذ بالقيم المثلى والمبادئ الرفيعة التي دعت إليها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وهذا من خلال عرض جملة صريحة من الأوامر والنواهي، منها:

• الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: دعا أولاده إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك عن طريق تقديم الموعدة الحسنة والكلمة الطيبة، لأن هذا الدين يقوم على النصيحة ويدعو للتي هي أقوم، وأنه دين الاعتدال والوسطية، فيقول: "وامروا بالمعروف أمرا رفيقا وانهوا عن المنكر نهيًا حرًا بالاعتدال حقيقًا، واغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقا، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا"<sup>(3)</sup>.

---

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 400-401.

(2) - المصدر نفسه، 7: 401.

(3) - المصدر نفسه، 7: 401.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –أمونجا تطبيقيا-

• التحلي بالخلال الحسنة: دعا ابن الخطيب أولاده إلى التحلي بالصفات الحميدة والابتعاد عن الرذيلة، فحثهم على التزام الصدق وتجنب الكذب مبينا جزاء الكذاب، فيقول: "وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين، وأهم ما أضرى عليه الآباء البنين، وأكرم منسوب إلى مذهبه، ومن أكثر من شيء عرف به، وإياكم والكذب فهو العورة التي لا توارى، والسوأة التي لا يرتاب في عارها ولا يتمارى، وأقل عقوبات الكذاب، بين يدي ما أعد الله له من العذاب، أن لا يقبل منه صدقه إذا صدق، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق"<sup>(1)</sup>.

كما أوصى بحفظ الأمانات وصيانتها وأدائها إلى أهلها، والابتعاد عن الغدر والخيانة: "وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم، وفي وجه الديانة كلوم، ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها، أداء الأمانات إلى أهلها، وحافظوا على الحشمة والصيانة، ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة، ولا توجدوا للغدر قبولا، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾<sup>(2)</sup> وأوفوا بالعهد<sup>ط</sup> إن العهد كان مسئولاً<sup>(3)</sup>.

كما نهى أيضا عن الغش في الكيل والميزان، فقال: "ولا تبخسوا الناس أشياءهم بكيل أو وزن"<sup>(4)</sup>.

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 401.

(2) - سورة الإسراء، الآية: 34.

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 401.

(4) - المصدر نفسه، 7: 401.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيًا-

كما حذرهم من الظلم والغيبة، ودعاهم إلى ترك الحسد والبخل، لأن هذه الصفات الذميمة من أمراض القلوب التي يجب على المؤمن الابتعاد عنها حتى يصفو قلبه وتطهر نفسه ويستقيم سلوكه، فيقول: "وإياكم والظلم، فالظالم ممقوت بكل لسان، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان، والظلم ظلمات يوم القيامة"<sup>(1)</sup>، كما ورد في الصحاح الحسان، والنميمة فساد وشتات، لا يبقى عليه متات، وفي الحديث "لا يدخل الجنة قتات"<sup>(2)</sup>. اطرحو الحسد فما ساد حسود، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود، والبخل فما رؤي البخيل وهو مودود"<sup>(3)</sup>.

✦ الحفاظ على مقاصد الشريعة: طلب ابن الخطيب من أولاده الحفاظ على مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد خصّ بالذكر الضّروري منها، فحذرهم من ارتكاب الفواحش والوقوع في الكبائر، ونهاهم عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولو بالإشارة بالكلام، وذلك لأن حفظ النفس من مقاصد الشريعة الإسلامية، كما بين لهم أن جزاء القتل المتعمد جهنم والعذاب العسير، فيقول: "والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام، واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتدة، وسبل الله تعالى غير منسدة، ما لم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه، ويغمس في الحرام بيده أو لسانه، قال الله

---

(1) - صحيح البخاري: الإمام البخاري، 2: 864، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة/ نفع الطيب، 7: 402.

(2) - الأدب المفرد: حديث صحيح، وصحّحه الألباني في المشكاة، 3: 482.

(3) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 403.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

تعالى في كتابه الذي هدى به سننا قويمًا، وجلّى من الجهل والضلال ليلا بهيما ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (1) (2).

كما نهى أولاده عن الزنا باعتباره من الكبائر والفواحش التي تنبذها الشريعة حفاظًا على العرض، وضمانًا لصحة الأنساب والأنسال واجتنابًا للأمراض والأوبئة، وليقيد سلوك الإنسان حتى لا يصبح رهينة لشهواته وغرائزه، وخاصة أن الحلال موجود وهو النكاح، فيقول: "واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه، وامتد في سبيل السعادة باعه، لو لم تتلق نور الله الذي لم يهد شعاعه، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه، ولا عدم إقناعه، ومن غلبت عليه غرائز جهله، فلينظر هل يجب أن يزني بأهله، والله قد أعد للزاني عذابا وببلا، وقال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (3) (4).

كما نصحهم باجتنب الخمر باعتبارها من الكبائر التي يجرمها الدين، حفاظًا على العقل من جهة، وسلامة الأفراد والمجتمعات من جهة أخرى، فيقول: "والخمر أم الكبائر، ومفتاح الجرائم والجرائر، واللهو لم يجعله الله في الحياة شرطًا والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذي سوغ وأعطى، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة

(1) - سورة النساء، الآية: 93.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 401-402.

(3) - سورة الإسراء، الآية: 32.

(4) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 402.



الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيًا-  
الأجساد، والله تعالى قد جعلها رجسا محرما على العباد، وقرنها بالأنصاب  
والأزلام في مباينة السداد"<sup>(1)</sup>.

ونهاهم أيضا عن أكل المال الحرام سواء كان ربا أو مالا لغير قائلها: "ولا  
تقربوا الربا فإنها من مناهي الدين، والله تعالى يقول: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾"<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ﴾"<sup>(3)</sup>، في الكتاب المبين، ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه، وانزعوا  
الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه"<sup>(4)</sup>.

التوجيه الاجتماعي: نبه لسان الدين أولاده إلى التحلي بالصفات التي  
دعا إليها الدين، ومنها: الإحسان إلى الأقارب، وحسن التعامل بين الأفراد  
داخل المجتمع؛ بغية تمتين رابطة الأخوة بينهم، وضمان التكافل الاجتماعي بين  
الأفراد في المجتمع الواحد؛ كإفشاء السلام، وإيتاء الصدقات، ورعاية حقوق  
الجار وصلة الأرحام...، فيقول: "وتفقدوا أنفسكم مع الساعات، وأفشوا  
السلام في الطرقات والجماعات، وارقوا على ذوي الزمانات والعاهات...،  
وارعوا حقوق الجار، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار، وتعاهدوا على أولى  
الأرحام، والوشائج البادية الالتحام"<sup>(5)</sup>.

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 402.

(2) - سورة البقرة، الآية: 278.

(3) - سورة البقرة، الآية: 279.

(4) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 402.

(5) - المصدر نفسه، 7: 403.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيًا-

كما دعا أبناءه إلى مراعاة حق الأخوة فيما بينهم، وضرورة مساعدة بعضهم بعضا، وبخاصة إذا كان أحدهم ذا خصاصة؛ إذ يقول: "والله لا تنسوا الفضل بينكم، ولا تذهبوا بذهابه زينكم، وليلتزم كل منكم لأخيه، ما يشتد به تواخيه بما أمكنه من إخلاص وبرٍّ، ومراعاة في علانية وسر، وللإنسان مزية لا تجهل، وحق لا يهمل"<sup>(1)</sup>.

ودعاهم أيضا إلى الاتحاد والتعاون فيما بينهم و الابتعاد عن التشاجر فيما بينهم في الأمور السخيفة، وحذرهم من كيد النساء، فيذكر: "وأظهروا التعاضد والتناصر، وصلوا التعاهد والتزاور، ترغموا بذلك الأعداء، وتستكثروا الأوداء، ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة، ولا تتهاوشوا تهاوش السباع على الجيفة، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان، فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه، فإذا برز قبيح فاستروه، وإذا أعظم النساء أمرا فاحقروه"<sup>(2)</sup>.

ويحذرهم أيضا من التهاون بما ينبغي مراعاته في العلاقات الاجتماعية كمعاداة الرجال وإفشاء الأسرار... ودعاهم مرة أخرى، إلى صيانة الدين والحفاظ على الأمانة...؛ إذ يقول: "وليحذر معاداة الرجال، ومزلات الإدلال، وفساد الخيال، ومداخلة العيال، وإفشاء السر، وسكر الاغترار، وليصن الديانة، ويؤثر الصمت ويلازم الأمانة، ويسر من رضى الله على أوضح الطرق، ومهما

---

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 404.

(2) - المصدر نفسه، 7: 404.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجاً تطبيقياً-

اشتبه عليه أمران، قصد أقربهما إلى الحق، و ليقف في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان، والزعازع تسالم اللدن اللطيف من الأغصان"<sup>(1)</sup>.

التوجيه الاقتصادي: إنَّ المال هو المحرك الأساسي للاقتصاد في الحياة تتم به المعاملات وبعض العبادات، لذا وجّه لسان الدين أولاده إلى الطّريقة المثلى في كيفية الحصول على المال واستعماله، فأول التوجيهات التي أولاها اهتماماً كبيراً حث أولاده على السعي نحو الكسب الحلال واجتناب كل ما هو حرام أو تشوب حوله الشبهات، فيقول: "والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه، ولا يكل اختياره إلا للثقة من خدمه، ولا تلجأوا إلى المتشابه إلا عند عدمه، فهو في السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع، والمحافظ عليه مغبوط"<sup>(2)</sup>.

ويذكر أبناءه أن صاحب النعمة وذا الفضل الذي يرزق عباده في الدنيا والآخرة هو الله تعالى الذي وجب عليهم حمده وشكره على مختلف النعم والآلاء، فيقول: "وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يفيد به الشارد، ويعذب الوارد،... ولا تطغوا في النعم فتقصروا عن شكرها، وتلفكم الجهالة بسكرها، وتتوهموا أن سعيكم جلبها، وجدكم جلبها، فالله خير الرازقين، والعاقبة للمتقين، ولا فعل إلا لله إذا نظر بعين اليقين"<sup>(3)</sup>.

ثم هو يفيدهم من ثمرة تجربته الصوفية، فيحذّرهم من الإسراف في أموالهم، ومن مصاحبة أهل الدنيا الذين يهتمون ببهرجتها وترفها وينسون

---

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 404-405.

(2) - المصدر نفسه، 7: 402.

(3) - المصدر نفسه، 7: 404.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –أمونجا تطبيقيا-  
عواقب المستقبل؛ إذ يقول: "وإذا كان رزق العبد على المولى، فالإجمال في الطلب  
أولى، وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها، ونفعها  
لا يقوم بضرها، وأعقاب من تقدم شاهدة، والتواريخ لهذه الدعوة حاضرة، ومن  
بلي بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال، والتقلل من المال"<sup>(1)</sup>.

وكان بفضل بصيرته النافذة، ونظرته الثاقبة، وسيره لأغوار العدو يتوقع  
المصير المحتوم الذي ينتظر بلده، لذا نبه أولاده إلى اجتناب إنفاق المال في العقار  
والأراضي لأنه مجلبة للمصائب والنوائب وبخاصة في أندلس كانت على وشك  
نهايتها؛ إذ يقول: "ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد، الذي لا يصلح  
لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع في العقار، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار،  
وساعيا لنفسه إن تغلب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار، ومعوقا عن  
الانتقال، أمام التّوب الثّقال"<sup>(2)</sup>.

التوجيه السياسي: ومّا دعا إليه ههنا:

• طاعة ولاة الأمر: فقد أوصى أولاده بطاعة ولاة أمورهم والخضوع  
والامتثال لأوامرهم ونواهيهم بما يرضي الله تعالى، كما طلب منهم تقديم النصح  
والإرشاد لأصحاب الأمر إن أخطأوا، وذلك تجنباً للفوضى أو الفتن التي قد  
تشوب البلاطات، وحفاظاً على تلك العلاقة التي تربط الرعية بالمسؤول، وذلك  
ثمرّة تعامله مع السلاطين والحكام، فيقول: "وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 404.

(2) - المصدر نفسه، 7: 404.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
أموركم أمرا، ولا تقربوا من الفتنة جعرا، ولا تداخلوا في الخلاف زيدا ولا  
عمرا<sup>(1)</sup>.

• الابتعاد عن السياسة: يواصل ابن الخطيب دلالة أبنائه على عصارة  
خوضه معارك الحياة، وهذه المرة ما أملته عليه التجربة السياسية ومسألة  
الاشتغال بالمناصب السامية في الدولة ونتيجة انعكاساتها السلبية عليه، فقد نصح  
أولاده بعدم تكرار التجربة من خلال قوله: "ويأمن في الطريق التي اقتضت  
عثاري إن سلك -وعسى أن لا يكون ذلك- على آثاري"<sup>(2)</sup>.

وإذا اقتضت الضرورة أولاده تولي الوظائف السياسية اختيارا أو إكراها،  
فعلينهم أن يعرفوا قدرها ويدركوا ما يترتب عنها من صعاب، لأنه قد حذرهم  
منها قائلا: "وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلابا، واستظهارا على الحظوظ  
وغلابا، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار، داع إلى الفضيحة والعار، ومن امتحن  
بها منكم اختيارا، أو جبر عليها إكراها وإيثارا، فليتلق وظائفها بسعة صدره،  
ويبدل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره، فالولايات فتنة ومحنة، وأسر  
وإحنة، وهي بين إخطاء سعادة، وإخلال بعبادة، وتوقع عزل، وإدالة بإزاء بيع  
جدّ من الدنيا بهزل، ومزلة قدم، واستتباع ندم"<sup>(3)</sup>.

---

(1) - نفح الطيب: المقرئ، 7: 401.

(2) - المصدر نفسه، 7: 393.

(3) - المصدر نفسه، 7: 405.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده -أمونجا تطبيقيا-

## ب- 5- اختتام الوصية:

قبل أن ينهي ابن الخطيب وصيته، طلب من أبنائه قبولها، وذكرهم بضرورة الاقتداء بها لما اشتملت عليه من قيم ثمينة، وحكم مفيدة، وآراء سديدة، ومواعظ عديدة من رجل عظيم ومتميز، فيقول: "هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها، وتجارتي التي لربحكم أدرتها، فتلقوها بالقبول لنصحها، والاهتداء بضوء صبحها، وبقدر ما أمضيت من فروعها، واستغشيت من دروعها، اقتنيت من المناقب الفاخرة، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة؛ وبقدر ما أضعتم لآليها النفيسة القيم، استكثرتم من بواعث الندم. ومهما سئتم إطالتها، واستغزرت مقالتها، فاعلموا أن تقوى الله فذلك الحساب، وضابط هذا الباب"<sup>(1)</sup>.

ثم يختم ابن الخطيب وصيته ختاماً مؤثراً، وذلك بالدعاء لأبنائه بأن تعود عليهم هذه الوصية بالنفع، وأن يكون الله في عونهم بعده، لأن إطالة الإقامة في هذه الحياة أمر محال؛ إذ يقول: "كان الله خليفتي عليكم في كل حال، فالدنيا مناخ ارتحال، وتأميل الإقامة فرض محال، فالموعد للالتقاء، دار البقاء جعلها الله من وراء خطة النجاة، ونفق بضائعها المزجاة، بلطائفه المرتجاة، والسلام عليكم من حبيبيكم المودع، والله سبحانه يأمه حيث شاء من شمل متصدع، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله تعالى وبركاته"<sup>(2)</sup>.

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 405.

(2) - المصدر نفسه، 7: 405.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجاً تطبيقياً.

اشتملت وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده على معان كثيرة<sup>(\*)</sup>

لتكون لهم خير زاد ينتفعون به، بنوره يستضيئون وعلى هديه يسرون.

### ج- قيمتها الحضارية:

الأدب عامل فعال في خدمة الإنسان والحضارة، فهو يعدّ "مرتكزا قويا

في بث القيم النبيلة وخلق العوالم السامية ودعم الحضارة الحقيقية المتأصلة"<sup>(1)</sup>.

وبما أن الوصية نوع من الأدب وفن من فنونه، فهي حلقة وصل بين

الأدب والحضارة كونها تسهم في بنائها ورقّيتها، وذلك من خلال المبادئ والقيم

التي يرسبها منشئ الوصية، والتي تهدف إلى إعداد العنصر الأساسي في بناء

الحضارات وتقدّمها ألا وهو الإنسان، حيث يتمّ ذلك عن طريق تقويم سلوكه

وضبط تصرفاته وتهديب أخلاقه، وتكوينه، وإذكاء مواهبه، وتوجيهه نحو

الأفضل والأحسن يجعله يستفيد من التجارب السابقة، وذلك لأن الوصية سجّل

مليء بالخبرات الصّحيحة، والآراء والتصورات السّديدة التي اكتسبها الموصي في

تفاعله مع الحياة وتعامله مع الأحياء.

---

(\*) - وبعد تتبّع مضمون وصية لسان الدين بن الخطيب لأبنائه، يبدو لي تأثره بوصية أبي الوليد الباجي التي وجهها لولديه، وهذا من ناحية المعاني المطروقة التي تعرّض إليها، وقد ورد الحديث عن هذا التأثير في مجلّة المعهد المصرية: "ما نشاهده في وصية الوزير لسان الدين بن الخطيب (ت. 776هـ) لأولاده من مشابهة كبيرة واتّحاد تامّ، فابن الخطيب قد ابتداء وصيته بما ابتداء به الباجي وختم بما اختتم به الباجي وصيته، واستعمل -تقريباً- الآيات نفسها والأحاديث نفسها التي استعملها الفقيه، وطرق نفس الموضوعات التي طرقها". نقلا عن: مجلّة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مادريد، مقدّمة لوصية أبي الوليد الباجي لولديه: 23.

(1) - الأدب والبناء الحضاري: حسن الأمراي، أدب الحضارة وحضارة الأدب: محمد خرماش، منشورات

كلية الأدب والعلوم الإنسانية رقم 29، وجدة- المغرب، سلسلة بحوث ودراسات -8-1999: 18.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-

وقد حفلت وصية ابن الخطيب بهذه القيم التي قدمها لأبنائه على شكل أوامر ونواه ليفيدوا منها، من أجل إثبات ذاتيتهم الأندلسية وذلك بفرض كينونتهم، والدفاع عن كيانهم الإسلامي، والحفاظ على مجد حضارة راقية أسسها أسلافهم والتي شملت جميع جوانب الحياة، بل الأكثر من هذا دعوتهم إلى البذل والعطاء عن طريق الإبداع والتجديد لتحقيق ذلك، وهذا من خلال:

- التمسك بدين الإسلام، والإقرار بوحدانية الله تعالى، والإيمان بجميع الرسل، وتطبيق مختلف فروض الإسلام من طاعات وعبادات، ذلك أن الدين الإسلامي يرتقي بعقل الإنسان إلى درجات التّضج والسّموّ باعتباره العنصر الأكثر فعالية في عملة البناء الحضاري، كما أن هذا الدين يحرّر المسلمين من الجهل والعبودية والذلّ والضعف، ويحفظهم من الضياع والشّتات ويضمن لهم الوحدة والعزّة والرّقي؛ إذ يقول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزّة بغيره أذلّنا الله"<sup>(1)</sup>.

- طلب العلم والتزود بأنواع المعرفة لأنه أساس الحضارات وعمادها، به تزدهر حياة الأمم وتتطور، كونه ينمي ملكات الفرد ويقوّيها ويفجّر مواهبه، وهذا لما يحمله من طاقات عقلية وفكرية كامنة.

- التحلي بحميد السيرة وطيب الخلال، ذلك أن الحضارات تتأثر بالأخلاق لأنّها لها دورا أساسيا في الحفاظ عليها؛ حيث إن "العنصر الأخلاقي هو العنصر القوي والفعال في الحفاظ على تماسك المجتمعات وتثبيت كيانها، وكلما قلت مناعة هذا العنصر، وتطرقت إليه عوامل الفساد كان ذلك مؤشرا على

---

(1) - لماذا الضلال بعد الهدى: عثمان قدرني مكناس، منتديات سرداب الإسلامية www.alsrdaab.com



الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجاً تطبيقياً-

تصدع المنظومة الحضارية لتلك المجتمعات<sup>(1)</sup>، فهي التي تؤمن الأمن والاستقرار في المجتمع وتحفظه من الفتن والمهالك التي تؤدي به إلى الانهيار.

- ولا تقل المرأة شأننا عن الأخلاق في تشكيل المنظومة الحضارية لأيّ أمة، فهي قد تكون صرحاً مهماً ومعلماً شاهداً على تألق الحضارة في أيّ دولة أو مجتمع، وقد تكون سبباً من أسباب تقهقر وضياع الحضارة فيه، إذ تظهر قيمتها في النهوض بالصرح الحضاري للدولة باعتبارها عنصراً أساسياً في تشكيل الخليّة الأولى لبناء المجتمع؛ من حيث إنّها من تضع الولد وتعمل على تنشئته وتربيته، كما تسهم في القضاء على الكثير من الفواحش والمفاسد، فالمرأة الأندلسية لعبت دوراً ريادياً في رقيّ الحضارة بالأندلس ساعدها في ذلك بلوغها درجات عالية من العلم والأدب والفنون، فقد عملت على تكوين الأخلاق والطّباع والعادات لدى الرّجل، وقد ساهمت حتّى الجوّاري منهنّ في تثقيف أبناء المترفين وتعليمهنّ الخطّ والقرآن الكريم<sup>(2)</sup>.

غير أنّ الوصية أظهرت موقف ابن الخطيب من المرأة الدّاعي إلى معاملتها بكلّ حذر وحيطّة، فهو يحذّر من التّعاطي معهنّ في الأمور كلّها من حيث إنّهنّ من تسبّب التّفرقة والشتات والضياع بين الإخوة بسبب إفشائهنّ الأسرار وعدم التزامهنّ الصّمت، ولتأصل جذور الحقد والحسد في صدورهنّ، إضافة إلى كون

---

(1) - إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي: القادري بوتشيش، الأزمة الأخلاقية وأثرها في سقوط الأندلس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، مارس 2002: 148.

(2) - ينظر؛ الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي: محمد سعيد الدّغلي، منشورات دار أسامة، مكتبة الاسكندرية، ط1، 1404هـ-1984م: 44.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –أمونجا تطبيقيا-  
بعض البيوت والقصور كانت مملوءة بالجاريات الإسبانيات اللواتي عملن  
جاسوسات لوطنهنّ الأصل، فكانت من أسباب انهيار الدولة الإسلامية هناك  
باعتبار أنّ العرب دخلاء لا بدّ من القضاء عليهم<sup>(1)</sup>، إضافة إلى تمتّع المرأة بالحرية  
المطلقة ساعد على انتشار بعض مظاهر الفساد والانحلال الخلقي كالسّفور  
والإباحية في الملابس وقول الشّعر... فلهذا كان الحزم في التعامل مع المرأة  
ضروريا حتى تكون على خلق الإسلام وشيمه الرّفيعه، كالحشمة والحياء والتديّن  
لتقدّم صورة المرأة المسلمة الحقيقية التي كانت عليها سابقاتها في عصر النبوة،  
ولتتفوّق على مثيلاتها من النصرانيات وغيرهنّ التي كانت تعجّ بهنّ دولة  
الأندلس.

- الحفاظ على المال وذلك بصرفه وفق منهاج صحيح لاستغلاله أحسن  
استغلال، كونه يضمن الحياة الكريمة للفرد، ويحقق التقدم والسّودد للأمة.  
- الدّعوة إلى طاعة ولاة الأمر مع نصّحهم وإرشادهم، وذلك لضمان  
الاستقرار الداخلي والخارجي للدولة باعتباره شرطا أساسيا في قيام الدّول  
وبنائها، وبثّ العدل لما له من دلالة حضارية<sup>(2)</sup>، وإقرار مبدأ الشورى، والمساهمة  
في اتّخاذ مجمل القرارات التي تخدم مصلحة الأمّة وتعمل على نماء الحضارة فيها  
وازدهارها بالاعتماد على ذوي الرّأي الصّائب والفهم الثّاقب.

---

(1) - ينظر؛ إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطوائف، 466-479هـ، 1031-  
1067م: سهى بعيون، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط2، 1429هـ-2008م: 444.

(2) - ينظر؛ النثر الفنّي في عصر الموحّدين وارتباطه بواقعهم الحضاري: رضا عبد الغني الكساسبة، دار  
الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الاسكندرية- مصر، (د.ط)، (د.ت): 43.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-

## د- العاطفة:

تمثل العاطفة روح الأدب، باعتبارها أحد أهم أركانه<sup>(1)</sup>، "وهي مجموعة من الانفعالات تتجمع حول شيء من الأشياء"<sup>(2)</sup>، أما الانفعال فهو: "الوجدان الذي يهز النفس ويثيرها"<sup>(3)</sup>.

والوصايا نبع من المشاعر القوية لما تحملها من دلالات نفسية عميقة، كونها تعبر عن خلجات النفس ومكنوناتها، إضافة إلى أن الموصي يذهب في بث وصاياه ونصائحه انطلاقا من تجارب حياته التي عاشها بصواعدها وكبواتها التي يريد نقلها بصدق إلى شخص آخر بألفاظ رشيقة، ومعان دقيقة، ورؤى عميقة. والوصية التي بين أيدينا تنضح بالإحساس الصادق وحرارة عاطفة الأبوة الحانية الصادرة عن أب يريد رسم الطريق الصحيح لأبنائه، ليسيروا عليه ويهتدوا به ليحيوا حياة طيبة، ومن الأمثلة على ذلك في الوصية:

- نعي ابن الخطيب نفسه لأبنائه، فقد جاءت العواطف فيه صادقة وقوية لينفذ الكلام إلى قلوبهم ويهزّ مشاعرهم ويحرك وجدانهم، ذلك لأنّ: " الكلام إذا خرج من القلب وصل إلى القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز

---

(1) - ينظر؛ أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب، ص31. عن: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: روز غري، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1993: 86.

(2) - دراسات في علم النفس الأدبي: حامد عبد القادر، لجنة البيان العربي، المطبعة النموذجية، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1948: 52.

(3) - المرجع نفسه: ص54.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
الآذان"<sup>(1)</sup>، وهذا ليتأثروا بهذا القول، فيقبلوا إلى الوصية للعمل بها؛ إذ يقول:  
"إني مودّعكم وإن سالمني الردي، ومفارقكم وإن طال المدى، وما عدا مما بدا،  
فكيف وأدوات السفر تجمع، ومنادي الرحيل يسمع، ولا أقل للحبيب المودع  
من وصية محتضر، وعجالة مقتصر، ورتيمة تعقد في خنصر، ونصيحة تكون  
نشيدة واع مبصر، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدي، وتوضح لكم من  
الشفقة والحنو قصدي، حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدي"<sup>(2)</sup>.

وكذلك يبدو الشعور الخالص الدال على محبة الأب الشديدة لأبنائه،  
بوضوح في وصيته أبناءه بتوطيد علاقة المحبة فيما بينهم ليقوا متحدّين متحابين،  
ويتجنبوا الخصومة والعداوة، كما في قوله: "وأظهروا التعاضد والتناصر، وصلوا  
التعاهد والتزاور، ترغموا بذلك الأعداء، وتستكثروا الأوداء، ولا تتنافسوا في  
الحظوظ السخيفة، ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفة"<sup>(3)</sup>.

كما تجلّت كذلك في شفقته عليهم بتحذيرهم من الاهتمام بشراء العقار  
والأراضي في أندلس مهددة بالزوال وموشكة على النهاية، وهذا لخوفه عليهم  
من الشتات والضياع، وذلك في قوله: "ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق  
المهاد، الذي لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع في العقار، فيصبح عرضة

---

(1) - عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت.322هـ)، تحقيق: طه الجابري وزغلول سلام،  
شركة فنّ الطّباعة، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1956: 16.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 393.

(3) - المصدر نفسه، 7: 404.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيًا-

للمذلة والاحتقار، وساعيا لنفسه إن تغلب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار، ومعوقا عن الانتقال، أمام النوب الثقال<sup>(1)</sup>.

كما أتت العواطف نبيلة، جسدت صدق إحساس الأب في أعلى درجات السمو، قد طغى عليها الحزن والألم لما حذر أبناءه من تقلد المناصب السامية في الدولة، وذلك نتيجة لشدة معاناته من التجربة السياسية التي خاضها وانعكاسها عليه، فيقول: "وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلابا، واستظهارا على الحظوظ وغلابا، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار، داع إلى الفضيحة والعار، ومن امتحن بها منكم، اختيارا أو جبر عليها إكراها وإيثارا، فليتلق وظائفها بسعة صدره، ويبدل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره، فالولايات فتنة ومحنة، وأسر وإحنة، وهي بين إخطاء سعادة، وإخلال بعبادة، وتوقع عزل، وإدالة بإزاء بيع جدّ من الدنيا بهزل، ومزلة قدم، واستتباع ندم"<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإن الوصية طفحت بالمشاعر الشجية التي وسمت بحرارة عاطفة لسان الدين بن الخطيب وصدق إحساسه، المنبثقة من ذاته والمعبرة عن صدق تجاربه، فجسدها في نصائحه القيمة التي شملت جوانب الحياة الدنيا والآخرة، لتكون المصباح الذي ينور طريقهم ويوجهها نحو الخير، ولعل تميز الوصية بهذه العواطف النبيلة هو ما أكسبها الخلود والذبيوع.

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 404.

(2) - المصدر نفسه، 7: 404.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –أمونجا تطبيقيا-

## 2- الخصائص الأسلوبية والفنية للوصية:

أ- البناء اللغوي:

أ-1- الألفاظ:

تعتبر اللفظة أساس بناء اللغة في الأدب، وتعد أداة مهمة في نقل التجارب وإيصالها للمتلقين، حيث تتوقف عملية تصوير التجربة على مقدرة الأديب وموهبته الشخصية في انتقاء ألفاظه<sup>(1)</sup>.

وبما أن الوصية هي تواصل بين الماضي والمستقبل، يعتمد الموصي إلى استخدام ألفاظ مشحونة ومثقلة بتجارب الحياة، مليئة بالعواطف والأحاسيس التي تعكس واقع التجربة وطبيعتها لرسم صورتها في ذهن المتلقي، وكشف آفاقها المستقبلية لكل من يريد الاقتداء بمن سبقوه والسير على منهجهم، ذلك أن "الوصايا تكشف عن المتغيرات النفسية التي تحددت داخل الإنسان نتيجة إحساسه بإيقاع الزمن الماضي في حياته الطويلة، والتي غالبا ما تكون مشحونة بالانفعالات والعواطف مرسلة على شكل رسائل أخلاقية وتهديبية، تعليمية ووعظية، وسياسية إلى الموصى إليه"<sup>(2)</sup>.

ولما كان هدف ابن الخطيب في هذه الوصية تقديم المواعظ والنصائح وتبليغها لأبنائه ليعملوا بها، فإنه جنح إلى انتقاء ألفاظ تميزت بالسهولة والوضوح

---

(1) - ينظر؛ قضايا النقد الأدبي الوحدة، الالتزام، الوضوح والغموض، الإطار والمضمون: بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، الرياض - السعودية، (د.ط)، 1404هـ - 1984م: 161.

(2) - وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، روناك توفيق علي النورسي: 154.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
والفصاحة والانسائية في التعبير، كما جاءت مأنوسة مألوفة خالية من التعقيد،  
أعطائها لمسة عاطفية حتى تكون معانيها أكثر تأثيرا في الأبناء.

وقد ارتبط بعضها بالجانب الديني كالصلاة والصوم والزكاة وكتاب  
الله... وأخرى بالجانب الأخلاقي؛ فمن الكلمات التي دلت على الخلال الطيبة  
من أجل التحلي بها: الصدق والحشمة والأمانة... ومن التي دلت على الذميمة  
منها قصد التحلي عنها: الظلم والحسد والكذب... وأخرى عنيت بالجانب  
الاجتماعي؛ جاء بها لحضهم على ضرورة توطيد العلاقات فيما بينهم وبين باقي  
أفراد المجتمع: التعاهد والتزاور والأرحام وغيرها، ومنها التي اتصلت بقساوة  
التجربة السياسية وشدة المعاناة: عثاري والبأساء وإحنة...

## أ-2- العلاقة بين الألفاظ و المعاني:

وقد خدمت هذه الألفاظ المنتقاة الغرض المقصود من الوصية، ذلك أنها  
عملت على إيصال المعاني المختلفة التي كان هدفها إرشاد السلوك وتقويمه،  
وتهديب الأخلاق، ونشر الفضائل ودم الرذائل، وذلك بالامتثال لأوامر الله تعالى  
ونواهيه؛ من طاعات وعبادات ومعاملات... ونقل عصارة التجارب المختلفة  
التي عاشها الأب لأبنائه.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

وقد أشار ابن الخطيب إلى هذا الأمر بما سمي "مطاوعة اللفظ المعنى" (\*)، وذلك أن تكون الألفاظ في آثار المبدعين تبعا لمعانيها جدا أم هزلا، ولكل مقام مقال يناسبه ومعرض من القول يلائمه، وما يصلح من اللفظ والتعبير من فن من الفنون قد لا يكون صالحا بالضرورة لغيره<sup>(1)</sup>.

### أ-3- تنوع الأساليب والجمل:

يبدو أن إحكام ابن الخطيب العلاقة بين اللفظ والمعنى ظهر جليا في أسلوب هذه الوصية "وانحاز إليه أي -مطاوعة اللفظ للمعنى- في تعبيره الثري على مستوى الإيجاز، فجاءت ألفاظه وتعايره متسقة مع معانيه، وعد ذلك من خصائص أسلوبيته، ومقومات لغته وحيويتها"<sup>(2)</sup>.

ولأن الأسلوب هو "طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، ولاسيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات والتشابه والإيقاع"<sup>(3)</sup>.

---

(\*)- مصطلح نقدي ورد في رد عن رسالة إخوانية وصلته عن أبي عبد الله اليتيم وهو يمتدحها، وهي من الرسائل البليغة التي توفرت فيها السمة "الأدبية" وقد أتت في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب، 2: 100.

(1)- ينظر؛ فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية، محمد مسعود جبران، 2: 186.

(2)- المرجع نفسه، 2: 186-187.

(3)- المعجم الأدبي: عبد النور جبور، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، (د.ط.)، 1987: 20.



الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-

والوصية كغرض أدبي لها أسلوب يميّزها عن بقية الأغراض الأخرى، فقد اتّسم أسلوب وصية ابن الخطيب بملامح فنية خاصّة كان أساسها الألفاظ المنتقاة التي اتصفت بالسلاسة والابتعاد عن الغموض.

وبما أن الوصية اقتضت معاني التدليل على خوض معارك الحياة بمختلف مناحيها، والاستفادة من نوائبها وتجاربها من جهة، وحرص الأب على تقديم الأفضل لأبنائه من جهة أخرى، فقد وجدناه يأمرهم تارة ويدعوهم إلى الهداية والسير على المنهج القويم الذي تضبطه الشريعة، والتخلق بالخلال الحميدة التي حثّ الإسلام على التحلي بها، وتارة أخرى وجدناه يحذرهم وينهاهم عن ارتكاب الآثام والكبائر ليجنبهم الوقوع في الأخطاء والزلل، وكان وراء ذلك عاطفة صادقة أراد بها جلب الخير لهم ودفع المضار عنهم، ولهذا فقد تنوعت الأساليب بين الخبرية والإنشائية.

أما الأساليب الخبرية فقد وردت قليلة في هذه الوصية مثال ذلك في الوصية حديث ابن الخطيب عن الخمر، فهو يخبر أبنائه عن إثمها ومضارها وحكمها، وغايته من ذلك إبعاد أبنائه عنها؛ إذ يقول: "والخمر أم الكبائر، ومفتاح الجرائم والجرائر، واللهو لم يجعله الله في الحياة شرطا والمحرم قد أغنى عنه بالخلال الذي سوغ وأعطى، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد، والله تعالى قد جعلها رجسا محرما على العباد، وقرنها بالأنصاب والأزلام في مباينة السداد"<sup>(1)</sup>.

(1) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 402.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

وأما الأساليب الإنشائية فقد جاءت غزيرة، وكان في طليعتها الأمر الذي هو "طلب الفعل على وجه الاستعلام والإلزام"<sup>(1)</sup>، وقد خدم الغرض لأن الوصايا كانت موجهة من الأب لأولاده، وكانت الغاية من الأمر في هذه الوصية النصح والإرشاد، ومن ذلك قوله: "وأفشوا السلام في الطرقات والجماعات، وارقوا على ذوي الزمانات والعاهات، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات، وعولوا عليه وحده في الشدائد، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد، وتقرّبوا إليه باليسير من ماله، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله، وارعوا حقوق الجار، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار، وتعاهدوا أولي الأرحام والوشائج البادية الالتحام"<sup>(2)</sup>.

ولما دعت ضرورة تقديم النصائح والمواعظ استخدام أسلوب النهي الذي قد يلجأ إليه الموصي للنهي عن القيام بالمنكرات والمعاصي، والابتعاد عن كل ما يفسد سلوك الإنسان ويخل به، فابن الخطيب ينهى أولاده عن الربا وأكل المال الحرام لأن الله حرمه على العباد، فيقول: "ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين... ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه"<sup>(3)</sup>، وكذلك ينهى عن الخيانة والغدر وأمور أخرى من شأنها الإخلال بالعلاقات الاجتماعية، فيقول: "ولا

---

(1) - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط2، 1996: 184.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 403.

(3) - المصدر نفسه، 7: 402.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ولا توجدوا للغدر قبولا، ولا تقروا عليه طبعاً  
محبولاً...<sup>(1)</sup>.

ويعتبر التحذير أحد الأساليب الإنشائية التي ترد في الوصية لتجنبهم  
الوقوع في أمور تعود عليهم بالمضرة، وذلك من أجل النصح والتوجيه، ومن  
الأمثلة على ذلك في الوصية تحذير لسان الدين أبناءه من الكذب، مينا لهم آثاره  
وعقوبته عند الله تعالى؛ إذ يقول: "وإياكم والكذب فهو العورة التي لا توارى،  
والسوأة التي لا يرتاب في عارها ولا يتمارى، وأقل عقوبات الكذاب، بين يدي  
ما أعد الله له من العذاب، أن لا يقبل منه صدقه إذا صدق، ولا يعول عليه إن  
كان بالحق نطق"<sup>(2)</sup>، ويحذرهم كذلك من الظلم، فيقول: "وإياكم والظلم  
فالظالم ممقوت بكل لسان، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان"<sup>(3)</sup>، كما يحذر  
أبناءه أيضاً من أمور الدنيا التي تلهي الإنسان عن جلب السعادة الأخروية؛ إذ  
يقول: "واحدروا القواطع عن السعادة كما تقطع السموم"<sup>(4)</sup>.

وظهر النداء في الوصية، حيث قال: "فاعملوا يا بني بوصية من ناصح  
جاهد، ومشفق شفقة والد، واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه، وعوا مراشد  
هديه فيا فوز وعيه"<sup>(5)</sup>، وغرضه لفت انتباه أبناءه إلى نصحه وإرشاده.

---

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 401.

(2) - المصدر نفسه، 7: 401.

(3) - المصدر نفسه، 7: 402.

(4) - المصدر نفسه، 7: 303.

(5) - المصدر نفسه، 7: 395.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-

وقد تميزت هذه الوصية بوجود بعض الجمل الاعترافية، منها ما كانت قصيرة وأخرى طويلة، ومنها قوله: "ويأمن العثور في الطريق التي اقتضت عثاري، إن سلك -وعسى أن لا يكون ذلك- على آثاري"<sup>(1)</sup>، وكذلك قوله: "اعلموا هداكم الله تعالى الذي -بأنواره يهتدي الضلال، وبرضاه ترفع الأغلال، وبالتماس قربه يحدث الكمال، إذا ذهب المال، وأخلفت الآمال، وتبرأت من يمينها الشمال- أني مودعكم إن سالمني الردى، ومفارقكم وإن طال المدى"<sup>(2)</sup>. وكان غرضها الدعاء.

ووردت جملة الشرط وجوابها، ومن الأمثلة على ذلك: "فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه، وإذا برز قبيح فاستروه، وإذا أعظم النساء أمرا فاحقروه"<sup>(3)</sup>.

## ب- الإطناب:

اختلفت آراء النقاد والدارسين قدماء ومحدثين حول ظاهرة الإطناب<sup>(\*)</sup> التي تميز بها نثر لسان الدين بن الخطيب، ومن بين الذين استحسوها عبد الحلیم الهروط، حيث يذكر: "لم يكن الإطناب كله عند لسان الدين ممجوحا زائدا عن الغرض، فقد يأتي مطلبا ملحا لبعض الأغراض والمواضيع -فنيا موضوعيا- يكاد لا يستكمل النص إلا به، ومن ذلك الوصايا، ورسائل الاستنجد والمقامات"<sup>(4)</sup>.

(1) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 393.

(2) - المصدر نفسه، 7: 393.

(3) - المصدر نفسه، 7: 404.

(\*) - الإطناب هو: زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة.

(4) - النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، عبد الحلیم الهروط: 204.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده -أمونجا تطبيقيا-

وقد أتى الإطناب في وصية لسان الدين مواتيا للغرض الداعي إلى نقل تجارب حياة بأكملها، وعصارة ثقافات ممتزجة أملاها عليه موروثه الثقافي والفكري والديني، كما أن سعة اطلاعه وامتلاكه اللّغة وناصية الكلام ساعده في نظم الألفاظ بوفرة وصياغتها بكثرة، حيث: "كان أشبه بالجاحظ في تأليفه من حيث اطلاعه الواسع وفضله الجم" (1).

وذكر لسان الدين أنه قد أطال في هذه الوصية؛ إذ يقول: "ومهما سئمت إطالتها، واستغزرت مقالتها، فاعلموا أن تقوى الله فذلك الحساب، وضابط هذا الباب، كان الله خليفتي عليكم في كل حال" (2)، ولعل غايته من ذلك هو إفادة أبنائه بأكبر قدر من النصائح والمواعظ، وإبراز تفوقه وتميزه على أهل المشرق الذي طالما كان هاجسا رافقه في تأليفه.

### ج- المحسنات البديعية:

لقد حفلت الوصية بمجموعة من المحسنات البديعية منها:

### ج-1- الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف:

لقد عرف الأدب تطورا واضحا بعد ظهور الإسلام، وهذا بالاستفادة من القرآن الكريم بالاقتباس منه وذلك "بأن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آيات من كتاب الله تعالى خاصة هذا هو الإجماع" (3)، وهذا لما تميز به القرآن الكريم من إعجاز بلاغي وبياني وتضمنه لأغراض ومعان مختلفة، وقد أشار

(1) - بلاغة العرب في الأندلس: أحمد ضيف، مطبعة مصر، (د.ط)، 1432هـ-1924م: 220.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 405.

(3) - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب: 159.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
الباقلاني إلى ذلك، فقال: "لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه  
التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ، واحتجاج، وحكم وأحكام،  
وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة  
وشيم رفيعة، وسير ماثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها"<sup>(1)</sup>،  
وباعتباره أيضا: "المصدر الأوّل الذي يشكّل شخصية الأديب المسلم تشكيلا  
متميزا"<sup>(2)</sup>.

ونظرا لطبيعة الثقافة الدينية التي كان يزخر بها لسان الدين، التي كان  
القرآن الكريم أساسها، الذي تشعب بحفظه منذ نشأته الأولى على يد شيوخه  
الأجلاء، فقد عمد إلى تزيين هذه الوصية بآيات من كتاب الله العزيز، لما في  
ذلك من تناسب بين معاني القرآن وما تضمنته الوصية من نصح وتوجيه، وذلك  
قصد التأثير في أبنائه باعتبار أن القرآن من أقوى الحجج والدلائل في الإقناع.  
ومما ورد من الآيات القرآنية في هذه الوصية حديثه عن ضرورة وجوب  
الوصية على من يجب نصحهم، فقد قال "وجاعل النصيحة الصريحة لا سيما  
للولي المحبوب، والولد المنسوب القائل في الكتاب المعجز الأسلوب: ﴿أَمْ كُنْتُمْ  
شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾<sup>(3)</sup>، ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾<sup>(4)</sup>"<sup>(1)</sup>.

(1) - إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر،  
(د.ط)، (د.ت): 296-305. عن: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين  
والخصائص الأسلوبية، محمد مسعود جبران، 2: 253.

(2) - الأدب الإسلامي: قضاياها ومفاهيمه النقدية، عباس محجوب: 12.

(3) - سورة البقرة، الآية: 133.

(4) - سورة البقرة، الآية: 132.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-

وقد ظهر الاقتباس في موضع آخر من الوصية وذلك للتدليل على أهمية العلم ليدفع أبناءه إلى اكتسابه، فيقول: "واعلموا أن بالعلم تستكمل وظائف هذه الألقاب، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب، فعليكم بالعلم النافع، دليلا بين يدي السامع، فالعلم مفتاح هذا الباب، والموصل إلى اللباب، والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (2) (3).

ويقتبس في موضع آخر من القرآن الكريم لتحذير أبنائه من الوقوع في الزنا مذكرا إياهم بآثاره ومضاره؛ إذ يقول: "واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه، وامتد في سبيل السعادة باعه، لو لم تتلق نور الله الذي لم يهد شعاعه، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه، ولا عدم إقناعه، ومن غلبت عليه غرائز جهله، فلينظر هل يجب أن يزني بأهله، والله قد أعد للزاني عذابا وبيلا، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (4) (5).

وقد لجأ ابن الخطيب بالاقتباس من القرآن الكريم إلى "حل الآيات مع إبقاء شيء من ألفاظها ليظل قريبا من النص القرآني بمضمونه حتى لا يثقل على المتلقي في الانتقال من هذا الجو إلى جو آخر مغاير له" (6).

(1) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 392.

(2) - سورة الزمر، الآية: 9.

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 399.

(4) - سورة الإسراء، الآية: 32.

(5) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 402.

(6) - النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، عبد الحليم الهروط: 137.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيًا-

ومن الأمثلة على ذلك في الوصية حين يدعو أبناءه إلى ضرورة العمل بالوصية لأن الدنيا امتحان، من نجح فيه يسعد في الدنيا والآخرة، فيذكر: "فاقتنوها من وصية، ومرام في النصح قصية، وخصوا بها أولادكم إذا عقلوا، ليجدوا زادها إذا انتقلوا، وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا، ولكن ليلوهم أيهم أحسن عملا"<sup>(1)</sup>، فهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(2)</sup>.

وكذلك في أثناء حديثه عن توحيد الله تعالى الذي هو أساس الدين الإسلامي وركيزته، فيقول: "والعقل متقدم، وبنائه مع رفض أخيه متهدم، فالله واحد أحد، فرد صمد، ليس له والد ولا ولد، تتره عن الزمان والمكان، وسبق وجوده وجود الأكوان"<sup>(3)</sup>، وهو هنا يشير إلى سورة الإخلاص؛ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(4)</sup>.

وقد وجد ابن الخطيب في الأحاديث النبوية منبعا آخر نهل منه في كتابة هذه الوصية، ليدعم أقواله لإقناع أولاده وجذبهم للعمل بالوصية، ومن الأمثلة على وجود الاقتباس من الحديث الشريف هذا المقطع الذي يدعو فيه أبناءه إلى الإيمان بالرسول ﷺ وطاعته، والعمل برسالته، فيقول: "ثم ختم ديوانهم بنبي ملتنا

(1) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 394.

(2) - سورة الملك، الآيتان: 1-2.

(3) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 394-395.

(4) - سورة الإخلاص، الآيات: 1-4.



الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

المرعية الحمل، الشاهدة على الملل، فتلخصت الطاعة، وتعينت الإمرة المطاعة، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشرا، وترك دينه يضم من الأمة نشرا، فمن تبعه لحق به، ومن تركه تورط عنه في منتشبه، وكانت نجاته على قدر سببه، روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "تركت فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي، فعضوا عليها بالنواجذ"<sup>(1)</sup>،<sup>(2)</sup>.

وقد ورد كذلك في التحذير من النميمة قوله: "والنميمة فساد وشتات لا يبق عليه متات، في الحديث "لا يدخل الجنة قتات"<sup>(3)</sup>،<sup>(4)</sup>، وقد لجأ إلى حل الأحاديث في سياق تحذير أبنائه من المعاصي المهلكة، فيقول: "فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود وتستدعي شوه الوجوه ونضج الجلود"<sup>(5)</sup>، فهو يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "شاهت الوجوه"<sup>(6)</sup>.

وهنالک اقتباس من خطبة حجة الوداع في قوله: "اللهم إني قد بلغت فأنت خير الشاهدين"<sup>(7)</sup>، وهو اقتباس من قوله عليه الصلاة والسلام: "اللهم قد بلغت فاشهد"<sup>(1)</sup>.

(1) - رواه ابو داوود والترمذي وقال حديث حسن صحيح، ورواه النووي في الأربعين.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 402.

(3) - رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في المشكاة، 3: 482.

(4) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 402.

(5) - المصدر نفسه، 7: 396.

(6) - رواه النسائي في السنن الكبرى برقم 11557، وكذلك في عمدة التفسير، 2: 111.

(7) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 396.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

## ج-2- السجع والتوازن:

أتحف لسان الدين بن الخطيب هذه الوصية بالسجع الذي احتفى به كثيرا في إبداعاته الفنية الأخرى، وقد أتى في اصطلاح البلاغة أن السجع هو: "تواطؤ فاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو على حرفين متقاربين أو حروف متقاربة وهو يقع في الشعر كما يقع في النثر"<sup>(2)</sup>، وعلى الرغم من اختلاف البلاغيين والنقاد حول استعماله، فقد استحسنته بعضهم محتجّين في ذلك بوروده في القرآن الكريم<sup>(3)</sup>، فهو تطرب له الآذان لما يحدثه من موسيقى تشد السامع وتؤثر في المتلقي.

وليزداد الكلام حسنا وجب الاعتدال الذي سببه الموازنة وهي "أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن... وهذا النوع من الكلام أحوالسجع في المعادلة دون المماثلة"<sup>(4)</sup>، ومما ورد في ذلك من الوصية: "ولا يثمر في العاجل إلا اقتحام العيون وتطريق الظنون وتطويق الاحتقار"<sup>(5)</sup>.

---

(1) - تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، الطبري، 2: 490.

(2) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط2، 1425هـ-2005م: 250.

(3) - المرجع نفسه: 259.

(4) - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد عبد الكريم بن الأثير الموصلية (ت. 637هـ-)، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط2، 1411هـ-1990م، 1: 272.

(5) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 400.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

وقد تفنن لسان الدين بن الخطيب في تزيين هذه الوصية بألوان السجع حيث جعلها تتميز بإيقاع وتنغيم خاصين من خلال الانسجام الصوتي الحادث بين قصار الفقرات، وذلك لتأكيد المعنى وإبراز مختلف الأحاسيس والعواطف التي نبعت من قلبه، ومن أنواع السجع المستعملة في الوصية:

**المطرف:** "وهو ما اختلفت فيه الفواصل وزنا واتفقت رويًا"<sup>(1)</sup>، ومن ذلك قول ابن الخطيب: "وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا، ولا تقلبوا من الفتنة جمرا، ولا تداخلوا في الفتنة زيدا ولا عمرا"<sup>(2)</sup>.

وقوله كذلك: "واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه، وامتد في سبيل السعادة باعه، لو لم تتلق نور الله الذي لم يهد شعاعه، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه، ولا عدم إقناعه، ومن غلبت عليه غرائز جهله، فلينظر هل يجب أن يزني بأهله"<sup>(3)</sup>.

**المتوازي:** "وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية"<sup>(4)</sup>، ومما ورد من هذا اللون في الوصية قول ابن الخطيب: "وللإنسان مزية لا تجهل، وحق لا يهمل، فأظهروا التعاضد والتناصر، وصلوا التعاهد والتزاور"<sup>(5)</sup>.

---

(1) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 252.

(2) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 401.

(3) - المصدر نفسه، 7: 402.

(4) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 253.

(5) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 404.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
وقوله أيضا: "ليحذر معاداة الرجال، وفساد الخيال، ومداخلة العيال،  
وإفشاء السر، وسكر الاغترار"<sup>(1)</sup>.

**المرجع:** "وهو أن يكون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر مثل  
ما يقابلها من الأخرى وزنا وتقفية"<sup>(2)</sup> ولهذا اللون من السجع تأثير خاص لدى  
المتلقي سببه ذلك الإيقاع السريع والمنظم الناتج عن استعمال الجمل القصار،  
ومثال ذلك في الوصية: "فبالإتقان تفاضلت الأعمال، وبالمرعاة استحقت  
الكمال"<sup>(3)</sup>.

وقوله أيضا: "فالبناء بأساسه، والسيف برئاسه"<sup>(4)</sup>.

**السجع الذي طالت فقرته الثانية عن الأولى:** ومما أتى من ذلك في  
الوصية، قوله: "واغبطوا من كان بسنة الغفلة مفيقا، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى  
لا تسلكوا منه طريقا"<sup>(5)</sup>.

وكأن هذا السجع تعبير عن تنهدات الكاتب جراء معاناته التي قاساها  
من خصومه السياسيين.

**السجع المركب:** يتواصل إبداع لسان الدين بن الخطيب في استعمال  
ضروب السجع التي كان من بينها السجع المركب الذي "يعمد من خلاله إلى

---

(1) - المصدر نفسه، 7: 404.

(2) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: ص 253.

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 398.

(4) - المصدر نفسه، 7: 398.

(5) - المصدر نفسه، 7: 401.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
التلوين والتنويع في وقع الأصوات المتولدة عن الإيقاعات المتباينة في السجعات  
مع اعتماده على سجعة أصلية"<sup>(1)</sup>.

وقد سعى ابن الخطيب من خلال استخدامه هذا اللون من ألوان السجع  
في الوصية إلى إبراز المقدرة والموهبة في اجتياز الصعاب التي يفرضها هذا النوع  
من السجع التي توجب على الأديب اكتساب ذخيرة لغوية غزيرة، واطلاع  
واسع على علوم البلاغة بعامة وألوان البديع بخاصة.

وهذا ما سماه محمد مسعود جبران "السجع التوليدي"<sup>(2)</sup>؛ حيث جعله  
من أشكال "لزوم ما لا يلزم لأن الكاتب يلزم نفسه على سجعة رئيسية أصلية  
يولد من خلالها سجعة فرعية"<sup>(3)</sup>.

ومما ورد من السجع المركب في الوصية قوله: "وارعوا حقوق الجار،  
واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار، وتعاهدوا أولي الأرحام، والوشائج البادية  
الالتحام، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر، وتفسد السر والجهر"<sup>(4)</sup>،  
وهو مثال عمد فيه توليد فاصلتين فرعيتين داخل فاصلة رئيسية.

وقوله أيضا: "فبالأمس كنتم فراخ حجر، واليوم أبناء عسكر بحر، وغدا  
شيوخ مضيعة وهجر، والقبور فاغرة، والنفوس عن المألوفات صاغرة، والدنيا

---

(1) - النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، عبد الحليم الهروط: 186.

(2) - فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية، محمد مسعود  
جبران، 2: 268.

(3) - المرجع نفسه، 2: 268.

(4) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 403.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا- بأهلها ساخرة، والأولى تعقبها الآخرة، والحازم من لم يُتَّعَظْ به في أمر<sup>(1)</sup>، وهو هنا يورد أربعة فواصل فرعية داخل فاصلة رئيسة وهو أصعب ألوان السجع المركب وأكثره تعقيدا<sup>(2)</sup>.

### ج-3- لزوم ما لا يلزم :

عرفه القزويني فقال هو: "أن يجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع"<sup>(3)</sup>.

وقد سماه ابن المعتز: الإعنات، و عده من محاسن الكلام، وسمي كذلك لأن الشاعر أو الناثر قد يلتزم في كلامه بحرف أو أكثر قبل حرف الروي، وقد يحسن إذا أتى عفوا ويقبح إذا أتى من تكلف أو تصنع<sup>(4)</sup>.

وجاء استخدامه في الوصية ليزيدها حسنا، فقد عمد ابن الخطيب إلى استعماله نظرا لملكته اللغوية وبراعته في التأليف، ومما ورد من ذلك في الوصية: "الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب، إذا شيم نجمه المثقوب، ولا يبغته الأجل المكتوب، ولا يفجؤه الفراق المعتوب، ملهم الهدى الذي تطمئن به القلوب، وموضح السبيل المطلوب، وجاعل النصيحة الصريحة في قسم الوجوب،

(1) - المصدر نفسه، 7: 393-394.

(2) - ينظر؛ النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، عبد الحلیم الهروط: 187.

(3) - الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح: محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني (661هـ - 739هـ)، اعتنى به وراجعته: عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، ط3، 1419هـ-1992م: 223.

(4) - ينظر؛ علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود:

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
 لاسيما للولي المحبوب، والولد المنسوب، القائل في الكتاب المعجز الأسلوب:  
 ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾<sup>(1)</sup>، وقال أيضا: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ  
 بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾<sup>(2)</sup>، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من  
 زُرَّتْ على نوره جيوب الغيوب، وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة  
 فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب، والرضى عن آله وأصحابه المثابرين على  
 سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب، والأمل المسلوب، والافتداء الموصل للمرغوب،  
 والعز والأمن من اللغوب"<sup>(3)</sup>، وقد التزم حرفاً واحداً قبل الفاصلة وهو الواو  
 الساكنة.

#### ج-4- الجناس:

يعرف الجناس عند البلاغيين بأنه: "تشابه اللفظين في النطق واختلافهما  
 في المعنى"<sup>(4)</sup>، وهو من ألوان البديع التي وشحت بها هذه الوصية، وذلك لما  
 يخلفه من موسيقى وتنغيم نتيجة ذلك الجرس اللفظي الموحد الذي يفرضه التشابه  
 في حروف الألفاظ المستخدمة، ولهذا "سمي هذا النوع من الكلام بجانسا لأن  
 حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد"<sup>(5)</sup>.

وقد خدم الجناس هذه الوصية لأنه جعل كلا من المؤلف والمتلقي في  
 اتصال مباشر لما يحدثه من صدى في الآذان ووقع في القلوب، وهذا لأن

(1) - سورة البقرة، الآية: 133.

(2) - سورة البقرة، الآية: 132

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 392.

(4) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 235.

(5) - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، 1: 241.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
الكلمات المتجانسة وسيلة لنقل مختلف العواطف والمشاعر والتجارب لجعلها  
تنفذ إلى قلوب أبنائه ومسامعهم لتؤثر فيهم، وهذا من خلال "التجاوب  
الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا تطرب الآذان، فتهتز  
له أوتار القلوب فيتجاوب مع أصداء أبنيتها"<sup>(1)</sup>، ومن بين أنواع الجناس  
المستخدمة في هذه الوصية:

**المماثل:** وهو من الجناس التام: "وهو ما اتفقت فيه الكلمتان المتجانستان  
في نوع الأحرف وهياتهما وترتيبها وكانتا من نوع واحد"<sup>(2)</sup>.  
ومثال ذلك في الوصية قوله: "وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله  
زلفى، المححوضة لمن يعلم السر وأخفى، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام،  
والقيام ببر القيام"<sup>(3)</sup>، فالقيام في الكلمة الأولى معناها القيام بفعل أداء الصلاة،  
والقيام في الكلمة الثانية معناها القيام بالليل، ولعل الغرض من هذا الجناس هو  
التأكيد على أداء الصلاة سواء كانت فرضا أم نافلة.  
وكذلك في قوله: "وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا"<sup>(4)</sup>؛  
فأمر في الكلمة الأولى هي ضد النهي، وأما أمر الثانية فهي بمعنى: الشأن أو  
الحاجة، ولعل الغرض من هذا الجناس هو التأكيد على طاعة ولي الأمر لأنه يهتم  
بقضايا رعيته.

---

(1) - المصدر نفسه، 1: 248.

(2) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 236.

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 399.

(4) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 401.



الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

وأما أمثلة الجناس غير التام الوارد في الوصية فنذكر منه:

**المطرف:** "وهو أن يختلف بزيادة حرف واحد في الأول أو الوسط أو الآخر"<sup>(1)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك: " فلم أجد خابط ورق، ولا مصيب عرق، ولا نازع حطام، ولا متكلف فطام، ولا مقتحم بحر طام"<sup>(2)</sup>.

وورد كذلك في قوله وهو يتحدث عن الصلاة: "والوسيلة إلى بلّ الجوارح ببرود الذكر وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر، وضامنة حسن العشرة من الجار للمسالمة من الفجار"<sup>(3)</sup>.

**الملاحق:** وهو "اختلاف الكلمتين في نوع الأحرف، ويشترط أن لا يكون الاختلاف في أكثر من حرف ويكون الحرفان متباعدين في المخرج"<sup>(4)</sup>، ومثال ذلك في قوله: "وبعد، فإني لما علاني المشيب بقمته، وقادني الكبر في رمته، وادكرت الشباب بعد أمته، أسفت لما أضعت، وندمت بعد الفطام على ما رضعت، وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه، وتعلق بعيني سعيه"<sup>(5)</sup>.

والملاحظ ههنا اختلاف الكلمات في حروفها الأولى، إضافة إلى أن هذه الحروف متباعدة في المخرج وهي: القاف والراء والهمزة في: قمته، رمته، أمته، وكذلك الراء والسين في رعيه وسعيه.

(1) - الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: 216.

(2) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 396.

(3) - المصدر نفسه، 7: 397.

(4) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 239.

(5) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 392.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

**المضارع:** وهو: "ما اختلفت فيه الكلمتان في نوع الحروف، ويشترط أن لا يقع الاختلاف في أكثر من حرف، ويكون الحرفان متقاربين في المخرج"<sup>(1)</sup>.

ومما ورد من ذلك في وصية ابن الخطيب قوله: "واستبدل الصاب من العسل، ونصول الشيب تروع بأسل"<sup>(2)</sup>، والملاحظ أن العين والهمزة في العسل وأسل هي حروف من المخرج نفسه: حروف حلقية.

وكذلك قوله: "والنفوس عن المألوفات صاغرة، والدنيا بأهلها ساخرة"<sup>(3)</sup>، وكل من الصاد في صاغرة والسين في ساخرة هي متقاربة في المخرج وهي من الحروف الصفيرية.

**المزدوج: المكرر أو المردود:** وهو: "تتابع الكلمتين المتجانستين في أي نوع من أنواع الجنس"<sup>(4)</sup>.

ومثال ذلك في الوصية قوله: "والخمر أم الكبائر، ومفتاح الجرائم والجرائم"<sup>(5)</sup>.

وقوله أيضا: "واجعلوا العمر بين معاش ومعاد، وخصوصية وابتعاد"<sup>(6)</sup>.

---

(1) – الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: 217.

(2) – نفح الطيب، المقرئ، 7: 393.

(3) – المصدر نفسه، 7: 393.

(4) – علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 243.

(5) – نفح الطيب، المقرئ، 7: 402.

(6) – المصدر نفسه، 7: 403.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-

**المصحّف: المرسوم:** وهو "أن تتماثل الكلمتان المتجانستان في الخط والرسم، وتختلفان في النقط"<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك في الوصية، قول ابن الخطيب: "فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود، وتستدعي شوه الوجوه ونضج الجلود"<sup>(2)</sup>، وكذلك: "ولا تطغوا في النعم فتقصروا عن شكرها، وتلفكم الجهالة بسكرها، وتتوهموا أن سعيكم جلبها، وجدكم جلبها"<sup>(3)</sup>.

### ج-5- الطباق والمقابلة:

الطباق هو لون من أنواع البديع المعنوي<sup>(4)</sup>، أما في اصطلاح البلاغيين فهو: "الجمع بين الشيء وضده في كلام منشور أو بيت شعري"<sup>(5)</sup>.

وقد زين لسان الدين هذه الوصية بهذا الضرب من البديع ليزيد المعنى دقة ووضوحا من أجل ترسيخ جملة من القيم والمثل في أذهان أبنائه، كان أساسها إشاعة الفضيلة وذم الرذيلة.

ومن أمثلة الطباق في الوصية، قول ابن الخطيب: "واجعلوا العمر بين معاش ومعاد، وخصوصية وابتعاد، واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد، وأن الخلق زرع وحصاد"<sup>(6)</sup>.

(1) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 243.

(2) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 396.

(3) - المصدر نفسه، 7: 404.

(4) - الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: 190.

(5) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 112.

(6) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 403.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا- والطباق ههنا بين معاش ومعاد: وغرضه دعوة أبنائه إلى التأمل في الموت والحياة، والهدف من ذلك الترغيب في الآخرة، والتحذير من الانغماس في مفاتن الدنيا وزخرفها لأن الحياة الدنيا فانية زائلة.

وقد ورد كذلك بين زرع وحصاد والمراد به: التذكير بالحساب والعقاب لأن الجزاء في الآخرة وعد بالجنة ووعيد بالنار حسب تقوى الفرد وما يقوم به من أعمال صالحة، وهكذا فهو يدعوهم إلى الزهد والتقوى وأداء الطاعات والعبادات وترك المعاصي.

وقوله أيضا: "وازهّدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا، فخيرها لا يقوم بشرها، ونفعها لا يقوم بضرها"<sup>(1)</sup>؛ وقد ظهر بين خيرها وشرها، ونفعها وضرها، والطباق هنا انعكاس لحالة ابن الخطيب النفسية المضطربة التي عاشت الصراع بين تيارين متعاكسين وهما الخير والشر، وكذلك تجسيدا لتجربته السياسية التي ذاق فيها العذب والعذاب ولكن لم ينفعه وقت المحنة لا مال ولا جاه، فراحة الإنسان لن تكون إلا في ظل حياة الزهد والتصوف

وقوله أيضا: "وإذا برز قبيح فاستروه، وإذا أعظم النساء أمرا فاحقروه"<sup>(2)</sup>؛ ورد الطباق بين برز فاستروه، وأعظم واحقروه، وجاء الطباق هنا للتأكيد على صيانة الأسرار وحفظها، والتقليل من التعاطي مع النساء في الأمور كلها، وقد أضفى هذا التضاد الموجود بين جملة الشرط وجوابها تنغيما خاصا وإيقاعا موسيقيا لعل الغرض منه التأثير في أسماع أبنائه.

(1) - المصدر نفسه، 7: 404.

(2) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 404.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –أمونجا تطبيقيا-

والطباق في الأمثلة السابقة كان من نوع الإيجاب، وقد استخدم ابن الخطيب في وصيته طباق السلب وهو: "ما كان أحد طرفي الطباق مثنيا والآخر منفيًا"<sup>(1)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك: "واعلموا أن هذه الوظائف من ذكر مجهور وغير مجهور تستغرق الأوقات، وتنازع شتى الخواطر المتفرقات"<sup>(2)</sup>؛ ظهر طباق السلب بين مجهور وغير مجهور والغرض منه التأكيد على ضرورة الاهتمام بالواجبات الدينية وتفضيلها على باقي الأمور الدنيوية.

وقوله أيضا: "الله واحد أحد، فرد صمد، ليس له والد ولا ولد، تتره عن الزمان والمكان، وسبق وجوده وجود الأكوان، خالق الخلق وما يعلمون الذي لا يسأل عن شيء وهم يسألون"<sup>(3)</sup>؛ جاء الطباق بين لا يسأل ويسألون، وهذا للتأكيد على قدرة الله العظيمة في الخلق، وأنه هو من يتولى السؤال والحساب. وقد استعان إلى جانب الطباق بالمقابلة وهي: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو بمعان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب"<sup>(4)</sup>.

وقد أتت قليلة في هذه الوصية ومن ذلك قوله: "وأمرؤا بالمعروف أمرأ رفيقا، وانهموا عن المنكر نهميا حريا بالاعتدال حقيقا"<sup>(5)</sup>، وظهرت بين: امرؤا

---

(1) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 119.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 398.

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7، 395.

(4) - علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد الفتاح بسيوني فيود: 126.

(5) - نفح الطيب، المقرئ، 7، 401.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجا تطبيقيا-  
بالمعروف أمرا وانهموا عن المنكر نهما، وقد خدمت هذه المقابلة الغرض من الوصية  
لأنها تدعو إلى ذلك.

### ج-6- الترادف والتكرار:

يملك ابن الخطيب معجما لغويا ثريا، امتاز بوفرة الألفاظ، لهذا عمد في  
وصيته إلى استخدام الترادف الذي هو: "دلالة لفظين مفردين على معنى  
واحد"<sup>(1)</sup>، وهو يفيد الإبانة والوضوح وذلك بإبراز المعنى الواحد في عدة صور  
والتنوع في أساليب التعبير تفاديا للتكرار، وقد يحدث متعة خاصة عن طريق  
اتصال الألفاظ المترادفة إيقاعيا عن طريق السجع والجناس<sup>(2)</sup>، وذلك للتأثير في  
المتلقي.

وقد انعكست غزارة الرصيد اللغوي لدى ابن الخطيب في تعدد وصاياه  
ونصائحه التي انتقاها من كثرة تجاربه في الحياة والتي يريد تبليغها لأبنائه، ومن  
ذلك قوله: "وإياكم وطلب الولايات رغبا واستجلابا، واستظهارا على الحظوظ  
وغلابا، وذلك ضرر بالمروءات والأقدار، داع إلى الفضيحة والعار، ومن امتحن  
بها منكم اختيارا، أو جبر عليها إكراها وإيثارا، فليتلق وظائفها بسعة صدره،  
ويبدل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره، فالولايات فتنة ومحنة، وأسر  
وإحنة، وهي بين إخطاء سعادة، وإخلال بعبادة، وتوقع عزل وإدالة بإزاء بيع  
جد من الدنيا بهزل، ومزلة قدم، واستتباع ندم، ومآل العمر كله موت ومعاد،

(1) - الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها: حسين عبد الحميد، دار الكتب، (د.ط)، 1971: 72.

(2) - ينظر؛ المرجع نفسه: 76.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده –أمونجا تطبيقيا-  
واقتراب من الله وابتعاد، جعلكم الله مِّن نِّعته بالتَّصير والتَّنبيه، ومِّن لا ينقطع  
بسببه عمل أبيه"<sup>(1)</sup>.

وكان الترادف ههنا بين: رغبة واستجلابا، والفضيحة والعار، وفتنة  
ومحنة، وموت ومعاد، والتَّصير والتَّنبيه، وقد أتى ابن الخطيب بهذه المترادفات  
ليدلَّ أبناءه على طبيعة التَّجربة السَّياسية القاسية التي عاناها وآثارها، التي دلَّت  
عليها مشاعره المليئة بالحزن والألم والأسى.

وقد ورد التَّكرار في الوصية، وبخاصَّة لفظ الجلالة، ولعلَّ تكرار هذه  
اللفظة دليل على قرب ابن الخطيب من الله، وثقته به وتوكُّله عليه، مع إبراز  
القيمة الدِّينية للوصية، ومن ذلك في الوصية قول لسان الدِّين: "الله الله في الصَّلَاة  
ذريعة التَّجَلَّة"<sup>(2)</sup> وهذا للتَّأكيد على محاسن الصَّلَاة ليحثَّ أبناءه على القيام بها.

#### د- الصَّور البيانية:

كان استعمال الصَّور البيانية في الوصية قليلا، لأنَّها تقوم على النَّصح  
والإرشاد، فهي تعتمد على التقريرية والمباشرة لأنَّها تخاطب العقل، فلا مجال  
للخيال، وأمَّا عن الصَّور التي وردت فيها فكان الغرض منها إيضاح المعنى  
والتَّأكيد عليه، ومن ذلك:

التَّشبيه البليغ في قول ابن الخطيب: "إياكم والكذب فهو العورة التي لا  
توارى، والسَّوأة التي لا يرتاب في عارها ولا يتمارى"<sup>(3)</sup>؛ إذ شبَّه الكذب

(1) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 405.

(2) - المصدر نفسه، 7: 397.

(3) - نفع الطيب، المقرئ، 7: 401.

الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده – أنموذجاً تطبيقياً.

بالعورة؛ وأراد بذلك اجتناب الكذب كضرورة اجتناب إظهار العورة، وشبّهه (الكذب) بالسّوأة؛ حيث جعله كالفاحشة التي يبقى عارها وآثارها، وكان قصد ابن الخطيب من هذا التّشبيه رسم صورة هذه الصّفة الذميمة في أذهان أبنائه وتركها راسخة فيهم ليتجنّبوها، وقد اعتمد على هذا النوع من التّشبيه لأنّه يجمع بين الإيجاز وحسن البيان<sup>(1)</sup>.

وكذلك التّشبيه الظاهر أو الصّريح في قول ابن الخطيب: "واحدروا القواطع عن السّعادة كما تحذر السّموم"<sup>(2)</sup>؛ وهذا لتوضيح المعنى وتأكيدّه وكانت الغاية من هذا التّشبيه ترغيب أبنائه في البحث عن كلّ أسباب السّعادة في الدّنيا والآخرة.

وقد ظهرت الاستعارة المكنية في قول ابن الخطيب: "أني مودّعكم إن سالمى الرّدى"<sup>(3)</sup>؛ حيث شبّه الرّدى بالعدوّ الذي يحارب ويسالم؛ حيث حذف المشبّه به (العدوّ) وترك المشبّه (الرّدى)، وأشار إلى ذلك بأحد لوازمه (سالمى)، ليؤكد لأبنائه استشعاره بدنوّ أجله ليقبلوا على الوصية.

كما تحسن الإشارة إلى إفادة ابن الخطيب وصيته من موروته الثقافي الأدبي، وذلك لإطلاعه الواسع على الأدب العربي قديمه وحديثه، ومغربيه

---

(1) - ينظر؛ علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان: بسيوي عبد الفتاح فيود، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1425هـ-2004م: 22.

(2) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 403.

(3) - نفح الطيب، المقرئ، 7: 393.

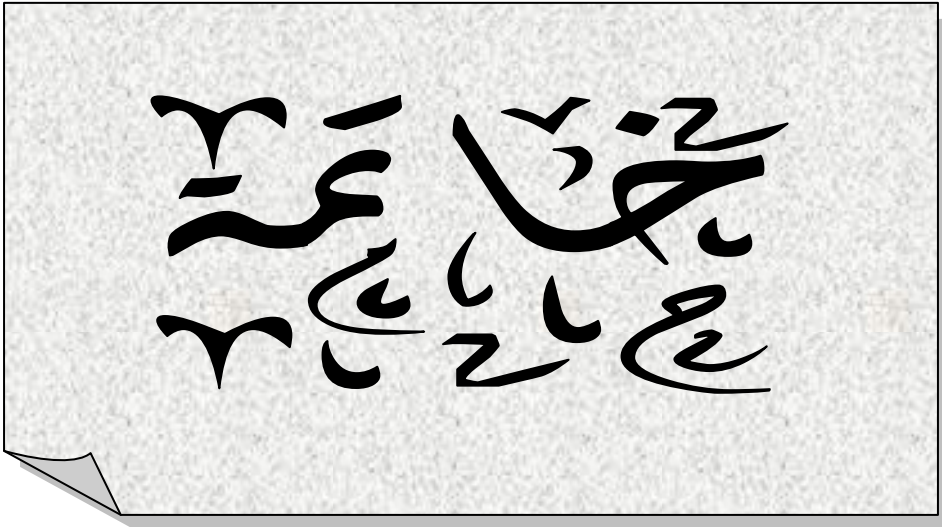


الفصل الثالث: وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده - أنموذجا تطبيقيا-  
ومشرقية<sup>(1)</sup>، وبخاصة الأمثال العربية كونها تخدم الغرض من الوصية، وذلك يجعل  
المتلقي يستفيد من تجارب الآخرين المستقاة من الخلاصة المودعة في المثل.  
ومّا ورد من ذلك في وصية لسان الدين بن الخطيب: "بيدي لا بيد  
عَمْرُو"<sup>(2)</sup>، وهو قول للزّباء حين أرادت أن تتحرر، والغرض منه اجتناب الضّعف  
والاستسلام لمواجهة الحياة بكلّ عزم وثبات، وعيشها بطريقة صحيحة تضمن  
السعادة للفرد.

وهكذا، فإنّ اعتماد ابن الخطيب في كتابته لهذه الوصية على الأسلوب  
المتميّز، والمحسّنات البديعية، واستعماله للصّور ناتج عن براعته اللغوية في  
التأليف، وكذلك العمل على صياغة الوصية بطريقة لطيفة لتترك أثرا حسنا في  
نفوس أولاده ليقبلوا عليها ويعملوا بها.

---

(1) - ينظر؛ النثر الفنّي عند لسان الدّين بن الخطيب، عبد الحليم الهروط: 147.  
(2) - قاموس الأمثال العربية: عفيف عبد الرّحمن، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1998م: 186. نفتح  
الطّيب، 7: 394.



## الختامة

وبعد، فقد انتهى هذا البحث إلى نتائج أُسجّل أبرزها في الآتي:

- الوصية أدب تهنديّ يعنى بتقويم الأخلاق، وتوجيه سلوك الفرد في الحياة مهما كانت منزلته في المجتمع، وذلك لحاجته الفطرية الماسة إليها لتجنيبه الوقوع في الأخطاء والزلل وذلك بالاستفادة من تجربة الآخرين، وقد تبين عن الدراسة مدى أصالة هذا الفن وأقدميته الذي بقيت جذوره مرتبطة بوجود الإنسان على وجه الأرض.

- لقد حفل الأدب العربي بوصايا كثيرة ومتنوعة، غير الإسلام معالمها، فضلا عن بعض مظاهر التطور الحضاري الذي عرفه المجتمع آنذاك.  
- من خلال التطرق إلى أغراض الوصية في الأندلس تبين مدى تفاعلها مع معطيات حياة الفرد الأندلسي، وقد أتت على شكل نصوص نثرية، وقصائد ومقطوعات شعرية مستقلة أو متضمنة.

- لقد سائرت الوصية الواقع السياسي للإنسان الأندلسي المتمثل في محاولة الاستقرار والعيش في أمن وعز، وذلك ببث العدل ونبذ الظلم والتسلط، والقضاء على الفتن والصراعات الداخلية والخارجية، خاصة ذلك الصراع الدائم مع المسيحيين والنصارى.

- وقد أولت الوصية الأندلسية اهتماما كبيرا للتربية باعتبارها وسيلة ضرورية في تنشئة الفرد وبناء شخصيته، فأصبح الموصي مصلحا اجتماعياً يعالج أسباب الفساد والانحلال عن طريق الحث على التمسك بالدين وتطبيق فروضه، والتحلي بفضائل الأخلاق، والرقي بالمجتمع عن طريق اكتساب مختلف العلوم والمعارف.

## الختامة

- خاضت الوصيّة في كيفية تعامل الأندلسيين مع الحياة، وألّمت بأحوالهم المختلفة كالّتعامل مع الأصدقاء وعدم الاغتراب والحزم والعزم.

- لقد كان لسان الدّين بن الخطيب من أبرز الأعلام والشّخصيات التي أنجبتهم الأندلس، تميّز فكره بالموسوعية وتعدّد المعارف الذي انعكس في عطائه السّياسي والأدبي، وإسهامه في صناعة حضارة الأندلس، وهذا من خلال ما خلّفه من وصايا كانت نظماً وقوانين ينتهجها كلّ من الحاكم في تسيير شؤون مملكته، والوزير في تصريف أعباء الدّولة، والوالي في عمالته... والعبد في تمّتين علاقته بخالقه وتبصرته بمعرفة أحوال دنياه وآخرفته، وحقيقة الإله المطلقة.

- كانت وصيّة لسان الدّين بن الخطيب وعاء تضمّن عدداً من الأفكار التي كانت عصارة تجربته العميقة وثقافته الواسعة، نصح بها أولاده، فكانت دستوراً يقتدون به ليهنأوا في معاشهم ويسعدوا في معادهم، ويعملوا على رقي المنظومة الحضارية لدولة الأندلس، إضافة إلى أنّها اتّسمت بصدق العاطفة وملامح فنيّة متميّزة تمثّلت في جودة الأسلوب وروعته، إضافة إلى احتفائها بألوان من البديع المختلفة كالإقتباس من القرآن الكريم والحديث الشّريف، والسّجع والجناس والطّباق...، والصّور البيانية، وتضمينها الموروث الثقافي الأدبي وذلك ليبرز ابن الخطيب مقدرته الفنيّة ومواهبه الأدبية.

قَائِلَةٌ (مُصَنِّفٌ) وَأَنَّهَا (مُجْمَعٌ)  
قَائِلَةٌ (مُصَنِّفٌ) وَأَنَّهَا (مُجْمَعٌ)

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

### الكتب:

- 1- الإحاطة في أخبار غرناطة ذو الوزارتين: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط2، 1393هـ- 1973م.
- 2- الأدب الإسلامي قضاياها المفاهيمية والنقدية: عباس محجوب، حدار للكتاب العالمي، عمان- الأردن، (د.ط)، 2006م.
- 3- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: مصطفى الشكعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1989.
- 4- الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص: حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط2، 1443هـ- 2003م.
- 5- أدب السياسة في العصر الأموي: أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر الفحالة، ط1، (د.ت).
- 6- الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين: نور الهدى الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2008.
- 7- أدب العرب في عصر الجاهلية: حسن الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط3، 1417هـ- 1997م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 8- الأدب المفرد: البخاري، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الحديث، القاهرة مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 9- الأدب في التراث الصوفي: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة غريب، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 10- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: أحمد المقرئ، تحقيق: مجموعة من المحققين، لجنة التراث الإسلامي، المغرب، (د.ط)، 1980.
- 11- أساليب النثر الفني: لطيف محمد العكام، مطبعة الآداب، النجف، (د.ط) 1974م.
- 12- إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطوائف، 466-479هـ، 1031-1067م: سهى بعيون، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط2، 1429هـ-2008م.
- 13- إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 14- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية ذو الوزارتين: لسان الدين بن الخطيب السلماني، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت- لبنان، ط2، آذار 1956.
- 15- آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي: عبد الحكيم الدنون، دار المعرفة، دمشق- سوريا، ط1، 1408-1988م.

قائمة المصادر والمراجع

- 16- الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها: حسين عبد الحميد، دار الكتب، (د.ط)، 1971.
- 17- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح: محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني (661هـ - 739هـ)، اعتنى به وراجعته: عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، ط3، 1419هـ-1992م.
- 18- البخلاء: الجاحظ، قدّم له وشرحه: عبّاس عبد الستير، منشورات ومكتبة دار الهلال، بيروت- لبنان، ط3، 1989.
- 19- البداية والنهاية في التاريخ: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت.744هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1963م.
- 20- بلاغة العرب في الأندلس: أحمد ضيف، مطبعة مصر، (د.ط)، 1432هـ-1924م.
- 21- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين: ابن عذاري المراكشي، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيب، عبد القادر رزمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1406هـ-1985م.
- 22- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت.255هـ)، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، مجلد 1، ط3، 1424هـ-2003م.



قائمة المصادر والمراجع

- 23- تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224، 310هـ)، راجعه وقدم فهارسه: نواف الجراح، دار صادر بيروت لبنان، مجلد: 2، ط2، 1426هـ - 2005م.
- 24- تاريخ الفكر الأندلسي: أنخل جنثالث بالثيا، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 25- جامع متون اللغة العربية اعتنى به وحققه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الهيثم القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ - 2005م.
- 26- جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاخرة: أحمد صفوت زكي، دار الحدائة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1985م.
- 27- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى: أبو يحيى بن عاصم الغرناطي (ت.857هـ)، تحقيق: صالح جرار، دار البشير، عمان- الأردن، (د.ط)، 1410هـ/1989م.
- 28- حاشية رد المختار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار فقه أبي حنيفة، ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1421هـ-2001م.
- 29- الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي: محمد سعيد الدغلي، منشورات دار أسامة، مكتبة الاسكندرية، ط1، 1404هـ-1984م.
- 30- الحياة الأدبية عصر بني أمية: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط2، 1980م.

قائمة المصادر والمراجع

- 31- دراسات في العصر الجاهلي و صدر الإسلام: زكريا عبد الرحمن صيام، ديوان المطبوعات الجامية، الجزائر، (د.ط)، 1984.
- 32- دراسات في علم النفس الأدبي: حامد عبد القادر، لجنة البيان العربي، المطبعة النموذجية، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1948.
- 33- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا: عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408هـ/1988م.
- 34- ديوان أبي إسحاق الإلبيري: إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الإلبيري، تحقيق: رضوان محمد الداية، دار قتيبة، دمشق- سوريا، ط2، 1401هـ/1981م.
- 35- ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: لسان الدين بن الخطيب، دراسة وتحقيق: محمد شريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1973.
- 36- الديوان: ابن خاتمة الأنصاري، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1972.
- 37- الديوان: ابن عبد ربّه، تحقيق: محمد رضوان الداية، مسؤوّة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1399هـ/1979م.
- 38- الديوان: عبد الكريم القيسي، تحقيق: جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، (د.ط)، 1988.

## قائمة المصادر والمراجع

- 39- الديوان: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، (د.ط)، (د.ت).
- 40- الديوان: ميمون بن قيس بن جندل بن ثعلبة الوائلي الأعشى (ت.7هـ-)، شرح يوسف شكري بركات، دار الجليل، بيروت- لبنان.
- 41- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 2000م.
- 42- رسائل موحدية مجموعة جديدة: تحقيق ودراسة: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب، ط1، 1416هـ- 1995م.
- 43- روضة التعريف بالحبّ الشريف: الوزير لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).
- 44- ریحانة الكتاب ونجعة المتاب: ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، حققه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة- مصر، ط1، 1401هـ- 1981م.
- 45- سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، جمع وتجريد أبو عبيدة شهور بن حسن آل سعان، مكتبة المعاجم للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، (د.ط)، (د.ت).
- 46- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي رحمه الله تعالى، ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضيعه وشرح ألفاظه

## قائمة المصادر والمراجع

- وحمله وخرج أحاديثه في صحيح مسلم، ووضع فهارسه: مصطفى  
ديب البغا، دار الهدى: عين مليلة- الجزائر، (د.ط)، 1992م.
- 47- طوق الحمامة في الألفة والآلاف: ابن حزم الأندلسي، ضبط خطّه  
وحرّر هوامشه: طاهر مكّي، دار المعارف القاهرة، مصر، ط2، 1977م.
- 48- ظهر الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (د.ط)،  
1962.
- 49- العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث،  
بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- 50- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: عبد  
الفتاح بسيوني فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر،  
ط2، 1425هـ-2005م.
- 51- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان: بسيوني عبد الفتاح فيود،  
مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1425هـ-  
2004م.
- 52- عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت.322هـ)، تحقيق: طه  
الجابري وزغلول سلام، شركة فنّ الطّباعة، القاهرة- مصر، (د.ط)،  
1956.
- 53- الفلسفة والأخلاق عند لسان الدين بن الخطيب: عبد العزيز بن عبد  
الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط2، 1403هـ- 1983.

قائمة المصادر والمراجع

- 54- فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 2004.
- 55- في الأدب الأندلسي: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 2000م.
- 56- قاموس الأمثال العربية: عفيف عبد الرحمن، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 1998م.
- 57- القاموس المحيط: مجد الدين يعقوب محمد الفيروزبادي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، مجلد 2، ط1، 1417هـ-1997م.
- 58- قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والسنة (ت.364هـ)، تحقيق: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1994.
- 59- قضايا النقد الأدبي، الوحدة، الالتزام، الوضوح والغموض، الإطار والمضمون: بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، الرياض- السعودية، (د.ط)، 1404هـ- 1984م.
- 60- كشف القناع: عن متن الإقناع، منصور يونس البهوني (ت.1051هـ)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض- السعودية، (د.ط)، (د.ت).

## قائمة المصادر والمراجع

- 61- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت لبنان، مجلد 2، ط3، 1414هـ-1994م.
- 62- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد عبد الكريم بن الأثير الموصلية (ت.637هـ)، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط2، 1411هـ-1990م.
- 63- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والاختبار: محي الدين بن عربي، دار صادر بيروت- لبنان، مجلد 2، (د.ط)، (د.ت).
- 64- المعجم الأدبي: عبد النور جبور، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1987.
- 65- معجم البلدان: الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 66- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط2، 1996.
- 67- المعمرون والوصايا: أبو عامر سهل بن محمد السجستاني (ت.135هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 68- المفضليات: المفضل محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي الكوفي (ت.168هـ)، تحقيق: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط1، 1998م.

قائمة المصادر والمراجع

- 69- المقتبس: ابن حيان القرطبي، حققه وقدم له وعلق عليه، محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (د.ط)، 2001.
- 70- مقدّمة ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ابن خلدون، تحقيق: محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، ط1، 1426هـ- 2005م.
- 71- ملامح يونانية في الأدب العربي: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1977.
- 72- مواكب الأدب عبر العصور: عمر الدقاق، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، ط1، 1988م.
- 73- النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس: مضامينه وأشكاله، علي بن محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1990.
- 74- النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي دراسة تحليلية: مي يوسف خليل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 75- النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب: عبد الحلیم حسن الهروط، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2006- 1426.
- 76- النثر الفني في العصر الجاهلي: هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1993م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 77- النَّثر الفنّي في عصر الموحّدين وارتباطه بواقعهم الحضاري: رضا عبد الغني الكساسبة، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الاسكندرية- مصر، (د.ط)، (د.ت).
- 78- نثر فرائد الجمال في نظم فحول الزمان: إسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1967.
- 79- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، (د-ط)، 1408هـ- 1988م.
- 80- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: روز غري، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1993.
- 81- نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، جمع الشريف الرضا محمد بن أبي أحمد الحسين وعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المداني الشهير بن أبي الحديد رحمهم الله جميعاً، دار الكتب العربية، مصر- القاهرة، مجلد: 3، (د.ط)، (د.ت).
- 82- نيل الأوطار: شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد المختار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت.1255هـ)، دار الحديث، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1297هـ.



## قائمة المصادر والمراجع

83- الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا (64-897هـ)،  
683-1492م) دراسة نصوص: محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة،  
سوريا، ط1، 1400هـ-1980م.

84- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: محمد علي مكّي، مكتبة  
الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، ط1، 1424هـ-2004م.

85- وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية، رونك  
توفيق علي النورسي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 2007م.

86- الوصايا لابن عربي: محي الدين أبي عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي  
المعروف بابن عربي (ت.638هـ)، مؤسسة الأعلمي للطبوعات،  
بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).

87- الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي: محمد كمال الدين إمام، المؤسسة  
الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (د.ط)،  
1418هـ-1998م.

88- وصايا وتوقيعات أندلسية: من خلال مخطوط رونق التحبير في حكم  
السياسة والتدبير لأبي القاسم محمد بن أبي العلاء بن سماك العاملي،  
تقديم نحة المريني، كلية الآداب، الرباط- المغرب.

## الدّوريات:

89- الأدب والبناء الحضاري حسن الأمراني: منشورات كلية الأدب والعلوم  
الإنسانية رقم 29، وجدة- المغرب، سلسلة بحوث ودراسات -8-  
1999.

## قائمة المصادر والمراجع

90- إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي: القادري بوتشيش، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، مارس 2002.

91- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد: جودة عبد الرحمان هلال، مدريد، إسبانيا، العدد 3، المجلد 1، 1374هـ-1985م.

## الرّسائل الجامعية:

92- شعر السجن في الأندلس موضوعاته وظواهره الفنية: إعداد الطالب: مصطفى الغديري، إشراف الأستاذ: عبد السلام الهراس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس- المغرب، 1408-1409هـ / 1987-1988م.

## عنوان المواقع:

- 93- attarikh.alarabi.ma.
- 94- alsrdaab.com.
- 95- uqu.edu.sa
- 96- alemam.alsajad.co

فنا در سینه  
مانند سینه  
دلمه با قیاس  
مانند سینه

مقدمة ..... أ

## المدخل

مفهوم الوصية ولمحة تاريخية عن تطورها في الأدب العربي  
(من العصر الجاهلي إلى العباسي)

- 1- مفهوم الوصية: ..... 2  
أ- لغة: ..... 2  
ب- الوصية الفقهية: ..... 3  
ج- الوصية الأدبية: ..... 6  
2- تطور الوصايا من العصر الجاهلي إلى العباسي: ..... 8

## الفصل الأول

أغراض الوصية في الأدب الأندلسي

- 1- الوصايا السياسية والحربية: ..... 22  
أ- وصايا الاستخلاف: ..... 24  
ب- الوصايا المهنية: ..... 28  
ج- وصايا موجهة إلى الرعية: ..... 30  
د- الوصايا الحربية والعسكرية: ..... 34  
2- الوصايا التربوية: ..... 37  
أ- من الناحية الدينية: ..... 38  
ب- من الناحية الخلقية: ..... 48  
ج- من الناحية التعليمية: ..... 51  
3- الوصايا الاجتماعية: ..... 53  
أ- الحزم والعزم: ..... 53  
ب- معاملة الآخرين: ..... 54  
ج- حفظ اللسان وكتمان السر: ..... 57

- د- معاملة النساء: ..... 58  
هـ- عدم الاغتراب : ..... 58  
و- السفر والتجوال: ..... 58  
4- وصايا أخرى:..... 59

## الفصل الثاني

### موضوعات الوصية عند لسان الدين بن الخطيب

- 1- جوانب من شخصية لسان الدين بن الخطيب: ..... 65  
أ- قطوف من حياته:..... 65  
ب- مظاهر نبوغه: ..... 70  
2- موضوعات الوصية عند ابن الخطيب:..... 73  
أ- الوصايا المتعلقة بتدبير شؤون السياسة وأمور الحكم: ..... 74  
أ-1- مقومات الملك: ..... 75  
أ-2- شروط الوزارة وأركانها:..... 93  
أ-3- التوفيق بين الالتزام بالشرع وتدبير شؤون السياسة:..... 105  
ب- الوصايا المتعلقة بالزجر والوعظ: ..... 107  
ب- 1- التذكير بالموت: ..... 110  
ب- 2- التذكير بالحساب والعقاب: ..... 112  
ب- 3- التزهيد في التكاليف على المناصب السامية في الدولة:..... 114  
ب-4- الحث على التقرب إلى الله بصالح الأعمال والطاعات: ..... 116  
ب-5- الدعوة إلى التوبة والإقلاع عن المعاصي: ..... 118  
ب-6- أخذ العبر من دروس الحياة:..... 119

## الفصل الثالث

وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده  
- أنموذجا تطبيقيا -

- 1- مضمون الوصية: ..... 123
- أ- مناسبة الوصية: ..... 123
- ب- معاني الوصية وأهم معالمها: ..... 124
- ب-1- افتتاح الوصية: ..... 124
- ب-2- نعي صاحب الوصية نفسه: ..... 125
- ب-3- الإشادة بقيمة الوصية، وضرورة العمل بها: ..... 127
- ب-4- موضوعات الوصية: ..... 128
- ب-5- اختتام الوصية: ..... 150
- ج- قيمتها الحضارية: ..... 151
- د- العاطفة: ..... 155
- 2- الخصائص الأسلوبية والفنية للوصية: ..... 158
- أ- البناء اللغوي: ..... 158
- أ-1- الألفاظ: ..... 158
- أ-2- العلاقة بين الألفاظ و المعاني: ..... 159
- أ-3- تنوع الأساليب والجمل: ..... 160
- ب- الإطناب: ..... 164
- ج- المحسنات البديعية: ..... 165
- ج-1- الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف: ..... 165
- ج-2- السجع والتوازن: ..... 170
- ج-3- لزوم ما لا يلزم : ..... 174

## فهرس المحتويات

ج-4- الجناس:	176.....
ج-5- الطباق والمقابلة:	180.....
ج-6- الترادف والتكرار:	182.....
د- الصّور البيانية:	184 .....
خاتمة	187.....
قائمة المصادر والمراجع	190.....
فهرس المحتويات	205.....

## ملخص

يعالج هذا البحث موضوع الوصية في الأدب الأندلسي، هذا الفن القديم الذي خاض فيه الأندلسيون لتتواصل عبره الأجيال، وقد استهدفت الدراسة الكشف عن أهم الأغراض السياسية والتربوية والاجتماعية التي طرقتها الوصية في الأدب الأندلسي، مع محاولة إبراز السمات الفنية والقيمة الحضارية التي تضمنتها، وقد اتخذت وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده أنموذجاً لها.

**الكلمات المفتاحية:** الوصية- التواصل- السمات الفنية- القيمة الحضارية- وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده أنموذجاً.

## SOMMAIRE

Cette recherche porte sur l'étude de la recommandation dans la littérature Andalouse, cet art ancien dans lequel les Andalous ont écrit afin d'être préserver à travers les générations. Cette étude a également pour but de révéler les objectifs politiques, éducatifs et sociaux cités dans la recommandation dans la littérature Andalouse et aussi pour mettre en évidence les caractéristiques techniques et sa valeur culturelle et civilisationnelle, et ceci à travers l'étude de la recommandation de Lissan Eddine Ibn el Khatib à ses enfants comme exemplaire.

**Mots clés :** Recommandation-préserver-caractéristiques techniques-valeur civilisationnelle-recommandations de Lissan Eddine Ibn el Khatib à ses enfants exemplaire.

## SUMMARY

This research addresses the subject of the recommendation in the andalousian literature, this ancient art which wrote the andalousians to be continued in the generations. This study has also the but of detection of the political, educational and social objectives treated by the recommendation in the literature andalousian, with an attempt to highlight the technical characters, civilizationnal and cultural value including inside and we have taken the recommendation of Lissan Eddine Ibn el Khatib for her children as a model.

**Key words:** Recommendation-continued-technical characters-civilizationnal value-recommendation of Lissan Eddine Ibn el Khatib for her children a model